التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٧٥

Yanabee'a
ينابيع

مَجلّةٌ ثقافيّةٌ تُعنى بِنشرِ فِكرِ أهلِ البَيْت عليهم السلام / السَّنة ١٤/ العَدَد ٧٥ شهر رجب - شعبان ١٤٣٨هـ/ نيسان- آيار / ٢٠١٧ م

ينابيع ٧٥

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
عباس رفيعي

كرافيك
عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت ام لم تنشر.

أبا السبطين

قصيدة في أمير المؤمنين عليه السلام

شعر: عبد الرحمن صالح العشماوي

هـذي خـيـولُـكَ مـا يـزالُ أَصـيـلُـهـا ... يُحيي المشاعرَ رَكْـضُـهـا وصهيلُها
تـجـري فـتـنـقـدحُ الـحَـصَـا مـن لهفةٍ ... وتُـسَـرُّ مـن أرضِ الـوفـاءِ حُقولُها
تُشجي حـوافـرُهـا الـتـرابَ وتَنتشي ... أرضُ الإبـاءِ، جـبـالُـهـا وسـهـولُـهـا
هـذي خـيـولُـكَ طـابَ فـيـكَ مُقامُها ... وإلـى الـبـطـولـةِ طـابَ مـنـكَ رَحيلُها

* * * * * * * * * * * * * * *

فـغـدُوُّهـا ورواحُـهـا نـحـو الـعُـلا ... يـتـسـابـقـانِ، ورَكْـضُـهـا تَـرْفـيـلُـهـا
أنـتَ الـذي رَوَّضْـتَـهـا وهْـيَ التي ... يـهـفـو إلـيـكَ صـعـودُهـا ونُـزولُـهـا
أولـسـتَ (حَـيْـدَرَةَ) الـبُـطـولـةِ يلتقي ... فـي راحـتَـيْـكَ مَـبـيـتُـهـا ومَـقِـيـلُـهـا؟
لـو زُوِّجَـتْ رُوحُ الـبُـطـولـةِ لانْـبَـرى ... صـوتُ الإبـاءِ، يـقـولُ: أنـتَ حَليلُها
أَلْـبَـسْـتَ شَـرْخَ صِـبـاكَ ثـوبَ عقيدةٍ ... لـمَّـا أضـاءَ لـكَ الـدُّجَـى قنديلُها
يـا ابـنَ الأكـارمِ يـا ابـنَ أُمَّـتِـنـا التي ... وَرِثَ الـنُّـبـوَّةَ والـكـتـابَ رسـولُـهـا
يـا مَـنْ حَـمَـيْـتَ على الـفـراشِ مكانَهُ ... والـجـاهـلـيَّـةُ يـسـتـبـدُّ جَـهُـولُـهـا

هذه القصيدة منشورة في موقع جريدة الجزيرة السعودية.

نثرَ التـرابَ على الـرؤوسِ مُـهـاجـراً ... والـلَّـيْـلَـةُ الـلَّـيْـلاءُ يَـنْـعَـسُ فِيلُها

كـنـتَ الـفـدائـيَّ الـذي ابـتـهـجـتْ بـهِ ... سُـحُـبُ الـوفـاءِ وسـحَّ فـيـهِ هَطولُها

أدَّيْـتَ عـنْ خـيـرِ الـعـبـادِ أمـانـةً ... تـمَّـتْ مـقـاصـدُهـا وخـفَّ ثقيلُها

ومـضـيـتَ مـرفـوعَ الـجـبـينِ مـهـاجـراً ... يـحـلـو لـنـفـسكَ فـي الإلـهِ رَحـيـلُـهـا

تمشي على قـدمَـيْـكَ مِـشْـيَـةَ فـارسٍ ... لـمْ يَـثْـنِـهِ وَعْـرُ الـطـريـقِ وطُـولُـهـا

آخـاكَ فـي الإسـلامِ أفـضـلُ مُـرْسَـلٍ ... نـعـمَ الأُخُـوَّةُ لا يُـرامُ مَثيلُها

مِـنْ أيـنَ أبـدأُ - يـا عـلـيُّ ! حكايتي ... إنـي لأخـشـى أنْ تـطـولَ فـصـولُـهـا

قـد تـخـذلُ الأفـكـارُ طـالـبَ وُدِّهـا ... ويـخـونُ ورقـاءَ الـغـصـونِ هَديلُها

* * * * * * * * * * * * * *

كـالـنـاقـةِ الـكَـوْمـاءِ تـمـنَـعُ حـالـباً ... مـن حَـلْـبِـهـا، لـمَّـا يَـغـيـبُ فَصيلُها

مَـن أنـتَ؟ قـالَ المجدُ لـي مُتَعَجِّباً ... هـذا (أبـو السِّبْطَيْنِ) كيفَ تقولُها؟!

هـذا ابـنُ عـمِّ الـمـصـطـفى ووليُّـهُ ... هُـوَ زوجُ فـاطـمـةِ الـتُّـقـى وحَليلُها

هـذا فتَى الـحَـرْبِ الـضَّـروسِ إذا رَمَـى ... بـالـقـوسِ فيها استَـرْحَـمَـتْـهُ فُلُولُها

لا سـيـفَ إلا ذو الـفـقـارِ ولا فَـتًـى ... إلاَّ عـلـيٌّ شَـهْـمُـهـا ونَـبـيـلُـهـا

يـا حـامـلَ الـرَّايـاتِ فـي حَـوْمِ الـوَغـى ... لـمـا تُـدَقُّ مـنَ الـحـروبِ طُـبـولُـهـا

بـارَزْتَ في الأحـزابِ (عَـمْـراً) فانتهى ... وبـقـيـتَ أنـتَ تُـقِـيـمُـهـا وتُـمِـيـلُـهـا

ولقيتَ (مَـرْحَـبَ) والسُّيوفُ شواخِصٌ ... نـحـوَ الـرِّقـابِ، فلم يَـرُعْـكَ صَليلُها

جَـنْـدَلْـتَ فـارسَ قـومِـهِ فتناعبَتْ ... غِـرْبـانُ خَـيْـبَـتِـهِ وصـوَّتَ غُـولُـهـا

فـي بـابِ خَـيْـبـرَ قـصَّـةٌ مـشـهـودةٌ ... يُـشْـفَـى بـهـا لـلـمـكـرُمـاتِ غَليلُها

* * * * * * * * * * * * * *

يـا ابـنَ الأكـارمِ يـا أبـا السِّبْطَينِ، هلْ ... وافـاكَ مـنْ أخـبـارِنَـا تَفصيلُها؟

أوَّاهُ لـوْ تـدري بـفُـرْقـةِ أمَّـةٍ ... لـوْ كُـنْـتَ فيها لانْـبـرَيْـتَ تُزيلُها

مـاذا أقـولُ - أبـا الحسينِ - وأمتي ... يـحـتـلُّ مـنـزلـةَ الـعـزيـزِ ذَلـيـلُـهـا

* * * * * * * * * * * * * *

أتُـراكَ تـرضـى أنْ تـرى أبـنـاءَهـا ... شـتَّـى وأنْ يـرعـى الـجـيـاعَ بخيلُها

يـا ابـنَ الأكـارمِ يـا أبـا الـحَـسَـنِ الـذي ... زالـتْ بـه فِـتَـنٌ وجَـفَّ مَسيلُها

أنَّـى تـقـومُ أمـامَ عِـلْـمِـكَ بِـدْعَـةٌ ... أنَّـى يَـصِـحُّ إذا نَـظَـرتَ عليلُها

أوَلـسـتَ بـابَ مـديـنـةِ الـعـلـمِ التي ... يَـهـدي إلـى الـحـقِّ الـمُـبـيـنِ سبيلُها

أَوَلـــمْ تـقـوِّضْ مـا ادَّعَـــتْ سَبـئِـيَّـةٌ ... لـمـا تـنـاهـتْ فـي الـضـلالِ عقولُها؟
أنـتَ الـذي أَلْـجَـمْـتَ نـاطـقَ وَهْـمِـهـا ... وَطَـــردْتَ داعـيَـهَـا وَفَـــرَّ قَبِيلُها
أَوَلـــمْ تَـكُـنْ لـكَ فـي الـقـضـاءِ فِـراسـةٌ ... فـي كـلِّ مُـعْـضِـلـةٍ لـديـكَ حُـلـولُـهـا؟
عُـــذْراً - أبـا السِّبْطينِ - إنَّ دروبَـنَـا ... كـثـرتْ أمـامَ الـسـالـكـيـنَ وُحـولُـهـا
فِـــرقٌ إلـى الـوهـمِ الـكـبـيـرِ ذَهـابُـهـا ... وإلـيـهِ مـنْ بـعـدِ الـذَّهـابِ قُـفـولُـهـا
فـــرقٌ تـنـاءَى عـنْ يـقـيـنِـكَ دَرْبُـهـا ... وازورَّ عـنْـكَ كـثـيـرُهـا وقليلُها
تسطو عـلـى روحِ الـيـقـيـنِ ظنونُها ... ويُـصِـمُّ آذانَ الـــورى تَطبيلُها
مـا أنـتَ إلاَّ الشمسُ في رَأْدِ الضُّحى ... فـمَـنِ الـذي بـيـدِ الـجـفـاءِ يَـطُـولُـهـا

* * * * * * * * * * * * * *

لـمَّـا انـبـرى الأشـقـى لقتْلِكَ أَغـرقـتْ ... أجـفـانَ مَـنْ نـظـروا إلـيـكَ سُيولُها
لـلـهِ درُّكَ - يـا أبـا الـسِّـبْـطـيـنِ - لمْ ... تـجـزعْ ولـم يُـوهِـنْ قُـــواكَ مَـهُـولُـهـا
لـمَّـا أصـابَـكَ سـيـفُ قـاتـلِ نـفـسِـهِ ... أدركـــتُ أنَّ الـشـمـسَ حـانَ أُفـولُـهـا
وفَـرِحْـتَ بـالـفـوزِ الـكـبـيـرِ مـبـشِّـراً ... نـفـسـاً تـجـاوَبَ بـالـرِّضـا تهْليلُها
أَوَلـــمْ يُـبـشـرْكَ الـرسـولُ بـجـنَّـةٍ ... فـلأَنْـتَ - يـا ابـنَ الأكرمين - نَزيلُها
بُشرى لكمْ - أهـلَ الكساءِ - بحبِّكُمْ ... حَـفَـلـتْ مـشـاعـرُنـا وعـــزَّ حُـفُـولُـهـا
عـذراً - أبـا السِّبْطينِ - بعدَكَ أُشْعِلَتْ ... فِـتَـنٌ وأَوْهَـــنَ أمـتـي تضليلُها
وضـعـوا الـقـنـاعَ على الـوجـوهِ وإنما ... يـضـعُ الـقـنـاعَ على الـوجـوهِ دَخيلُها
حَـرُمـتْ دمـاءُ المسلمينَ، وحُـرِّمَـتْ ... أعـراضُـهـم، فمتى جـرى تحليلُها؟؟
قُـتِـلَ الـحُـسـيـنُ، فـمـا رَضِـيـنـا قَـتْـلَـهُ ... بـجـمـيـعِ ألـسـنـةِ الـوفـاءِ نَـقُـولُـهـا

* * * * * * * * * * * * * *

قُـتِـلَ الـحـسـيـنُ فـأنـتـمـا فـي جـنَّـةٍ ... طـابـتْ مـغـانـيـهـا، وطـــابَ ظَلِيلُها
آلُ الـنـبـيِّ، وأهـــلُ بـيـتٍ طـاهـرٍ ... أنـتـمْ، ودوحـتُـكُـمْ تـعِـزُّ أُصـولُـهـا
هـيَ دوحـــةٌ شـرُفَـتْ بـأفـضـلِ مـرسـلٍ ... والـلـهُ ربُّ الـعـالـمـيـنَ كفيلُها
بُشرى إليكِ - قصيدتي - فقدْ ارتـوتْ ... أغـصـانُ قـافـيـتـي، وفَـــرَّ ذبـولُـهـا
فـي كـلِّ حـرفٍ مـن حـروفِـكِ واحـةٌ ... مـن حُـبِّ آلِ الـبـيـتِ جـادَ نخيلُها
سُـقـيـتْ بـآيـاتِ الـكـتـابِ وسـنَّـةٍ ... غـــرَّاءَ رُصِّـــعَ بـالـهُـدى إكْـلِـيـلُـهـا
مَـدَحَـتْ أبـا الـحـسـنِ الأغـــرَّ فنالَها ... شـــرفُ الـمـديـحِ لـــهُ وبـــانَ جميلُها

أهم المواضيع

الدلالة النحوية في سورة التكوير
الباحث: وليد خالد علي

قرآنيات
ص (١٠)

رص (٦٦)

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في آية المباهلة
عبد الرزاق الأعسم

الجناس في القرآن الكريم
د. مصعب مكي زبيبة

قرآنيات
ص (١٦)

مع الفقيه
ص (٧٦)

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

الترغيب والترهيب الحسّي في الموت
الباحث: محسن عبد العظيم الخاقاني

أمن الرسول
ص (٢٦)

في النفس والمجتمع
ص(٨٢)

الربا... خطره... تداعياته
الباحث: خضير عباس محمد

الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام
سكرتير التحرير: حسين جودي الجبوري

ملف العدد
ص (٣٤)

واحة الأدب
ص (١٢٠)

شاعر وقصيدة... العلامة الشيخ عبد الحسين الأعسم
الحاج عبد الرزاق الأعسم

كلمة العدد

المؤسسة التعليمية رافد من روافد اكتساب القيم

المشرف العام..... ٨

قرآنيات

الدلالة النحوية في سورة التكوير

الباحث: وليد خالد علي ١٠

الجناس في القرآن الكريم

د. مصعب مكي زبيبة..... ١٦

تداعيات فهم الناسخ والمنسوخ في القرآن عند المستشرقين

أ.م.د. عادل عباس النصراوي ٢٠

آمن الرسول

الترغيب والترهيب الحسِّي في الموت

الباحث: محسن عبد العظيم الخاقاني..... ٢٦

ملف العدد (الصحيفة السجادية)

الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام

سكرتير التحرير: حسين جودي الجبوري..... ٣٤

الصحيفة السجادية: الثقافةُ بوصفها دعاء

أ.م.د. علي مجيد البديري..... ٣٨

التنمية التربوية في الصحيفة السجادية

الدكتور عباس علي الفحام ٤٥

قصديَّة النص في الصحيفة السجادية

م.م . احمد جاسم الركابي..... ٤٩

أدعية الصحيفة السجادية والبناء النفسي السليم

أ.د. نجم عبدالله الموسوي..... ٥٥

من أدعية الإمام السجاد لأهل الثغور عليه السلام

الصحيفة السجادية..... ٦٢

إضاءات السيرة

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في آية المباهلة

الباحث: عبد الرزاق محمد حسين..... ٦٦

الجوانب الاجتماعية في شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

الباحث: نصير علي موسى..... ٦٩

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٧٦

في النفس والمجتمع

الربا... خطره... تداعياته

الباحث : خضير عباس محمد..... ٨٢

قراءات

موقفُ الآلوسيّ من مَرويّات الإمام الصادق عليه السلام

أ.م.د. عصام كاظم الغالبيّ ٨٨

للفضيلة نجومها

أسماء بنت عميس الخثعمية سيرة ومسيرة

الباحث : فارس رزاق الحريزي... ١٠٨

طروحات عامة

ظلامة الزهراء عليها السلام... بين خطاب التذويب... وشعار التقريب

السيد علي الدزفولي..... ١١٤

واحة الأدب

شاعر وقصيدة

الحاج عبد الرزاق الاعسم..... ١٢٠

يد من وراء الغيب

الأديب والروائي: كمال السيد..... ١٢٥

حكاية مستبصر..... ٩٤

في الذاكرة..... ١٠٠

وقفة مع الذكرى..... ١٠٦

أجوبة مسابقة العدد (٧٣) وأسماء الفائزين.... ١٢٨

مسابقة العدد (٧٥)..... ١٢٩

كلمة العدد

المؤسسة التعليمية...

رافدٌ من روافد اكتساب القيم

تحدثنا في الحلقة السابقة عن المجتمع الذي يعتبر رافداً من روافد المعرفة الفكرية والتربوية التي يستقيها الفرد والتي تنعكس إيجاباً وسلباً على سلوكه، ومعطياته الفكرية والعلمية، وتركنا هناك الجانب التربوي والتعليمي الذي يكون المسؤول عنه بشكل مباشر المدرسة ومؤسسات التعليم، والتي أصبحت اليوم من أهم روافد المعرفة الفردية، والتي يكتسب الفرد من خلالها مجموعة من المزايا والأخلاق التي تعكس بيئة نشأته الدراسية.

أخذت المدارس ومؤسسات التعليم العامة والخاصة طابعاً هاماً في مجتمعاتنا الإسلامية فضلاً عن المجتمعات الأخرى. لما يترتب على النتاج الفكري الذي يحصل عليه الطالب من المنافع والفوائد المادية والاجتماعية، وأصبح اهتمام البيت والأسرة منصباً على تحصيل الطالب للمزايا الدراسية التي يمتاز بها الطالب بين أقرانه، من أجل صقل مواهبه الوراثية، وممتلكاته الفكرية تجاه الحصول على الامتيازات والشهادات التي تصب في المنافع المستقبلية التي يرجى أن يحظى بها الطالب، والتي تعتبر كياناً للأسرة أو البيت مضافاً إلى كونها كياناً ذاتياً اجتماعياً لنفس الطالب.

وقد نشأت هذه الظاهرة اليوم بسبب انفتاح المؤسسات الحكومية والأهلية على عامة الناس، وأصبح من مقدور كل أحد الوصول إليها مع استكمال الشروط الموضوعة والتي منها حصوله على بعض الشهادات الخاصة.

إن تأثير المدرسة على الطفل تأثيرٌ بالغٌ، وهي تعكس تأثير التربية الفكرية التي تعتبر ثاني الدعامتين الأساسيتين للتربية الخلقية للطفل، مقابل التربية العاطفية التي تنبع من سعي التربية الأخلاقية لتثبيت قيم متعددة في النفوس، مثل التسامح، والاحترام، والمحبة، وما إلى ذلك من القيم الأخلاقية الهامة.

إن أهمية تأثير التربية الفكرية تكمن في قابلية الطفل لتلقي المفاهيم العلمية والأخلاقية، بعد لجوئه للمؤسسة التعليمية لجوءًا نفسياً، وتأثره بها، تأثراً كبيراً يرجح في كثير من الأحيان على تأثير البيت والأسرة، ولذا نشأ من ذلك علم الاجتماع التربوي الذي يدرس إيصال القيم الأخلاقية، والثقافية، والدينية، والوطنية، إلى الطفل بعد وضوح تأثر الطفل تأثراً كبيراً بالمؤسسة التعليمية ويتم من خلالها زرع نواة المفاهيم المشار إليها في ذهنه ووجدانه.

وعلى ذلك لابد من الاهتمام الكبير من قبل المؤسسة التعليمية بأمرين:

الأول: تركيز المفاهيم العلمية الصحيحة وفق المعايير الفنية التي توصلت إليها الدراسات العلمية، ووفق التجربة الصحيحة التي تم خوضها من قبل مؤسسات التعليم في الدول المتقدمة، مع الاعتماد في ذلك على المعطيات الخاصة بالبيئة والمجتمع اللذين يعيش فيهما الفرد المستهدف في التعليم، ولا مجال لأخذ المعايير الفنية من دون ملاحظة البيئة والمجتمع اللذين يعتبران الرافد الأساس في زرع مقومات الذكاء، والخبرة، في ذهن المتعلم. بل لابد من ملاحظة ذلك ثم وضع أسس فنية تسهم في استقاء المعلومات الفكرية والعلمية من أجل المساهمة الفعالة في إنشاء جيل متعلم واع فكري ثر، لديه الخبرة في إنشاء دراسات علمية تسهم في نقل المجتمع من حضيض الأمية والتخلف العلمي إلى أوج العلم والمعرفة.

الثاني: تركيز المفاهيم الأخلاقية والدينية في نفوس المتعلمين واعتبار ذلك من مقومات الجيل المتعلم لا من الأمور الدخيلة على التعليم، وكأنها من ترف المؤسسات التعليمية. وقد أكدت الدراسات الأكاديمية الفنية على

أن التربية في العصر الحاضر قد احتلت مكاناً نافذاً بالنسبة لها في العصور القديمة، ونتيجة لذلك فقد تميزت التربية في العصر الحاضر بأنها متقدمة على التعليم، بل أصبح المتعلم محور التربية، واهتمت التربية به كإنسان يحقق نموه الإنساني، ولكنها لم تهمل الجانب الاجتماعي والتكيف مع الجماعة التي يعيش بينها، كما تعاونت التربية مع علم النفس لتقديم ما يناسب كل فرد على حدة، وتعاونت مع علم الاجتماع لكي تضفي طابع المجتمع على الفرد وتهتم بدمج مقومات كل منهما في الآخر لئلا يخرج الفرد بذلك عن طابع مجتمعه، ويعكس خلاف الواقع الذي يعيشه، مما يمنع من تأثيره على المجتمع في المستقبل من الناحية الفكرية والعلمية.

إن الكثير من المؤسسات التعليمية اليوم لا ترى أهمية العمل على التربية الأخلاقية والدينية وتكتفي بالتعليم على أساس المفهوم السائد في المجتمعات الأخرى، وهي على خطأ بالغ، لأن خلو التعليم من التربية مانع من الترقي النفسي لدى الإنسان، وموجب لتخلف الفرد عن مجتمعه، بعدما كان لدى المجتمع الإسلامي ضوابط دينية وأخلاقية تحدد نشاط الفرد بشكل أو بآخر، وتمنع من خوضه لجميع المجالات، بل تقصر نشاطه في حدود الضوابط المذكورة، مضافاً إلى أن القيم الأخلاقية والدينية ليست من قبيل العادات والتقاليد التراثية التي ورثها المجتمع من الأجيال الماضية، بل هي عادات وتقاليد مستقاة من منبع الرسالة الإسلامية التي هي الأساس في التربية الصالحة التي دعت إليها بشتى الطرق، من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وتعاليم أهل البيت عليهم السلام، فليس بعد ذلك من حق أحد سواء كان مسؤولاً في موقع تعليمي، أو مؤثراً بنحو من أنحاء التأثير أن يمنع مزاولة نشر الثقافة التربوية الخاصة بالقيم الإسلامية، ويعتبر أن مهام الجامعة أو المدرسة تقتصر على التعليم، وهي ليست كالأنشطة الحزبية والتعبوية التي تقوم بها مجموعات خاصة لاستغلال الواقع الشبابي، بل إن من وظيفة كل مسؤول في المؤسسة التعليمية التركيز على الجانب التربوي والأخلاقي الديني، وزرع بذور الثقافة الدينية في أوساط المجتمع التعليمي، والحث على الالتزام بذلك، بل ينبغي للمؤسسة التعليمية أن تضع نسبة معدل النجاح مرتبطة بالجانب التربوي، لما لأهمية التربية من الأثر الفاعل في أوساط المجتمع، وتأثير الفرد فيه، وتأثره من المدرسة أو الجامعة، وهذه الحركة الدائرية المؤثرة عكساً وطرداً في النتائج هي المثمرة في المجتمع، وهي التي تنهض به من الأمية والتخلف إلى مصاف المجتمعات المتحضرة والمتميزة، ومن ثم كانت التربية الأخلاقية والدينية من أهم دعائم التعليم، ومع فقد التعليم للتربية يصبح التعليم خالياً من أهم عناصره ومكوناته. وقد عرّفت التربية في بعض المعاجم العربية بأنها عملية صنع الإنسان وكيف يصنع الإنسان بعيداً عن الأخلاق والدين؟! كما عرّفت التربية بأنها تحصيل للمعرفة، وتوريث للقيم، كما هي توجيه للتفكير، وتهذيب للسلوك. فكيف إذن نوفق بين تعليم خال من التربية الأخلاقية مع الحصول على تعليم متوازن يحفظ لكل إنسان مدخلاته ومخرجاته العلمية؟!

ومن هنا لابد من الاهتمام البالغ بالتربية أثناء عملية التعليم وبرعاية المؤسسات التعليمية، وهي عملية مزدوجة تكمّل إحداهما الأخرى، وتعتمد إحداهما على الأخرى، ونحن في مجتمعات إسلامية واعية، تهمنا القيم والمبادئ الأخلاقية، ونسعى في جميع مفاصل حياتنا للحصول عليها، وبثها في أوساط الأجيال المتعلمة. لذا نهيب بإخواننا في سلك التعليم الاهتمام بذلك غاية الاهتمام، وعدم التسامح فيه، والعمل على اكتساب المتعلم للقيم الأصيلة بشتى الطرق العلمية والفنية، من أجل الحصول على جيل متخلق بالأخلاق الفاضلة، حاصل على شهادة التخرج العلمي والأخلاقي في آن واحد.

ومن الله سبحانه نستمد العون والتوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المشرف العام

الدلالة النحوية في سورة التكوير

الباحث: وليد خالد علي
جامعة البصرة – كلية الآداب

تمهيد

من المسلّمات التي نعتقد بها أن القرآن الكريم كتابٌ جاء لهداية البشر، وتقنينُ حياتهم ضمن قوانين غاية في الدقة على المستويات كافة، الدينية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها، وهو غايةُ الكمالِ ولا يأتيه الباطلُ من بينِ يديه ولا من خلفه، (إنَّ له لَحَلاَوَةً، وإنَّ عليه لَطَلاَوةً، وإنَّ أعْلاَهُ لَمُثْمِرٌ، وإنَّ أسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وإنَّه يعلو وما يُعْلَى)[1]، وهذا السياقُ المتكاملُ في روعتهِ وجمالهِ قد يُنبئ عن معنى واضحٍ وجليّ لا يحتاج إلى تفسيرات أو تأويلات المفسرين، وقد

يكون مبهمًا وغير واضح ويحتاج إلى تأويلات لفهمه وإدراك مراده، من هنا جاء تقسيم المعنى والدلالة في الآيات القرآنية إلى دلالات متنوعة، منها الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية، والدلالة السياقية، وكل هذه الدلالات هدفها واحد ألا وهو بيان المعنى وتوضيحه.

والدلالة التي يتناولها هذا البحث مقصورة على مستوى التركيب في سورة التكوير، باعتبار أن التركيب وسيلة من وسائل إنتاج الدلالة، وأن الترابط بينهما لا ينفك لأن كلّاً منهما قائم على تحقق الآخر، فلا دلالة بدون تركيب ولا تركيب بدون دلالة، وهذا شرط الفائدة المتحققة في الكلام.

الدلالة النحوية: يمكن فهم الدلالة النحوية على أنها إدراك المعاني من خلال العلاقات النحوية في التركيب، و(هي الدلالة التي تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ منها موقعاً معيناً في الجملة حسب قوانين اللغة، إذا إن كل كلمة في التركيب لا بدّ أن تكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها) [٢]، فالتفاعل في التركيب بين معاني الأبواب النحوية على وفق القواعد المخصوصة هو الذي يعطي المعنى المراد والمقصود، فالفاعلية جزء مهم من التركيب النحوي للجملة، وإذا نظرنا إليه من ناحية التركيب نجده يتداخل مع ألفاظ ثانية على وفق تركيب إسنادي معين لينتج لنا كلاماً مفهوماً ذا معنى يحسن السكوت عليه، لنجد أن هذا التركيب النحوي دلّ على معنى معين يقصده المتكلم، فعلى هذا الأساس تكون الدلالة النحوية عبارة عن تركيب قواعدي، إن صح التعبير، يساهم في إيصال المعنى بطريقة صحيحة.

وعلى أساس هذه العلاقة بين الدلالة والنحو تنفتح وتتضح معاني الكلام، حيث أن الجملة العربية تحتّم ترتيباً خاصاً بحيث لو اختلّ يكون المعنى صعب المنال [٣].

دلالة التركيب في الجملة الفعلية: تحتوي الجملة الفعلية في سورة التكوير على عدّة تراكيب نحوية، ومن هذه التراكيب تركيب الشرط، حيث يبدأ الشرط منذ الآية الأولى إلى الآية الثالثة عشرة بصورة متصلة غير منقطعة، وهذا الأسلوب النحوي قد أفتُتح بأداة الشرط (إذا)، فعندما يبتدئ المتكلم بهذه الأداة يعطي للمتلقي حافزاً يترقب به ما يكون في نهاية كلامه، على اعتبار أن هذه الأداة الشرطية يكون لها تتمّة تُمثل جواباً أو جزاءً لبداية الكلام، فإذا قلنا على سبيل المثال: إذا جاء زيدٌ، ولم نكمل تتمة الكلام، ففي هذه الحالة يكون السامع مترقباً أشدّ الترقب على معرفة التتمة من الكلام، وهذا الأسلوب قد اتبعه القرآن الكريم منذ أول آية في هذه السورة المباركة، (الافتتاح بـ (إذا) افتتاح مشوق لأن (إذا) ظرف يستدعي متعلقاً، ولأنه أيضاً شرط يؤذن بذكر جواب بعده فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده، وخاصة بالإطناب بتكرير كلمة (إذا) [٤].

جملة الشرط تتألف من عبارتين متلازمتين لا تستقل إحداهما عن الأخرى، العبارة الأولى تسمى شرطاً، وتسمى الثانية جواباً أو جزاءً، والكلام لا يتمّ إلا بذكر الجواب أو الجزاء، فلا

فائدة من الكلام على وفق هذا التركيب بوجود الشرط فقط دون جزائه[٥]، وعند قراءة الآيات الكريمة من سورة التكوير نجد أن (إذا) قد وقع بعدها في كل هذه الآيات فعلٌ ماض، قال تعالى (**إِذَا الشمسُ كُورَتْ، وَإِذَا النجومُ انكدرَتْ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيرتْ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلتْ، وَإِذَا الوحوش حُشرتْ، وَإِذَا البحارُ سُجرتْ، وَإِذَا النفوسُ زوجتْ، وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئلتْ، بأَيِّ ذنب قُتلَتْ، وإِذَا الصحفُ نُشرتْ، وَإِذَا السَّماءَ كُشطتْ، وَإِذَا الجَحيمُ سُعرتْ، وَإِذَا الْجنَّةُ أزلفتْ، عَلِمَتْ نفسٌ ما أَحضرَتْ**) (التكوير:١- ١٤).

وهذا الفعل الذي هو في الظاهر فعل ماض هو في الحقيقة لا يدلّ على زمن المضي وإنما يدلّ على الاستقبال لأن هذه الأفعال إنما هي شروط لأداة الشرط (إذا) وإنها استُعملت في صيغة الماضي للتنبيه على تحقق وقوعها، (إن الفعل الذي يلي أدوات الشرط يخلو من الدلالة على الزمان، سواء أكان على (يفعل) أم على (فعل) والماضي المستعمل مع (إن) و(إذا) و (لو) ماض غير حقيقي، ماض في اللفظ فقط)[٦]. ولو لاحظنا الآيات التي تتركب بأسلوب الشرط نجد أن جواب الشرط جاء متأخراً وهو قوله تعالى (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ) فإذا أردنا تقدير معنى الكلام يكون بعد كل آية شرطية نفس الجواب أي: (إذَا الشمسُ كُورَتْ)، (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ)، (وَإِذَا النجومُ انكدرَتْ)، (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ)[٧]، وهكذا بقية الآيات الكريمة، فجواب الشرط لابدّ من وجوده، وهذا التركيب في الحقيقة يتفرد به القرآن الكريم ، لأنه ذكر وقائع يوم القيامة في عدة آيات متعاطفة وجعل هذا التصور بمثابة واقع الحصول بصيغة الماضي الدال على المستقبل، فالجواب المتأخر عن كل هذه الآيات إنما سوّغ له وحدة الموضوع، على اعتبار المشهد القرآني مخصوص بحدث واحد ألا وهو وقائع يوم القيامة.

ومن دلالة (إذا) هي أن تأتي بسياق واقع الحصول وغير مشكك به، على عكس (إن) التي تستعمل للمشكوك في حصوله[٨]، لذلك لم تأت الآيات مفتتحة بـ (إن) لان كلام الله تعالى لا شكّ فيه ولا ريب هذا من جهة، والجهة الثانية هي توجيه المتلقي إلى أنّ هذه الوقائع حاصلة وواقعة لا مناص.

ونجد أيضاً في تركيب الجملة الفعلية نسق القسم في قوله تعالى (**فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ**) (التكوير:١٥) وفي هذه الآية الكريمة افتتاح بحرف الفاء الذي هو لتفريع القسم وجوابه على الآيات السابقة باعتبار أن الكلام السابق أفاد تحقيق وقوع البعث والجزاء، والتفريع هنا تفريع معنى وذكر أي ذكر كلام على كلام آخر لوجود مناسبة ووحدة بينهما فمعنى لا اقسم هو في الحقيقة إيقاع للقسم و (لا) هنا هي زائدة[٩].

دلالة التركيب في الجملة الاسمية: تركيب الجملة الاسمية في سورة التكوير يدخل فيه أكثر من تركيب نحوي فأول ما يطالعنا القسم (**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ**) (التكوير:١٧-١٨)، فالواو في الاستعمال اللغوي يكون بداية للقسم، وقد افتتح القرآن الكريم كثيراً من السور بالقسم، وهذا يدلّ بطبيعة الحال على عظم ما يقسم به[١٠].

عند النظر إلى سياق الآيتين الكريمتين نلاحظ أن القسم وقع بأشياء مألوفة عند الناس، فذهاب الليل وطلوع النهار من الأمور المتعارف عليها عند كل البشر، ولعل سائلًا يسأل لماذا أقسم الله تعالى بأمور متعارف عليها، فلو أقسم بأشياء غير مألوفة يكتنفها الخيال والغموض لكان أوقع في النفس، وللرد على هذا الإشكال نقول: إن القسم بعلامة ذهاب الليل وطلوع النهار هو بحد ذاته آية كونية عظيمة لما تحمله من تعاقب الأجرام السماوية لتشكيل هاتين الظاهرتين، فهو من باب لفت الأذهان إلى دقة صنيع الله تعالى وعظمة خلقه جل جلاله، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن هذا القسم يظهر بأعلى مراتبه عندما يقرن بالنص اللاحق له، حيث يقول الله تعالى: (**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**) (التكوير:١٩)، حيث كان التشكيك من قبل المشركين على أن القرآن الكريم كان من صنع الرسول ﷺ فهنا الرسول الكريم هو جبرائيل عليه السلام بدليل أن الآيات اللاحقة تتحدث عن دفع الشبهة التي طالت الرسول محمد ﷺ من قبل المشركين بأنه مجنون (**وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ**) (التكوير:٢٢)، أي أن الآيات عالجت ودفعت الشبهة من قول المشركين، فتارة أثبتت أن الوحي نزل بالقرآن من الله تعالى، وتارة أخرى وفي نفس المقام أثبتت صحة نبوة الرسول الكريم ﷺ.

والملاحظ أن القسم في هذه الآيتين الكريمتين جاء ملابساً للشرط، وأن قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) بمثابة جواب الشرط وهذا الجواب جاء مؤكداً بأن (ولا يقتصر التوكيد في الجملة الاسمية المثبتة على مؤكد واحد ولكنه يتعداه إلى أكثر من مؤكد في الجملة الواحدة وذلك حين يراد دفع الإنكار وإقرار الأمر وتثبيته في نفوس المنكرين، ويعتمد القرآن الكريم في ذلك على (إنّ) في كل المواضع مضافاً إليها بعض وسائل التوكيد الأخرى كاللام ، والتقديم ...)[11]، فالتأكيد في هذه الجملة الاسمية جاء مؤكداً بأكثر من مؤكد وإنه دليل واضح على أهمية ما يريد القرآن تأكيده في هذه الآيات حيث قبل التأكيد كان القسم ومع القسم جاء الشرط، فهذه الأساليب النحوية إنما تتضافر وتتوحد لترسيخ وتثبيت عقيدة مهمة يُلزم القرآن بها المشركين والمشككين بصحة نزول القرآن من الله تعالى وكذلك دفع التهم التي وجهوها للرسول ﷺ.

وفي قوله تعالى (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) نجد أسلوب النفي، فالله تعالى بعد القسم المتقدم في الآيات السابقة يعطي جوابا لهذا القسم فكأنما هذه الآيات الكريمة (**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**) (التكوير:١٩- ٢٥) جواباً لإتلافً أو ملابسة القسم والشرط؛ (لأن نفي الجملة الاسمية لم يأت إلا مؤكداً وقد استعمل القران الكريم في ذلك أدوات للنفي ... وإن أغلب النفي بـ (ما) على النفي بغيرها، ...، والنفي فيها مؤكد بتقديم الجار والمجرور، وبحرف الجر

الزائد الباء)[١٢]، فالآيتان اللتان جاء فيهما النفي مؤكداً بحرف جر زائد هما (**وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ...، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**) (التكوير:٢٢،٢٥)، فبعد التأكيد بالقسم وبزيادة الباء بعد النفي يكون القرآن قد نفى اتهام المشركين للرسول ﷺ، فوصفه الله تعالى بأنه صاحبهم، وإنهم يعرفون خلقه وينعتونه بالصادق الأمين، فشأن الصاحب أن لا تخفى دقائق أحواله على أصحابه، فالصحبة هنا هي صحبة اجتماعية تواصلية لا صحبة دين وعقيدة، فالذي تكذبونه وتصفونه بالجنون ليس بمجنون وإنكم مخالطوه وملازموه وتعلمون حقيقته[١٣].

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) معطوف على قوله تعالى: (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) فالضمير عائد على الرسول ﷺ حيث وقع العطف على جملة (صَاحِبُكُمْ) للإشارة إلى إن الرسول كان يتلقى الوحي من جبرائيل عليه السلام وليس من جني كما يزعم المشركون، وهذه الآية في مضمونها تكذب قول المشركين وزعمهم واتهامهم بأن الرسول مجنون[١٤].

أمّا في قوله تعالى: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) فالنفي فيها مؤكد بتقديم الجار والمجرور بالإضافة إلى حرف الجر الزائد، (وقد دخل حرف الجر الزائد على الخبر وفصل الجار والمجرور بين الاسم والخبر)[١٥]، وقد قُدم الظرف في هذه الآية للاهتمام بالمتقدم وهو هنا الغيب (لاهتمام المخاطب بالغيب وشكه فيه فيؤكد الله تعالى أن الرسول ﷺ أمين على الغيب الذي يحدثكم فيه ولظنهم أن لكل شاعر شيطانا يأتيه بالقول الفريد وان لكل كاهن شيطانا يأتيه بالغيب البعيد، لذا جاء هذا المقطع من هذه السورة لينفي كل ما تقوّله عليه بصيغة النفي الإنكاري المؤكد وبحجج دامغة وهو قوله تعالى (صاحبكم) لان الصاحب هو المعروف عندهم فما عرفوا عنه إلا الصدق واليقين)[١٦].

ونجد هنا أسلوب الاستفهام في قوله عزّ وجل (**فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ**) (التكوير:٢٦)، فالله تعالى يريد أن يوبخهم من خلال هذا السياق ولا يرد أن يستفهم، فالله عز وجل علام الغيوب ولا يخفى عليه شيء، (جملة (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) معترضة بين جملة (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) وقوله (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) والفاء لتفريع التوبيخ والتعجيز على الحجج المتقدمة المثبتة أن القرآن لا يجوز أن يكون كلام كاهن، ...، و(أين) اسم استفهام عن المكان وهو استفهام استنكاري عن مكان ذهابهم، ...، ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملاً للتعجيز عن طلب طريق يسلكونه إلى مقصدهم من الطعن بالقرآن)[١٧]. وفي قوله تعالى (**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**) (التكوير:٢٧) نجد استعمال أداة النفي (إن) مع أداة الاستثناء (إلا) وهذا الأسلوب يسمى أسلوب القصر، فهنا نفي لقول المشركين أن يكون كلام الله تعالى هو قول صادر من مجنون، وفي قوله (**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**) (التكوير:٢٩) استعمال أداة (ما) مع (إلا)، فهنا أيضا يكون أسلوب قصر، فمشيئة الله تعالى متقدمة بكل الأحوال والظروف على مشيئة العبد[١٨]■

(١) تفسير جوامع الجامع/الشيخ الطبرسي/ج٣ص٦٧٣.
(٢) الدلالة اللغوية عند العرب ، ١٩٤ .
(٣) ينظر : علم الدلالة بين النظرية والتطبيق ، الدكتور حمدي بخيت عمران ، ٣٩ .
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور ، ١٤٠/٣٠ .
(٥) ينظر : في النحو العربي / نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، ٢٨٤ .
(٦) ن.م/ص ٢٩٦.
(٧) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ١٤٠/٣٠ .
(٨) ينظر : معاني النحو ، فاضل السامرائي ، ٧١/٤ .
(٩) ينظر التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ١٥٢/٣٠ .
(١٠) ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم ، بنت الشاطئ ، ١٠٣/١ .
(١١) لغة القران الكريم في جزء عم ، محمود احمد نجله ، ٤٧٧.
(١٢) ن.م/ص ٤٧٩ .
(١٣) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ١٥٨/٣٠ .
(١٤) ينظر : المصدر نفسه ، ١٥٩/٣٠ .
(١٥) المصدر نفسه، ٣٠/ ٤٧٩ .
(١٦) سورة التكوير دراسة أسلوبية لغوية ، هدى هشام إسماعيل ، مجلة الإمام الأعظم ، العدد ١٠ ، السنة ٢٠١٠ ، ص ٣٣ .
(١٧) التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ١٦٤/٣٠ .
(١٨) سورة التكوير دراسة أسلوبية لغوية ، ٣٤ .

قال الإمام أبي الحسن علي بن محمّد الهادي عليه السلام

ليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون

تحف العقول / ابن شعبة الحراني/ ص٤٨٩

الجناس في القرآن الكريم ببعديه المعنوي والجمالي

د. مصعب مكي زيبة
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

ينابيع يمثِّل الجناس إيقاعاً داخليّاً، وجرساً إيحائيّاً، إذ يُسبغ على النصّ تفاعلاً جماليًّا بينه وبين المتلقّي، وهو عند البلاغيِّين: ما اتَّفقت ألفاظه، واختلفت معانيه[1]، أو هو ضرب من التكرار اللفظي الذي يولِّد نغماً موسيقيّاً، وهو عبارة عن تشابه لفظتين في النطق واختلافهما في المعنى[2]، عندها يُسبِّبُ تناسباً قائماً بين الصوت والدَّلالَة، وهذا (التناسب بوصفه مقياساً جماليًّا له أهمِّيَّته في التأثير الإيجابيِّ على المتلقّي، وكسب تفاعله، وإعجابه؛ ولهذا ارتبطت

تلكَ المحسِّنات البديعيَّة عند أكثر البلاغيِّين بما [أسموه] المناسبة والملاءمة والترابط والتلاحم، وغير ذلك)[٣]. ويكمن جماله في جرسه الموسيقيّ حينما يأتي في السياق من دون تكلف، ممَّا يضفي على دلالة المعنى بعداً جديداً يمنح الملتقّي فضاء الإصغاء، والتلذُّذ بالعمل الفنِّي الذي يعطي للمعنى ظلالاً وإيضاحاً متناغماً مع موسيقى النصّ.

والجناس أنواع، منه جناس الاشتقاق، وهو أن يجمع اللفظين اشتقاق في الجذر اللغوي الواحد، فيتجانس اللفظان في الأصل، ويختلفان في الهيئة، إذ إنَّ كلاً منهما على صورة من صور الاشتقاق، مع المحافظة على ترتيب الحروف الأصليَّة في اللفظتين[٤]، وهو الجناس الأكثر انتشاراً في القرآن بصورة عامَّة، وإذا ما أُريد بيان سبب كثرة ظهور الجناس غير التامّ، فيمكن القول: إنَّه راجع إلى عاملين اثنين:

أحدهما: دلاليّ يتعلَّق بوضوح المعنى؛ لأنَّ الاشتقاق من جذر واحد، ومادَّة لغويَّة واحدة، يعني تكرير الجذر؛ ممَّا يساعد على رسوخه في الذهن.

والآخر: يتعلَّق بالجانب الموسيقيّ الذي يخلّفه التقارب والتآلف بين الألفاظ المتجانسة. فالجناس يضمُّ في طيَّاته رشاقة اللفظ، ووضوح الدَّلالة؛ ممَّا يؤثر في المتلقِّي؛ لأنَّه (من الحُلى اللفظيَّة، والألوان البديعيَّة التي لها تأثير بليغ، تجذب السَّامع، وتُحدث في نفسه ميلاً إلى الإصغاء، والتَّلذُّذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلةً مستساغة، فتجد من النَّفس القبول، وتتأثَّر به أي تأثير، وتقع في القلب أحسن موقع)[٥].

وممَّا يُلاحظ أنَّ الجناس في القرآن لم يُستعمل على أنَّه محسن لفظيّ وحسب، فقد أفاد الدَّلالَة المعنويّة في بُعد إعجازيّ، إذ (لا تَسْتَحْسِنُ تجانُسَ اللَّفظتَيْنِ إلاَّ إذا كان مَوْقعُ مَعْنَيَيْهِما من العقل موقعاً حميداً، ولم يَكُنْ مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمىً بعيداً)[٦]. ونضرب لهذا الشأن مثالاً واحداً، حَتَّى يتَّضح ذلك البعد الإعجازيّ الذي يتميَّز به القرآن الكريم، فقد قال تعالى في سورة النمل: (**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ**)(النَّمل:٩٢).

إذ استعمل جناس الاشتقاق في: (اهْتَدَى يَهْتَدِي)، والذي جرى بين الفعل الماضي (اهتدى) الذي يشير إلى العمل الصالح الذي جرى في الدنيا، والفعل المضارع (يهتدي) الذي يشير إلى الحاضر وما سيؤول إليه ذلك العمل الصالح من عاقبة حميدة، ولم يُستعمل الجناس في (الضلال)، إذ لم يقل: (وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا)، مثلما استعمل هذا التركيب في سورتي: يونس والإسراء. إذ قال سبحانه وتعالى فيهما:

(**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ**)(يونس:١٠٨).

(**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**) (الإسراء:١٥).

والسبب الرئيس في ذلك يرجع إلى السياق، إذ يُلحظ ما يأتي:

١- إنَّ الآية التسعينَ من سورة النمل مستوفية للمعنى الذي جاءت به آيتا سورتي يونس والإسراء في أنَّ الضلال مآله على الفرد الضَّالِّ، فلا حاجة بعد ذلك إلى التكرار، ولاسيَّما أنَّها قريبة عهد من الآية

الثانية والتسعين، فقد ورد فيها قوله تعالى: (**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) (النَّمْل:٩٠)، فلم تحتج إلى التفصيل الموجود في آيتي يونس والإسراء. وهذا يدلُّ على ترابط البنية الكليَّة لآيات القرآن الكريم بقصديَّة محكمة ولاسيَّما في الآيات ذات المضامين المتشابهة.

٢- إنَّ سورة النمل موجهة في خطابها إلى الرسول الأعظم ﷺ، ونجد ذلك في قوله تعالى: (**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِه وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**)(النَّمْل:٧٨). و(**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**) (النَّمْل:٧٩).و(**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**) (النَّمْل:٨٠)، (**وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ**)(النَّمْل:٨١). و(**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**) (النَّمْل:٩١)، وغيرها من الآيات الكريمة التي تخاطب الرسول ﷺ، ولهذا جاء تعقيب الآية (الثانية والتسعين) من سورة النمل بما يتناسب مع هذا الخطاب، فقال سبحانه: (وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ)، إذ ركَّزت على أهمية الإنذار للرسول ﷺ؛ ولهذا لم يأت الجناس في الضلال، بخلاف آيتي (يونس، والإسراء).

ومن هنا لا نتَّفق مع الرأي القائل: بأنَّ الجناس المعتمد على الاشتقاق، هو (أضعف أنواع الجناس من حيث القيمة الفنيَّة، والطاقة الشعريَّة؛ لأنَّ المعنى في هذه الحالة لم يتغيَّر في أصله، وإنَّما تبدَّل شكل الكلمة الصرفيّ، فحسب)[٧].

فقد ظهر لنا من دلالة السياق أنَّه مطلب دلاليّ ومطلب فنِّيّ، ثُمَّ أنَّه لو كان هذا النوع من الجناس ضعيفاً حقّاً لما كثر في القرآن الكريم، وهو النصُّ الأوَّل من حيث الإعجاز الأسلوبيّ. (فالجناس يقوم على مفارقة بين وجهي العلاقة اللغويَّة، إذ إنَّ الأصل فيها أن يطابق وجهها الحسِّي (الدالّ) مدلوله (المعنويّ)، ولكنَّ الجناس يشوِّش ذلك التطابق؛ فيفتق تلك اللحمة ويخيِّل بوحدة صوتيَّة بين ألفاظ متباعدة في الخطاب، ولكنها تخفي اختلافا في الدلالة)[٨]. فليس هناك ضعف في جناس الاشتقاق، بل هو أداة دَلاليَّة، فضلاً عن الثراء الجماليّ الذي يمنحه للنصّ، فالجناس هو (صوت يوحي بمعناه)[٩].

ومن أنواع جناس الاشتقاق جناس المماثلة وهوالجناس الذي يكون الكلام فيه مفتقراً إلى جواب، إذ يكون جوابه مماثلاً للفظة في نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها[١٠]، وهو يعتمد على عملية ذهنيَّة دقيقة، ولابدَّ من أن يشاركها حدس داخليّ أيضاً، ذلك أنَّ الدالَّ يرد عنصراً في بنية الأسلوب، ومن يشغل الذهن فوراً، بالارتداد إلى المدلول، لا بدلالة المطابقة أو عدمها، وهذه مرحلة أوليَّة تسبقها عملية (تخزين) في الذاكرة، إذ تتراكم الدوال ملازمة لدوالها تارة، ومنحرفة عنها تارة أخرى[١١]، وذلك كقوله تعالى: (**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**)(البَقَرَة:١٩٤)، (أي جازوه بما يستحقُّ في طريق العدل، وهنا استعير للثاني لفظ الاعتداء؛ لتأكيد الدَّلالَة على المساواة في المقدار، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان)[١٢].

فقد أدّى الجناس هنا بعداً دلاليّاً من باب الإذن بالردِّ على المعتدي بالاعتداء، وذلك لضمان حقِّ المُعْتَدَى عليه، وهو وسيلة ردع لمن تسوّل له نفسه الاعتداء. ويُعبَّر عن هذا النوع من الجناس بـ (المزاوجة)[١٣] ، ونجد هذا النوع في قوله تعالى: (**وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**)(النّمل:٥٠)، والمكران في الآية يختلفان، فمكر الكفّار باطل وزائل وفانٍ، ومردود؛ لأنّه مبني على الخديعة والغدر، وعدم الوفاء، أمّا مكر الله سبحانه وتعالى فهو مكر حقيقيّ يقع موقعه، وهو من باب إمهال الكفّار؛ ليزدادُوا أثماً، وإمدادهم بأنواع النعم؛ ليتمادَوا في غيِّهم وكفرهم، فتُقام عليهم الحجّة. وقد نسب (المكر) لله سبحانه من باب الازدواج في اللفظ، ومشاكلة فعلهم بالمثل. ويرى الراغب الأصفهانيّ أنّ لفظة المكر لها معنيان: (**مكر محمود، وذلك أن يتحرّى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)**(آل عمران:٥٤)، ومذموم وهو أن يتحرّى به فعل قبيح)[١٤]. وعلى هذا الأساس يُمكن أنّ نعدّ الجناس في الآية الكريمة جناساً تامّاً، فالمكر الأوّل معناه: ومكروا مكراً مذمومًا، والثاني: ومكرنا مكراً محموداً، ويمكن عدُّه جناسًا مشتقّاً؛ وذلك بالنظر إلى لفظتي (ومكروا) و(مكرنا)، إذ إنّهما قد اشتقّا من مادّة لغويّة واحدة■

١-معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها: ج٢/ص٥٢.

٢-ظ: العمدة في مَحَاسِن الشعر وآدابه ونقده: ج١/ ص٣٢١.

٣- عناصر الوظيفة الجماليّة في البلاغة العربيّة: ص١٨٨-١٨٩.

٤- ظ: الإيضاح في علوم البلاغة: ص٥٤٢.

٥- البديع في ضوء أساليب القرآن: ص١٥٥.

٦-أسرار البلاغة: ص٧.

٧- عناصر الوظيفة الجماليّة في البلاغة العربيّة: ص٩٢.

٨- دروس في البلاغة العربيّة، نحو رؤية جديدة: ص١٥٦.

٩- جرس الألفاظ ودلالتها: ص٢٧٦.

١٠- ظ: الطراز: ج٢/ ص٣٨٧

١١- ظ: بناء الأسلوب في شعر الحداثة ـ التكوين البديعيّ: ص ٣٢٣.

١٢- النكت في إعجاز القرآن: ص ٩٩، وظ: إعجاز القرآن: ص٢٧١.

١٣- هو أن ((يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء))، الإيضاح في علوم البلاغة: ص٣٢٩.

١٤- البصائر والذخائر: ج٤/ص٥١٦.

قال الإمام الكاظم عليه السلام:

رجب شهر عظيم يضاعف الله فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات، من صام يوما من رجب تباعدت عنه النار مسيرة مائة سنة ومن صام ثلاثة أيام وجبت له الجنة.

(ثواب الأعمال/ الشيخ الصدوق/ ص٥٤)

تداعيات فهم الناسخ والمنسوخ في القرآن عند المستشرقين

أ.م.د. عادل عباس النصراوي
كلية التربية الأساسية – جامعة الكوفة

ينابيع بحث المستشرقون في أمور إسلامية وعربية كثيرة، وكتبوا في ذلك الكثير حتى أصبحت بعض آرائهم تدرس في جامعاتنا ومعاهدنا، فقد كتبوا في التراث العربي والإسلامي، في التاريخ واللغة والقرآن والمذاهب والتيارات الإسلامية، ولم يكتفوا بدراسة العموميات، بل تعمقوا في دراسة أدق التفاصيل في العقيدة والشريعة، ومن الامور التي كان لهم فيها آراء هي الدراسات القرآنية، ومنها الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

ومن الذين بحثوا في هذه القضايا المستشرق كولدزيهير وكان يعزو النسخ في القرآن إلى التطور الداخلي فيه، ويرى أنّ النبي محمد ﷺ قد أُرغم واضطر إلى ذلك، فقال: (إنّ الرسول نفسه قد اضطر بسبب تطوره الداخلي الخاص وبحكم الظروف التي أحاطت به إلى تجاوز بعض الوحي القرآني إلى وحي جديد في الحقيقة، وإلى أن يعترف أنه يُنسخ بأمر اللّه ما سبق أن أوحاه إليه)[1].

فهو يشير إلى أنّ القرآن بيد محمد ﷺ يفعل به كيفما يشاء بحسب الظروف التي تحيطه فيشرّع ما يشرّع، وينسخ ما ينسخ، بعد أن يتجاوز الوحي الذي جاءه من قبل.

من تداعيات هذا الرأي أنه كان يرى أنّ من الأوْلى أن يقع النسخ بعد النبي ﷺ عند توسّع الدولة الإسلامية واحتياجها إلى قوانين متطورة لتساير حركة التطور، فوسّع من النسخ إلى أبعد من دور العصمة النبوية، فيقول: (فإذا كان الأمر كذلك في عصر النبي، فمن الأوْلى أن يكون كذلك – بل أكثر من ذلك – عندما تجاوز الإسلام حدود البلاد العربية وتأهّب لكي يصير قوة دولية)[2]، وهذا التوجه في النسخ إنما ينطلق به من المنهج الذي يتبعه المستشرقون في دراسة التراث العربي الإسلامي بأدوات غربية، فمثل كولدزيهير وغيره لا يؤمنون بالوحي، لذا كان عليهم أن يجدوا ما يتلاءم مع مناهجهم فذهبوا في النسخ وفي غيره من علوم القرآن هذا المنهج الذي لا يتفق مع طبيعة الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية عمومًا.

غير أنّ المنصفين من المستشرقين لا يروْن هذا الرأي بل حصروا مسألة النسخ بالعصر النبوي، قال المستشرق مايكل كوك: (إنّ محتوى الوحي المنزّل عرضة للتغيير من عهد نبوي الى عهد نبوي آخر)[3]، وغير متجاوز لعصر النبوة، بعد انقطاع الوحي، لأنّ أيَّ تغير أو نسخ في القرآن يُعدُّ تحريفًا، وأنّ ليس لأحدٍ فِعْلُ ذلك بعد النبوة.

أمّا مونتجمري واط فكان يرى في النسخ أنّ النبي محمد ﷺ ما كان ليُقحم آياتٍ من تأليفه في القرآن، وأنّه ﷺ كان يميّز بين ما يُوحى إليه وبين ما ينتجه عقله الواعي[4]، وأمّا مفهوم النسخ عنده فهو تصويب للنص، قال: (وربما يكون قد حاول ـ أي النبي محمد ﷺ ـ أن يُصوّب النصّ إذا أحسَّ أنّ النصّ الموحى به يحتاج الى إصلاح)[5]، وهذا مفهوم خاطئ للنسخ، لأنّ النصّ القرآني محفوظ بعناية اللّه سبحانه، قال تعالى: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)(الحجر:٩)، لكنه فَهِمَ النسخ بمعنى إصلاح الخلل، فيما أنّ الرؤية الإسلامية له أنّه إبدال حكم ثابت بحكم آخر، تبعًا للظروف التي أحاطت بالنصّ الحامل لذلك الحكم.

ويذهب إلى هذا الرأي في النسخ أيضًا المستشرق (رودونسون) في كتابه (محمد) الذي ينقل لنا آراءه الدكتور ساسي سالم الحاج وقد استشهد بآراء (ريتشارد بيل) في ذلك فيزعم (أنّ القرآن الموجود بأيادينا تعرّض لمراجعات عديدة، وأنّ هذا العمل قد أُنجزَ تحت رعاية محمد ﷺ إن لم يكن قامَ به من تلقاء نفسه، إنّ هذه المراجعات لم تكن خالية من الأخطاء والنتائج السيئة فإنّ اللّه يُعيدُ وحيه ويكمله ويغيّره)[6]، فهو يتصوّر القرآن من تأليف النبي محمد ﷺ وهو وحده الذي يزيد أو ينقص أو يصحح به كيفما

يشاء، ولا يرى أنه وحي من الله، لأنّ في عقيدته أنّ القرآن من صنع محمد ﷺ، وإنّ النبي عندما كان يصدر هذه التصحيحات والمراجعات ينسبها إلى الله تعالى ـ بحسب زعمه ـ وفضلًا عن ذلك كان رودنسون يرى أنّ مسألة النسخ في القرآن كانت بدافع مراعاة الضَعْف الذي يعتري البشر، فبالنسخ يخفّف عنهم الواجبات الملقاة عليهم فيكون ذلك بنسخ الأحكام وإحلال أحكام بدلها أخفّ منها[٧].

فيما يرى المستشرق (روبير برونشنج)، في دراساته الإسلامية إنّ النسخ ما كان إلاّ بسبب التناقض، ولأجل تجاوز التناقض في النصّوص القرآنية شُرِّع النسخ، والنسخ عنده (يعني رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخّر عن دليل ذلك الحكم)[٨]، غير أنّه كان يرى أنّ من الصعوبة قبول التغيير أو التبديل في القوانين الإلهية الصادرة عن الله المتّصف بالحكمة والخلود[٩]، وهذا مما يومئ إلى أنّ النسخ مما يتصف به عمل البشر في الأحكام الوضعية، وهذا الرأي مصدره من كونه يرى أنّ القرآن من تأليف النبي محمد ﷺ لا من الله تعالى.

فضلاً عن ذلك كان يجد في التناقض الذي يدّعيه في النصّ القرآني معنى التعارض بين الآيات القرآنية المُدّعَى فيها النسخ، وقد ألمحنا من قبل إلى الفرق بين المصطلحين.

إذن، من مجمل ما قدّمنا من آراء بعض المستشرقين لقضية النسخ في القرآن الكريم نجد أنّهم قد عارضوا هذه القضية، ويرون أنّ ما قام به المسلمون في النسخ لم يلجؤوا إليه إلاّ لإزالة التعارض بين الآيات المتناقضة، مع علمنا أنهم لا يروْن فرقًا بين التعارض والتناقض كمصطلحين عاملين في البحث القرآني والفقهي، ثم أنهم لا يقرّون بحكمة النسخ، طبقًا للنظرية الإسلامية ويُرجع الدكتور حسن حنفي ذلك إلى تشبث المستشرقين بالمناهج العلمية التي لا تقرّر في النهاية الإيمان بالوحي الإلهي من الناحية العقلية، وبيان ذلك أن النسخ في القرآن يدلّ على وجود الوحي في الزمان وتغيرّه طبقًا للأهلية، ومن هنا كان خطل الرأي الذي يتصوّر الوحي الإلهي خارج الزمان، والتشريع خارج تطور المجتمعات[١٠]، ويرى الدكتور الساسي، أنّ منهجهم هذا مصدره عدم إيمانهم بالتطوّر والتدرّج في التشريع كما يُؤمن به المسلمون، ولا يعتقدون أنّ النسخ تمليه طبيعة المجتمع وتطوّره من حالة إلى أخرى[١١].

بيد أنّ تغيّر الأحكام بحسب قانون التدرّج ليس من النسخ في شيء، كما صوره الدكتور الساسي ونسبهُ الى المستشرقين، وقد نبّه إليه كثير من علمائنا القدامى والمعاصرين منهم الإمام أبو القاسم الخوئي عند مناقشته بعض الآيات التي ادُّعي نسخها وبُنيت فيها الأحكام على التدرّج من نحو النسخ في آيات الجهاد عندما لم يكن الإسلام وقتها قويًا ثم قويت شوكته، قال (إنّ النبي الأكرم لم يُؤمرَ بالجهاد في بادئ الأمر، لأنّه لم يكن قادرًا على ذلك حسب ما تقتضيه الظروف من غير طريق الإعجاز وخرق نواميس الطبيعة، ولمّا أصبح قادرًا على ذلك، وكثر المسلمون، وقويت شوكتُهم، وتمّت عِدّتُهم وعُدّتهم أُمرَ بالجهاد، وقد أسلفنا أن تشريع الأحكام الإسلامية كان على التدريج، وهو ليس من نسخ الحكم الثابت بالكتاب في شيء)[١٢]، وإلى هذا يذهب الدكتور نصر حامد أبو

زيد، إذ يعدّ التدرّج في الأحكام من باب المنسأ وقد أخرج العلماء المنسأ من باب الناسخ والمنسوخ، قال: (إنّ تحديه وظيفة النسخ، في التسهيل والتيسير والتدريج في التشريع، تجعل المنسوخ كله من باب (المنسأ) ويكون معنى التبديل في الآيات ... هو تبديل الأحكام لا تغيير النصّوص بإلغاء القديم بآخر جديد لفظًا وحكمًا، وأنّ فهم معنى (النسخ) بأنّه الإزالة التامة للنص تتناقض مع حكمة التيسير والتدرّج في التشريع)[١٣].

إنّ إيمان المستشرقين بكون النسخ في القرآن مبنيًا على التدريج ـ كما وضحنا ذلك ـ قد قادهم إلى الطعن بالقرآن الكريم والدين الإسلامي وإظهاره دين حرب وقتال من خلال نظرتهم إلى ظواهر النصّوص القرآنية التي تدعو للجهاد، فصّوروا الإسلام دين حرب لا دين سلام بسبب من رؤيتهم السطحية لظاهرة النصّوص الداعية إليه، فهذا كولدزيهير يدرس ما جاء في آية السيف، ويستشف منها دعوةً إلى قتال المشركين أينما وُجدوا بل يرى من خلالها أنّ قتالهم واجبٌ يفرضُه النصّ المبارك بسبب من تغيّر الزمن الذي فرض عليه سلوكًا آخر مع المشركين لا يدعو إلى المهادنة والمصالحة كما كان من قبل في أيام ضَعْفه في مكة فيقول: (فمنذ تركه مكة تغيّر الزمن ولم يصر واجبًا بعد (الإعراض عن المشركين) أو دعوتهم كما يقول القرآن (**بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**) (النحل:١٢٥)، بل حان الوقت لتتخذ كلمته لهجة أخرى (**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**)(التوبة:٥)، (**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ**) (البقرة:٢٤٤)[١٤]، متغافلًا السبب الذي نزلت فيه هذه الآية المباركة الذي خصَّ مجموعة من المشركين لا عمومهم ممّن نقض العهد والميثاق الذي عُقد بين الرسول ﷺ وحلفائه مع قريش وحلفائها[١٥].

فضلًا عن ذلك أنّه كان يجهل فنون اللغة العربية وعلومها، ولو كان له علم بذلك لعرف ما يُوحيه التركيب اللغوي للآية الضامن لحقن دماء الناس غير الذين نقضوا العهد من مشركي مكة، إذ أظهرت الدلالة اللغوية والنحوية لمجمل الآية المباركة حصر القتل بأولئك المشركين لا عموم من أشرك بالله ولم يعتد على الإسلام والمسلمين أو من له عهد وميثاق[١٦] بل إنّ الإسلام قد حقن دم بعض أولئك المشركين ممن استجار به واستثناه من القتل، إذ أردف آية السيف بقوله تعالى: (**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ**)(التوبة:٦)، وكذلك حقن دم من كان له عهد وميثاق مع النبي ﷺ واستقام في سيرته مع المسلمين، قال تعالى: (**كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**) (التوبة:٧)، فهذه الاستثناءات من المشركين دليل على عدم عمومية المشركين بل كانوا مجموعة مخصوصة ممّن نقض العهد مع النبي(ص) وقتل حلفاءه من خزاعة في مكة قبل الفتح إذ استنجد به واستغاثه زعيمهم، فأقرّ الرسول محمد ﷺ عينَهُ، وكان ذلك سببًا لفتح مكة وتطهيرها من رجس الكفر والأوثان.

ثمّ أنّ كولدزيهير يذهب إلى أبعد من

ذلك عندما صوّر النبيّ محمدًا ﷺ نبي حرب يحمل سيفه الدامي لإقامة مملكته، حين يقول: (بعد أن كانت الرؤيا له تكشف انهيار هذا العالم السيء، انتقل فجأةً إلى تصوّر مملكته في هذا العالم، وقد أدّى هذا الطابع إلى نتائج كانت محتومة بسبب التغيّر السياسي الذي أثاره في الجزيرة العربية نجاح تبشره، والدور الشخصي الذي قام به وكان له الأثر الكبير في توجيه الدعوة، فهو الآن يحمل السيف في العالم، ولا يكتفي بـ (عصاه التي يضرب الأرض) ولا بنفثات شفتيه لإبادة الكفرة، بل هو نفير الحرب الذي كان ينفخ فيه، وهو (**السيف الدامي الذي رفعه لإقامته مملكته**)[١٧] ، فهو بقوله هذا يريد أن يقول أن النبي محمد ﷺ بنزول آية السيف قد ألغى كل أشكال الموادعة والمصالحة مع المشركين الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية، وأن هذه الآية قد نسفت كل أحكام الآيات التي تدعو للصلح والمهادنة مع غير المسلمين، فعندما كان النبي محمد ﷺ وأصحابه ضعفاء في مكة كان لا يدعو للجهاد أو قتال المشركين لضعفه، غير أنّه بعد أن قويت شوكة المسلمين في المدينة أعمل السيف ليكون هو الفيصل مع كل من لا يجد في الإسلام دينًا يتّبعه.

ولم يلتفت كولدزيهير إلى أنّ هذه الآية تُعالج حالة خاصة مع مشركي مكة ممّن تحالف مع قريش ضد النبي محمد ﷺ وكانت الآيات الداعية إلى الموادعة لم تتفق معها في موضوع، ومعلوم أنّ من شروط النسخ وحدة الموضوع في الناسخ والمنسوخ ووقوع التناقض والتنامي المفضي إلى النسخ، فعندما فُقد الأمر سقط النسخ.

إذًا، فَهِمَ المستشرقون وقوع النسخ في القرآن بسبب التدرّج في نزول الأحكام للموضوع الواحد، ووجدوا أنّ ما نزل متأخرًا ناسخٌ لما سبقه، ولم يعلموا أنّ التدرّج لم يكن فيه إلغاءً أو إزالة لحكم بقدر ما كان انتهاء لحكم معيّن محدّد بزمانٍ معيّن، وإحلال حكم آخر امتدادًا له ليعالجَ قضايا أخرى مستجدة في الواقع لا يقوى الحكم السابق على حلّها، وبذلك لا يكون الحكم المتأخّر مزيلًا للمتقدّم منها كي يُسمى نسخًا■

١- العقيدة والشريعة في الإسلام / كولد زيهير : ٣٣ .
٢ - م . ن : ٣٣ .
٣ - محمد نبي الإسلام / مايكل كوك : ٥٥ .
٤ - ظ : محمد في مكة / مونتجمري : ١٢٢ .
٥ - م . ن .
٦ - نقد الخطاب الاستشراقي / د . ساسي سالم الحاج : ١ / ٣٨٥ .
٧ - ظ : م . ن .
٨ - م . ن . : ١ / ٣٨٤ – ٣٨٥ .
٩ - ظ : م . ن : ٣٨٥ .
١٠ - ظ : دراسات إسلامية / د . حسن حنفي : ٣٣٤ – ٣٣٥ .
١١ - ظ : نقد الخطاب الاستشراقي / د . ساسي سالم الحاج : ١ / ٣٨٦ .
١٢ - البيان في تفسير القرآن / الإمام الخوئي : ٣٧٩ .
١٣ - مفهوم النصّ / د . نصر حامد أبو زيد : ١٢٣ .
١٤ - العقيدة والشريعة في الإسلام / كولدزيهير : ٢٧ .
١٥ - ظ : للمزيد في معرفة ظروف نزول سورة التوبة وتداعيات سبب النزول مراجعة كتابي (إشكالية البعد التأريخي للقرآن : ١٣٤ – ١٥٩) .
١٦ - تجد توضيح ذلك في كتابي (إشكالية البعد التأريخي للقرآن) إذ ضُمّت دراسة وافية عن سورة التوبة شملت الظروف التي أحاطت بنزولها والأحداث المواكبة لها منذ غزوة تبوك حتى فتح مكة، فضلاً عن الأثر الدلالي في تداعيات الأحداث في آية السيف من خلال بحث لغوي نحوي شامل لها . ظ : إشكالية البعد التأريخي للقرآن : ١٣٤ – ١٦٧.
١٧ - العقيدة والشريعة في الإسلام : كولدزيهير : ٢٧.

من شعر الحكمة :

قال أبو الأسود الدؤلي:

يـا أيّـُها الرَجُـلُ المُعَلِّـمُ غَـيرهُ ... هَـلّا لِنَفْسِـكَ كـانَ ذا التَعْليـمُ
لا تَنْـهَ عَـنْ خُـلُقٍ وتَـأتِيَ مِثْـلَـهُ ... عـارٌ عَليـكَ إذا فَعَـلتَ عَظِيـمُ
ابـدأ بِنفسِـكَ وانهـا عَنْ غَيِّها ... فـإذا انتهـتْ عنـهُ فـأنتَ حَكيـمُ
فَهُناكَ يُقبلُ ما وَعظتَ ويقتدي ... بالـرأي مِنـكَ ويَنفـعُ التَعليـمُ
تَصِفُ الدواءَ وأنتَ أولى بالدوا ... وتُعـالجُ المَـرضى وأنـتَ سَـقِيـمُ

وقال أيضًا:

حسدوا الفتى إذْ لم ينالوا سعيهُ ... فـالقـومُ أعـداءٌ لـهُ وخصـومُ
كضرائرِ الحسـناءِ قُلْنَ لوجهِها ... حَسـدًا وبغيًـا إنـه لـدميـمُ

وقال بشار بن برد :

إنَّ الكريمَ ليُخفي عَنْكَ عُسْرَتهُ ... حتى تَـراهُ غَنيًّا وهـو مَجْهـودُ
وللبخيـلِ على أمـوالـهِ عِلـلٌ ... زُرْقُ العُيـونِ عَلَيْها أوْجهٌ سُـودُ

وقال أيضًا:

إذا بَلَـغَ الـرّأيَ المَشـورَةَ فـاستَعِنْ ... بـرأي نصِيـحٍ أو نَصِيحـةِ حـازمِ
ولا تجعل الشُورى عليكَ غَضاضةً ... فـإن الخـوافي قُـوةٌ لـلقَـوادِمِ

وقال أيضًا:

إذا كُـنتَ فـي كُـلِّ الأُمـورِ مُعاتِباً ... صَـديقَكَ لَـم تَلـقَ الَّذي لا تُعـاتِبُه
فَـعِـش واحِـداً أَو صِل أَخـاكَ فَإِنَّهُ ... مُـفارِقُ ذَنـبٍ مَـرَّةً وَمُـجـانِبُـه
إِذا أَنتَ لَم تَشرَب مِراراً عَلى القَذى ... ظَـمِئتَ وَأَيُّ النـاسِ تَصفو مَشارِبُه

آمن الرسول

الترغيب والترهيب الحسِّي في الموت

الباحث: محسن عبد العظيم الخاقاني

تمهيد

إن الإنسان يمر بعدة عوالم في حياته، وينتقل من مرحلة إلى مرحلة، حيث تبدأ الحياة الدنيا للإنسان وينتقل من عالم الأجنة -الذي قضى فيه أجلاً معيناً- إلى عالم الدنيا عن طريق الولادة، فيقضي في الدنيا ما قدر الله سبحانه وتعالى له من العمر، وبعد إنهاء المدة المُقدرة يأتي الأجل المُسمى له، لينتقل من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ (وهو من محطات الآخرة) عن طريق الموت الذي يكون بالنسبة للحياة الآخرة ولادة جديدة للإنسان، إذ ينقله من عالم إلى آخر، وبعد أن يقضي في البرزخ أجلاً معيناً يأتي اليوم الذي يُبعث فيه الإنسان ليُحاسب على أعماله.

ونجد أنّ الإنسان يستوحش من ثلاثة أيّام، يوم يولد فيه فيرى هذا العالم الذي لم يعرفه، ويوم يموت ويرى عالم ما بعد الموت، ويوم يبعث حيّاً في عرصات القيامة

فيرى أحكاماً لم يرها في هذه الدنيا.. لذلك يذكر القرآن الكريم في شأن يحيى بن زكريا هذه الأيام الثلاثة، كما في قوله تعالى: (**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**)(مريم:١٥)، ويحكي على لسان عيسى بن مريم مثل هذا الكلام، فهذان النبيّان مشمولان بعناية الله في هذه الأيّام الثلاثة[١]، وقد خلق الله تعالى الخلق وخلق لهم الموت كما خلق لهم الحياة ليبتليهم في أعمالهم فيُجازي المُحسن بإحسانه والمُسيء بإساءته، قال تعالى: (**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**)(الملك:٢).

فالحياة الدنيا مجرّد لهو ومتاع، وتكون خادعة للإنسان، فإذا نظر إليها من بعيد وجدها غضّة جميلة المنظر، في لذائذها المادية تبدو وكأنها خالصة من كل شائبة، وخالية من كل ما يكدرها، فإذا اقترب إليها ولمسها عن كثب وجدها ممزوجة بكل ألوان العناء والعذاب، فجاء القرآن الكريم يحذر الإنسان كي لا يجعل هدفه الأخير ومقصده الوحيد والنّهائي هو الحياة المادية ولذاتها العابرة الفانية، وأمّا الانتفاع بالحياة المادية ومواهبها كوسيلة للوصول إلى التكامل الإنساني والمعنوي فليس غير مذموم فقط، بل هو ضروري وواجب[٢].

ويمثل الموت آخر يوم من أيّام الدنيا، وأوّل يوم من أيّام الآخرة لكلّ إنسان، وهو الحقيقة الثابتة التي دلّت عليها الأدلّة البرهانية، بل وصلت إليها الإدراكات الوجدانية، وكلّ منّا يعلم بالموت ويراه عن يقين وعيان، ويدركه عن حسّ يغني عن البيان والبرهان، فيلزم الاعتقاد بحقّانيّته والإقرار بأنّ كلّ حي سوى الله ميّت[٣].

وقيل: الموت في كلام العرب يطلق على السكون، يقال ماتت الريح إذا سكنت، والموت يقع بحسب أنواع الحياة، فمنها ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات، ومنها زوال القوة الحسية[٤]، وعُبر عن الموت بأنه (صفة وجودية خُلقت ضداً للحياة)[٥]، وتختلف أنواع الموت بحسب أنواع الحياة[٦]، **فالأول**: ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوان والنبات نحو قوله تعالى: (**وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا**)(ق:١١)، **والثاني**: زوال القوة الحساسة، ومنه قوله تعالى: (**وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ**) (مريم:٦٦)، **والثالث**: زوال القوة العاقلة، وهي الجهالة، نحو قوله تعالى: (**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**)(الأنعام:١٢٢)، **والرابع**: الحزن المكدر للحياة، ومنه قوله تعالى: (**وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ**) (إبراهيم:١٧)، والخامس المَنام، فقد قيل: النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل، وعليه سماه الله توفيًا، ويعتقد بعض الناس أن الموت يعنى الفناء وانتهاء الحياة، قال تعالى: (**وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**)(الأنعام:٢٩)، بينما الموت هو انتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى من المراحل التي قدرها الله سبحانه وتعالى لحياة الإنسان، وهو انتقال من دار العمل والتكليف الدنيوي إلى دار الجزاء بالثواب والعقاب الأُخروي.

والموت بالنسبة للإنسان هو العقبة الصعبة جداً وإنّ شدائدها وصعوباتها تحيط بالمحتضر من جميع الجهات، فمن جهة تواجهه شدة المرض، وشدة الوجع، واعتقال اللسان، وذهاب القوة من الجسم، ومن جهة أخرى يواجه بكاء الأهل

والعيال، ووداعهم له، وغَمٌ يُتْم وغربة أطفاله، ومن جهة ثالثة يواجه غمٌ مفارقته لماله ومنزله وأملاكه ومدّخراته وأشيائه النفيسة التي صرف عمره العزيز من أجل تحصيل المزيد منها، بل قد يكون أكثر ما عنده عائدًا للآخرين، وقد يكون بعضه قد تملّكه منهم بالظلم والغصب، وكم تعلقت من الحقوق الشرعية بأمواله ولم يؤدها، وهو الآن في تلك الحالة ينتبه إلى ما أتلفته وخربته أعماله[٧].

لذا فإن الموت وذكره شيء مهول ومخيف، وهو أشد ما يحاول المخلوق البشري أن يروغ منه، أو يبعد شبحه عن خاطره، ولكن أنى له ذلك، والموت طالب لا يمل الطلب، ولا يبطئ الخطى، ولا يخلف الميعاد، وذكر سكرة الموت كفيل برجفة تدب في الأوصال، وإنه ليرجف لصداها وهو بعد في عالم الحياة، فكيف به حين تقال له وهو يعاني السكرات[٨].

وصحيح أن الموت مجرد حالة انتقالية، لكنه مصحوب بالألم الشديد حال انتزاع الروح من أعضاء البدن، ويكون هذا الانتزاع تدريجياً من البدن الذي لم تفارقه كهذه المفارقة منذ وجدا في الحياة، وشدة التماسك بينهما، ومن هنا كان الموت لدى الأنسان مصحوباً بالخوف والدهشة، كونه انتقال من عالم معلوم محسوس إلى عالم آخر مجهول غيبي لا يُعلم كيفية التعامل فيه.

ولأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام كلام بليغ في إحدى خطبه يصف فيه لحظة الموت وسكراتها، ويصف الحالة الحسية للمحتضر بموت العضو بعد الآخر، ابتداءً من الأطراف (اليدين والرجلين)، ثم تغير الألوان، ثم بانتشار الموت في الجسم ثم اعتقال اللسان، وحال المحتضر وهو ينظر ويسمع أهله، إذ يقول عليه السلام: (...**اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِه وإِنَّه لَبَيْنَ أَهْلِه يَنْظُرُ بِبَصَرِه ويَسْمَعُ بِأُذُنِه عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِه وبَقَاءٍ مِنْ لُبِّه يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَه وفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَه** ...)[٩].

وبما أن الخلائق كلها مصيرها إلى الزوال، -بما فيها الإنسان- وإذا أنكر الإنسان كلّ شيء فلا يمكنه أن ينكر أنّ الموت حقّ، وأنّه لابدّ أن يَطرق بابه، والموت يُعدّ إنذاراً لجميع الناس ليفكّروا أكثر وأحسن ويعرفوا طريقهم المُقدمين عليه، وما هو أمامهم ويستعدّوا للانتقال، فسكرات الموت أمر يمر به المؤمن والكافر، (وبالطبع فإنّه من المسلّم به أنّ المرتبطين بهذه الدنيا يكون انتقالهم منها أصعب وقطع القلوب منها أشدّ، كما أنّ الآثمين وأصحاب الذنوب تكون عليهم سكرات الموت أكثر ألماً ومرارة)[١٠].

فالمُلاحظ أن ما من عامل للخير أو الشر، مؤمناً كان أو فاسقاً، فإنه يجني ثمار عمله، في الدنيا والآخرة وما بينهما، أي عند الممات، فإذا كان المؤمن قد غفل بعض الأوقات وطرأت له معصية، ولم يُوفق للاستغفار وطلب العفو، فإن الله سبحانه وتعالى لا يحب أن يعاقبه عليها العقاب الأكبر في الآخرة، وإنما يريده أن ينتقل إليه، وهو خالٍ من الذنوب، فيضيّق عليه في حياته وعند مماته، وأما إذا كان على يقظة وحذر في حياته ولا يغفل عما يصدر منه من أخطاء، عندها سيكون الموت بداية للنعيم السرمدي، والعكس

بالعكس بالنسبة إلى غير المؤمن، فإذا عمل عملاً صالحاً، مع ما هو عليه من فساد الإيمان، فإن الله جل وعلا بمقتضى عدله ولطفه يجازيه على ذلك العمل في الدنيا، وإن بقي له من الأجر شيء فيوافيه عند موته بتهوينه عليه، حتى يلقى الله سبحانه وتعالى وليس له عنده شيء من الأجر.

وهذا ما نجده في مرويات أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد أنه (قيل للإمام الصادق عليه السلام: صف لنا الموت، قال عليه السلام: للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كلّه عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشدّ، قيل: فإنّ قوماً يقولون إنّه أشدّ من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض، ورضخ بالأحجار، وتدوير قطب الأرحية على الأحداق؟ قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ فذلكم الذي هو أشدّ من هذا لا من عذاب الآخرة، فإنّه أشدّ من عذاب الدنيا، قيل: فما بالنا نرى كافراً يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يحدّث ويضحك ويتكلّم، وفي المؤمنين أيضاً من يكون كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟ فقال: ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقيّاً، نظيفاً، مستحقّاً لثواب الأبد، لا مانع له دونه، وما كان من سهولة هناك على الكافر، فيوفّى أجر حسناته في الدنيا ليرد الآخرة وليس له إلاّ ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدّة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له بعد نفاد حسناته ذلكم بأنّ الله عدل لا يجور)[11].

ولذلك كان الموت من الأمور المحسوسة، التي يشاهدها ويحس بها من نزل به الموت فعلاً وغيره من الأحياء، وأما أن يكون الموت انتقالاً من شقاوة إلى سعادة أو بالعكس، فإذا ما كان الإنسان مؤمناً مطيعاً سيكون مصيره الراحة في الموت، ويكون الموت آخر لذة له في الدنيا وبداية النعيم الأخروي، وأما إذا كان الإنسان عاصياً لربه، فسيكون بالنسبة له عذاباً شديداً، لذلك صح أن يكون الموت داخلاً ضمن الترغيب والترهيب الحسي في الحياة الآخرة، ونستنتج من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة أن الموت يدخل ضمن الترغيب والترهيب الحسيّ الذي يكون في نهاية الدنيا وبداية الآخرة.

الترغيب الحسيّ الحاصل حال الموت

أشارت آيات القرآن الكريم وأوضحت بعض الروايات، أنَّ لحظة الموت تختلف من إنسان لآخر، فهي سهلة مُريحة على المؤمنين، وصعبة ومؤلمة على الكافرين، وذلك أن المؤمنين يشتاقون للقاء الله ورحمته فلا يشعرون بآلام لحظة الانتقال، قبال ما يرونه في انتظارهم، وأمّا الكافرين فإنّ الآلام تتضاعف عليهم لحظة الانتقال، لأنهم لا يريدون فراق الدنيا ولخوفهم مما ينتظرهم من عقوبات الآخرة.

ونجد أنَّ القرآن الكريم كثيراً ما أكّد على مسألة الموت ولاسيما عند الاحتضار، وينذر الجميع أنَّهم سيواجهون مثل هذه اللحظة، وقد عبّر عنها بعدة ألفاظ؛ فعبر عنها أحياناً بإذاقة الموت وجاءت استعارة الإذاقة لموت النفس، قال تعالى: (**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**)(آل عمران:١٨٥)، وأحياناً بغمرات الموت، قال تعالى: (**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ**)(الأنعام:٩٣)، وأحياناً أخرى بسكرة

الموت، قال تعالى: (**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**)(ق:١٩)، كما عبر عنها ببلوغ الحلقوم، قال تعالى: (**فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ**)(الواقعة:٨٣)، ويعبر عنها أيضاً ببلوغ الروح إلى التراقي، كما في قوله تعالى: (**كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ**)(القيامة:٢٦)، وقد ورد في تفسير قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت)، الذي تكرر في ثلاث سور من القرآن الكريم[١٢]، أي أن النفس (واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق)[١٣] ، وذوق النفس للموت من المجاز (لأن الموت لا يذاق في الحقيقة، لأن ذلك مشهور في كلامهم يقولون ذاق الموت، وشرب بكأس المنون، لأنه بمنزلة ما يذاق بذوق شدائده، والفرق بين الذوق وإدراك الطعم، أن الذوق تقريب جسم المذوق إلى حاسة الذوق، والإدراك للطعم هو وجدانه وإن لم يكن هناك إحساس)[١٤].

والذوق من مُختصات اللسان، إلّا أنه كما أن اللسان حاسة لتذوق طعوم المأكل والمشرب فيُميِّز به الطيبات من غيرها، كذلك النفس عند الممات تكون حاسة لتذوق طعوم الموت من شدة ومرارة، أو يُسر وحلاوة، فلذا جاء تشبيه النفس باللسان، وكذلك نجد أن اللسان عند تذوقه ما حسُن من الطيبات، فإن هذه اللذّة سوف تنعكس على بقية الحواس مما يجده اللسان من لذة في تلك الطيبات، وأما إذا تذوق اللسان ما ساء طعمه فأيضاً سينعكس ذلك الطعم على بقية الحواس، وكذلك الحال بالنسبة للنفس، فإن كانت نفساً مؤمنةً باللّه جل وعلا، فإنها ستجد في الموت اللذة التي تنعكس على جميع الحواس مما لا تشعر معه تعباً في خروج الروح، وأما إذا كانت نفساً كافرةً فإنها ستجد الغصة والمرارة تتجرعها مُكرهة عند الموت، بمعنى: أن الموت إنما تُذاق منه لذاته وطيباته أو آلامه وشدائده، فهو (وعد ووعيد للمصدق والمكذب وفيه تأكيد للتسلية له لأن تذكر الموت واستحضاره مما يزيل الهموم والأشجان الدنيوية، وكذا العلم بأن وراء هذه الدار داراً أخرى يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله)[١٥].

لذا فإن الموت يكون ترغيباً للمؤمن من جهة وترهيباً للكافر من جهة أخرى، ذلك أن المؤمن يرى في الموت نهاية الحياة الدنيا الزائلة القائمة على أساس العمل والتكليف، والانتقال إلى الحياة الباقية القائمة على الإثابة والنعيم، بينما الكافر فإنه يرى أن الموت نهاية ما كان فيه من النعيم في الحياة الدنيا، والذي لم يُجهد نفسه ويمنعها عما تشتهي منه، وانتقاله إلى العذاب والمحاسبة على ذلك النعيم.

والتعبير بالتذوق إشارة إلى الإحساس الكامل، لأن المرء قد يرى الطعام بعينيه أو يلمسه بيده، ولكن كل هذا لا يكون، والأحرى لا يحقق الإحساس الكامل بالشيء، نعم إلاّ أن يتذوق الطعام بحاسة الذوق فحينئذ يتحقق الإحساس الكامل، وكأن الموت في نظام الخلقة نوع من الغذاء للإنسان والأحياء[١٦].

فحال المُحتضر حال من يعاني من داء ووصف له علاج يشفيه من ذلك الداء، لكن مرةً يكون العلاج مما تحبه النفس كالعسل الذي يخلصه مما هو فيه بطيبة طعمه وحلاوته، وأخرى يكون مما تكرهه النفس كالحنظل الذي فيه مرارة وغصة مضافاً إلى مرارة وألم المرض، والمُحتضر كذلك

فمرةً يكون له الموت نهاية من آلام الدنيا وانتقالاً إلى غاية السعادة، وأخرى يكون له بداية الآلام والشقاوة، لذا فإن (نفس المؤمن تنشط في الخروج للقاء ربه، ونفس الكافر تكره ذلك فيشق عليها الخروج، لأنها تصير إلى أشد العذاب، كما قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَرَادَ لِقَاءَ اللّٰهِ أَرَادَ اللّٰه لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللّٰهِ كَرِهَ اللّٰه لِقَاءَهُ)[١٧] ، وذلك عند نزع الروح، (فهؤلاء الكفار تُكرِههم الملائكة على نزع الروح)[١٨].

ويحكي القرآن الكريم حال قبض أرواح المؤمنين من قِبل الملائكة الموكلين بهم، الذين يُسلمون عليهم ويستقبلونهم ويُبشرونهم بالبشرى في الآخرة بدخول الجنة، قال تعالى: (**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**)(النحل:٣٢)، فالمتقون وهم في مشهد الاحتضار، وهو مشهد هين لين كريم، طيبة نفوسهم بلقاء الله، معافيين من الكرب وعذاب الموت، (يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ) طمأنة لقلوبهم وترحيباً بقدومهم (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) تعجيلاً لهم بالبشرى، وهم على أعتاب الآخرة، جزاءً وفاقاً على ما كانوا يعملون[١٩].

وقوله تعالى: (طَيِّبِينَ) (صفة للمتقين وهي كلمة مختصرة جامعة للمعاني الكثيرة، وذلك لأنه يدخل فيه إتيانهم بكل ما أمروا به، واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه، ويدخل فيه أنه طاب لهم قبض الأرواح وأنها لم تقبض إلا مع البشارة بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها وكأنها دارهم وكأنهم فيها فيكون المراد بقولهم، ادخلوا الجنة أي هي خاصة لكم كأنكم فيها، ومَن هذا حاله لا يتألم بالموت)[٢٠]■

---

(١) ظ: تفسير الأمثل/مكارم الشيرازي: ١٧ / ٢٩.
(٢) ظ: م.ن: ٣ / ٢٤.
(٣) ظ: العقائد الحقّة/السيد على الصدر الحسيني:٤٠٣.
(٤) ظ: مجمع البحرين/ الطريحي: ٢ / ٢٢٣.
(٥) التعريفات /الجرجاني: ٢٣٥.
(٦) ظ: التوقيف على مهمات التعاريف/المناوي: ٣١٨، ظ: المفردات في غريب القرآن/الراغب الاصفهاني: ٧٨١.
(٧) ظ: منازل الآخرة/الشيخ عباس القمي: ١٠٧.
(٨) ظ: في ظلال القرآن/ سيد قطب/٦ / ٣٣٦٤.
(٩) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.
(١٠) تفسير الأمثل/مكارم الشيرازي:١٧ / ٢٩.
(١١) بحار الأنوار/ المجلسي: ٦ / ١٥٢ ب١ ح٦.
(١٢) سورة آل عمران/ ١٨٥، سورة الأنبياء/ ٣٥، سورة العنكبوت/ ٥٧.
(١٣) تفسير الكشاف/ الزمخشري: ٣ / ٤٦١.
(١٤) التبيان في تفسير القرآن/ الطوسي: ٣ / ٧٠.
(١٥) تفسير روح المعاني/ الآلوسي: ٢ / ٣٥٧.
(١٦) ظ: تفسير الأمثل/مكارم الشيرازي: ٣ / ٢٣.
(١٧) ظ: ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة/الشهيد الأول/ج١ص٣٨٩.
(١٨) تفسير مفاتيح الغيب/ الرازي: ١٣ / ٦٨.
(١٩) ظ: في ظلال القرآن/ سيد قطب: ٤ / ٢١٦٩.
(٢٠) تفسير مفاتيح الغيب/ الرازي: ٢٠ / ٢٠٣.

من أقوال الإمام علي الهادي عليه السلام:

قال عليه السلام: (أورع الناس من وقف عند الشبهة، أعبد الناس من أقام على الفرائض، أزهد الناس من ترك الحرام، أشد الناس اجتهادًا من ترك الذنوب)

وقال عليه السلام: (إنكم في آجال منقوصة، وأيام معدودة، والموت يأتي بغتة، من يزرع خيرًا يحصد غبطة، ومن يزرع شرًا يحصد ندامة، لكل زارع ما زرع. لا يسبق بطيء بحظه. ولا يدرك حريص ما لم يقدر له. من أعطي خيرًا فالله أعطاه. ومن وقي شرًا فالله وقاه).

وقال عليه السلام: (المؤمن بركة على المؤمن وحجة على الكافر).

وقال عليه السلام: (قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه).

وقال عليه السلام: (لا يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض).

وقال عليه السلام: (ما ترك الحق عزيزًا إلّا ذلّ، ولا أخذ به ذليل إلّا عَزّ).

وقال عليه السلام: (الصديق الجاهل تعب).

وقال عليه السلام: (خصلتان ليس فوقهما شيء: الإيمان بالله، ونفع الإخوان).

وقال عليه السلام: (جرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره).

(كتاب تحف العقول/ ابن شعبة الحراني/ ص٤٨٩)

الصحيفة السجادية
ملف العدد

الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام

سكرتير التحرير

ينابيع

الإمام زين العابدين هو .. علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد بالمدينة المنورة سنة ٣٨هـ قبل وفاة جده أمير المؤمنين عليه السلام بسنتين، فبقي مع جده سنتين ومع عمه الحسن عليه السلام (١٢) سنة ومع أبيه الحسين عليه السلام (٢٣) سنة، وتوفي بالمدينة سنة ٩٥هـ، وله يومئذ من العمر (٥٧) سنة، ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه عمه الحسن عليه السلام في القبة التي فيها العباس بن عبدالمطلب[١].

والإمام السجاد عليه السلام هو أحد الأئمة الاثني عشر، عاش في كنف آبائه الطاهرين وتغذى منهم واستقى من معينهم العلم والتقوى وإرث النبوة.

قال عنه اليعقوبي صاحب التاريخ[٢] أحمد بن إسحاق اليعقوبي المتوفى بعد ٢٩٢هـ: (وكان أفضل الناس وأشدهم عبادةً، وكان يسمى زين العابدين، وكان يسمى أيضاً ذا الثفنات، لما كان في وجهه من أثر السجود، وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، ولما غُسِّل وجد على كتفيه جُلَب كجُلَب البعير، فقيل لأهله: ما هذه الآثار؛ قالوا: من حمله للطعام في الليل ويدور به على منازل الفقراء).

قال سعيد بن المسيب: (ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين).

وقال الزهري: (ما رأيت هاشميًا أفضل من علي بن الحسين ولا أفقه منه)[٣].

وعد الإمام الشافعي علي بن الحسين أفقه أهل المدينة، وقد اعترف بهذه الحقيقة حتى حكام عصره من خلفاء بني أمية ـ على الرغم من كل شيء ـ، فلقد قال له عبد الملك بن مروان: (ولقد أوتيت من العلم والدين الورع ما لم يؤته أحد مثلك إلّا من مضى من سلفك)[٤].

وقد كان للمسلمين عموماً تعلق عاطفي شديد بهذا الإمام وولاء روحي عميق له، وكانت قواعده الشعبية ممتدة في كل مكان من العالم الإسلامي، كما يشير إلى ذلك موقف الحجيج الأعظم منه حينما حج هشام بن عبد الملك وطاف وأراد أن يستلم الحجر الأسود فلم يقدر على استلامه من الزحام، فنصب له منبر فجلس عليه ينتظر، ثم أقبل الإمام زين العابدين عليه السلام

وأخذ يطوف فكان إذا بلغ موضع الحجر انفرجت له الجماهير وتنحى الناس عنه حتى يستلمه لعظيم معرفتها بقدره وحبها له على اختلاف بلدانهم وانتسابهم، وقد سجل الفرزدق الشاعر هذا الموقف في قصيدة رائعة مشهورة جاء في مطلعها[٥]:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والحرمُ

لقد ترك الإمام زين العابدين عليه السلام آثاراً تستلهم منها الأجيال دروساً على مختلف الأصعدة، وتكون محط اهتمام الداني والقاصي، ولاسيما علماء أهل البيت عليهم السلام والدارسين في مدرستهم الذين يقفون عليها لاستخراج ما تبصر به الأمة في طريقها.

ومن آثاره عليه السلام أقواله وكلماته وأدعيته والتي منها الصحيفة السجادية، وما نقلته الكتب من شريف كلماته ومحاسن علمه، يقول عليه السلام: (من عف عن محارم الله كان عابداً، ومن رضي بقسم الله كان غنياً، ومن أحسن مجاورة من جاوره كان مسلماً، ومن صاحب الناس بما يحب أن يصاحبوه به كان عادلاً)[٦].

وكان عليه السلام يقول: (ابن آدم لن تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وكانت المحاسبة من همتك، وما كان لك الخوف شعاراً والحزن دثاراً)[٧].

لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام إماماً في الدين ومناراً في العلم والعبادة، ومرجعاً في الحلال والحرام، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، وآمن المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيته[٨].

ويعتبر الإمام السجاد عليه السلام المؤسس الثاني للمدرسة الإسلامية - كما يرى البعض -، وكان المسجد مدرسته يزدحم فيها الطلاب عليه، وأصبح تلامذته فيما بعد بناة الحضارة الإسلامية ورجال فكرها وتشريعها وأدبها الإسلامي[٩].

يقول الشيخ محمد حسين المظفر في كتابه تاريخ الشيعة: (ظهر ابن الزبير بمكة واستتب له الأمر في الجزيرة تسع سنين، فاشتغل الأمويون بابن الزبير وابن الزبير بالأمويين، وزين العابدين عليه السلام في عزلة عن هذا التطاحن الدنيوي وانصرف شطر من الناس إلى العلم وشطر إلى السياسة).

وأصبح لكل من أمري السياسة والعلم شأن في البلاد ... وابتدأ في العهد ارتكاز العلم على القواعد والأصول وابتدأت المناظرات والمحاجات والمذاهب والطرائق، وكان في هذا العصر الفقهاء السبعة في المدينة، الذين يرجع الناس إليهم في الفقه، وكانوا يفتون على آراء أهل السنة وأصولهم، فكان في هؤلاء شيعيان، هما: القاسم بن محمد بن أبي بكر وكان من حواري زين العابدين عليه السلام، وسعيد بن المسيب وقد رباه أمير المؤمنين عليه السلام، وكانا في الظاهر على رأي أهل السنة...)[١٠].

وقد قام الإمام عليه السلام بدور مهم في تزويد العلماء والرواة بأحاديثه في مختلف العلوم والفنون، ورووا عنه الصحيفة السجادية التي هي إنجيل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لما حوته من الثروات الفكرية المتميزة بوضع قواعد الأخلاق وأصول الفضائل وعلوم التوحيد وغيرها[١١].

لقد استطاع هذا الإمام العظيم بما أوتي من بلاغة فريدة وقدرة فائقة على أساليب التعبير العربي وذهنية ربانية تتفتق عن أروع المعاني وأدقها في تصوير صلة الإنسان بربه ووجده بخالقه وتعلقه

بمبدئه ومعاده وتجسيد ما يعبر عنه ذلك من قيم خلقية وحقوق وواجبات، فقد استطاع الإمام السجاد عليه السلام بما أوتي من هذه المواهب أن ينشر من خلال الدعاء جواً روحياً في المجتمع الإسلامي يساهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات، وقد جاء في سيرة الإمام[١٢] إنه كان يخطب الناس في كل جمعة ويعظهم ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة، ويقرع أسماعهم بتلك القطع الفنية من ألوان الدعاء والحمد والثناء التي تمثل العبودية المخلصة لله سبحانه وحده لا شريك له.

شروح الصحيفة السجادية

نظراً للأهمية البالغة للصحيفة السجادية فقد ألف العلماء حولها شروحاً كثيرة، ذكر أغا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة والذي هو في ذكر تصانيف الشيعة، ذكر منها أكثر من أربعين شرحاً، إضافة إلى وجود تعليقات على الصحيفة السجادية، وأيضاً هناك من العلماء من كتب حواشي عليها، وإليك مجموعة من عناوين بعض هذه المؤلفات مع أسماء مؤلفيها[١٣]:

١ـ السيد الداماد السيد محمد باقر الحسيني الاسترابادي (ت ١٠٤٠هـ)، شرح الصحيفة: وهو مطبوع كتعليقات مشتمل على تحقيقات لطيفة.

٢ـ السيد نعمة الله الجزائري (ت١١١٢هـ)، شرح سماه (نور الأنوار) فرغ منه سنة (١٠٨٧هـ) وطبع سنة ١٣١٦هـ.

٣ـ ابن إدريس الحلي (ت ٥٩٨ هـ)، شرح وهي تعليقات كتبها على الصحيفة.

٤ـ الشيخ البهائي محمد بن الحسين بن عبد الصمد (ت١٠٣٠هـ)، تعليق وشرح اسمه (حدائق الصالحين).

٥ـ رياض السالكين وهو شرح للصحيفة السجادية مطبوع مشهور وهو شرح كبير جداً ومن أحسن الشروح وأطولها هو للسيد علي خان بن أحمد بن محمد المدني وينتهي نسبه إلى زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام والمتوفى بشيراز سنة ١١٢٠هـ وقد أودع في هذا الشرح فوائد كثيرة ونقل فيه أقوال سائر الشراح والمحشين، وأطال البحث في أكثر العلوم لاسيما في العلوم العربية[١٤].

٦ـ ومن الشروح الحديثة المحققة التي صدرت مؤخراً عن الأمانة العامة للعتبة الحسينية[١٥] شرح العلامة السيد محمد حسين الجلالي وتحقيق السيد رحيم الحسيني حين صار العمل في هذا الكتاب على تحقيق متن الصحيفة السجادية مع محاولة إخراج الشرح للصحيفة الكاملة حين خرج الكتاب في ثلاثة أجزاء، فقد جمع السيد محمد حسين الجلالي أدعية الإمام زين العابدين في الصحف السجادية المتداولة فبلغ مجموع الأدعية الواردة فيها حسب ترقيمه (٨٦) دعاء، وبسبب اختلاف نسخ الصحيفة السجادية في عدد الأدعية المنسوبة للإمام عليه السلام لأن الراوي في سند الصحيفة المتداولة قد صرح بسقوط الأدعية منه ـ قام العلماء في البحث والتنقيب عن تلك الأدعية وعن سائر ما ورد عن الإمام السجاد عليه السلام لغرض الوقوف على تراثه عليه السلام فكانت النتيجة إنه عبر التاريخ ظهرت نسخ للصحيفة أو محاولات جمع لأدعية الإمام عليه السلام نذكر منها[١٦]:

١ـ نسخ لابن إدريس الحلي. بخطه فرغ منها سنة ٥٧٠هـ.

٢ـ كتب الشهيد الأول نسختين الأولى سنة ٧٧٢هـ والثانية ٧٧٦هـ.

٣ـ جمع المحدث محمد بن الحسن الحر العاملي صاحب الوسائل (ت١١٠٤هـ) صحيفة استخرجها من الأصول المعتمدة عنده، فرغ من جمعها سنة ١٠٥٣هـ.

٤ـ وجمع المحدث النوري (ت ١٣٢٠هـ) سبعة وسبعين دعاء له عليه السلام.

٥ـ وجمع السيد الأبطحي جميع أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام في الموارد والمناسبات والمختلفة وضمنها أدعية الصحيفة السجادية فبلغ مجموع الأدعية الواردة فيها حسب ترقيمه (٢٧٠) دعاء وسماها الصحيفة الجامعة طبعت سنة ١٤١٨هـ بقم.

وبعد هذه المحاولات يأتي جمع (السيد محمد حسين الجلالي لأكثر من نسخة وتحقيق السيد رحيم الحسيني للكتاب) فيكون الشرح والجمع والتحقيق محاولة جادة لها قيمتها في كشف تراث الإمام عليه السلام وله خصوصيته أيضاً فقد جمع هذا الشرح إضافة إلى فنون الأدعية الواردة أدعية الأيام عنه عليه السلام وكذا ضم إلى الشرح المناجاة الخمسة عشر لكي يكون شرحاً وافياً يقف فيه القارئ على فوائد ومصطلحات علمية آثر فيه المؤلف البيان والربط الموضوعي دون إطالة وتوضيح المفاهيم التربوية والتاريخية وغير ذلك بحسب موارد ومضامين أدعية الصحيفة السجادية■

١ـ انظر رياض السالكين ج١، ص٢١٠.

٢ـ تاريخ اليعقوبي ج٢، ص٢١٢.

٣ـ رياض السالكين ج١، ص٢١٠.

٤ـ انظر مقدمة الصحيفة ص٨ للسيد محمد باقر الصدر.

٥ـ انظر مقدمة الصحيفة للسيد محمد باقر الصدر ص٩ الأئمة الاثنا عشر دراسة تحليلية ص١٤٨ عادل الأديب.

٦ـ كنز الفوائد/الكراجكي/ص٢٧١.

٧ـ انظر ما نقله المؤرخ اليعقوبي في ج٢، ص٢١٢ـ ص٢١٣ من كلماته وسيرته.

٨ـ مقدمة الصحيفة السجادية ص٨.

٩ـ الأئمة الاثنا عشر ص١٤٥.

١٠ـ تاريخ الشيعة، العلامة محمد حسين المظفر ص٤٦، دار الزهراء بيروت ١٩٨٧.

١١ـ الأئمة الاثنا عشر ص١٤٦.

١٢ـ انظر مقدمة الصحيفة السجادية ص١٢.

١٣ـ انظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج١٣، ص٢٠٩ من رقم ١٢٨١ فما بعد.

١٤ـ انظر رياض العلماء، عبدالله الأصفهاني ج٣، ص٣٦٦ رياض السالكين ج١ ص١٥.

١٥ـ صدرت الطبعة الأولى سنة ١٤٣٦هـ.

١٦ـ انظر شرح الصحيفة السجادية السيد محمد حسين الجلالي ج١، ص١٧ـ ١٩، والذريعة ج١٥، ص١٥ـ ١٦ رقم ٩٥.

الصحيفة السجادية: الثقافةُ بوصفها دعاء

أ.م.د. علي مجيد البديري
جامعة البصرة / كلية الآداب

في الثقافة والدعاء:

ينابيع

بيَّنتْ آياتٌ قرآنية عديدة، وأحاديث كثيرةٌ وردت عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام خصوصية الدعاء في حياة المؤمن وأهميته في سلوكه اليومي، فهو من أهم العبادات التي لا ترتبط بوقت محدد، أو له مقدمات عملية واجبة، فضلاً عن أنه مصاحب بشكل وجوبي أو استحبابي لبعض العبادات الأخرى، ومن هنا نقرأ قوله تعالى: (**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**)(غافر:٦٠)، وعن النبي ﷺ قوله: (الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين)[١]، وقوله: (الدعاء مخ العبادة؛ ولا يهلك مع الدعاء أحد)[٢]. هو مركزي في العبادة إذن، ويؤدي دوراً خطيراً وهاماً فيها، كمركزية المخ في جسد الإنسان، الذي يسيطر على فعاليات الإنسان الرئيسة وحسه وحركته وانفعالاته وتفكيره، وكما أن أعضاء الجسد ترتبط عن طريق شبكة معقدة من الأعصاب بالمخ وتوصل له عن طريق مجسَّاتها الحسيّة إشارات عصبية مختلفة وتستلم منه نبضات كهربائية هي استجابات وأوامر، فإن الدعاء يمتلك هذا الدور الهام، ويقوم بهذه الوظائف المركزية في فعل العبادة أياً كان مصداقه، بل إن الإمام الصادق عليه السلام يعدُّه العبادة عينها، إذ يقول: (إن الدعاء هو العبادة)[٣]، ذلك أن المؤمن يصدر في دعائه من حاجة يرفعها لقاضيها، فهو متيقنٌ بفقره وحاجته وفاقته، مثلما هو مؤمنٌ بغنى المدعو وقدرته

ورحمته سبحانه.

من جانب موازٍ يكون الوعي بالثقافة بما يعنيه من حضور فاعل وحيوي للثقافة في الحياة والسلوك، ركيزة أساسية ليقين المؤمن؛ ويتعمق هذا الوعي كلما اكتسب ديمومة في الحضور، وتمثيلاً عملياً في كل أنماط الفعل الإنساني وتفاصيله، ولذا تتشكل الثقافة دعاءً متفاوتاً في المستوى لدى الداعين، على مختلف درجات إيمانهم وحضورهم القلبي لحظة القراءة والمناجاة. نرى ـ بنظرة قاصرة والله تعالى أعلم ـ أنَّ النصَّ الدعائي في الصحيفة السجادية نصٌّ ثقافي، ليس طلباً محضاً ولا مناجاة صرفة للخالق تبارك وتعالى كما هو الغالب في دعاء المؤمن ربَّه، هو نص يتضمن أبعاداً مختلفة منها: الأخلاقي، والعقائدي، والسياسي، والاجتماعي، وكأنَّ الإمام عليه السلام أراد أن يقول: بكل هذا يعبد الله تعالى، وأن طرق العبادة متعددة، مشرعة: (سُبْحانَكَ ما أَضْيَقَ الطُّرُقَ عَلى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَليلَهُ وَما أَوْضَحَ الحَقَّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبيلَهُ، إلهي فَاسْلُكْ بِنا سُبُلَ الوُصُولِ إلَيْكَ وَسَيِّرْنا في أَقْرَبِ الطُّرُقِ لِلْوُفُودِ عَلَيْكَ)[٤]، غير أنَّ وضوح هذه الطرق، والشروع في سلوكها لا يتحقق بغير التوفيق الإلهي، ولذا ليس من المبالغة في شيء وصف الصحيفة السجادية بالمدرسة، وإنَّ (الدعاء في مدرسة الإمام السجاد خير معرض لأعمق البصائر، وأشد المحبة وأحرها، وأرفع الاحتياج وأنظفه. فهي لكل من يتلقى في مدرسة الإمامة، دروس الحياة والقدوة والمثال والتفكير والعمل لسانٌ خلف الشفاه المنطبقة التي تريد التكلم والإفصاح)[٥]. ومن هنا أيضًا كان الدعاء نشاطاً عبادياً لا ينفصل عن سنن الله تعالى التي سنها لشؤون عباده وحاجاتهم، فهو مقرون بها، ولا يمكن في الوقت ذاته أن تكون الاستعانة بهذه السنن بديلاً عن الدعاء. ويشكل الوعي بأهمية هذا الأمر لازمةً محورية في منظومة الثقافة الربانية في الإسلام[٦]. وهو ما يعني أن للدعاء ثقافته، وأنه في الوقت نفسه تجل من تجليات ثقافة المؤمن الإلهية.

مواجهة ثقافية

يغدو الدعاء تجسيداً لوجود فاعل للإنسان في الحياة عبر ثقافة تصوغ وعيه، وتضفر نسيج حياته الخاصة، وترسم له منهجاً وملامح سلوك، هذه نتيجةٌ أخرجُ بها حين أقرأ أيَّ نص من نصوص الصحيفة، وأجدُ أنَّ الإمام السجاد عليه السلام يعيش الدعاء ممارسة حياتية فعلية أكثر مما يصوغه، سيظهر الدعاء على أنه إعادة صياغة للثقافة، وسيغدو في شكله النهائي صورة أخرى لحياته عليه السلام، لاشك في أنَّ ذلك مرتبط بخصوصية السياق الثقافي والتاريخي الذي عاش فيه الإمام، وقد تشكلتْ طبيعة دوره في الإمامة في ضوء متطلبات هذا السياق، وجاءت أدعية الصحيفة استجابة ثقافية لحاجة المؤمنين.

إنَّ اكتناز النص الدعائي في الصحيفة بما هو ثقافي عقائدي أو سياسي أو أخلاقي أو اجتماعي يدفع

القارئ إلى القول بأن الثقافة هنا تتوسل الدعاء طريقاً لبناء الإنسان لا العكس، وما يدفع إلى هذا الفهم بقوة سعيُ النصوص، على اختلاف مناسباتها واختصاصها بأوقات محددة أو موضوعات معينة، إلى المحافظة على أن يكون الدعاء مقترناً بالعمل، والمعرفة ملازمة للسلوك، وهو تأسيس لفهم صحيح لطبيعة الدعاء وماهيته، ولمعنى الثقافة وجوهرها؛ فمن معاني الثقافة أنها تربية وتنمية متضامنة لقدرات الإنسان، وهي تهذيب وتحل بالأدب، وهي لا تنحصر بكونها (وسيلة تعاملنا مع الآخرين وحسب، إنما توسع أيضًا عالمنا الاجتماعي، وتخرجنا من ضيق العالم المقتصر على عدة أفراد يحيطون بنا لتضعنا في رحاب المعاصرين والسالفين والقادمين، فتعمل بذلك على ازدهارنا وتامينا أكثر فأكثر)[٧]، وهو ما يعني انفتاحاً واعياً ويقظاً لثقافة المؤمن على عالم رحب، وفهماً عميقاً لا يقف فيه الدعاء حائلاً دون العمل والحركة كما قد يفهمه البعض، فهو (وجود يأتي بعد الواجب، وبعد العناء والعمل والكفاح والصبر. والذين خلفوا لنا في التاريخ الإسلامي متون الدعاء الحقة هم نموذج هذا المثال، وعلامة هذا الأمر. لقد كان هؤلاء في يقظة موصولة من أجل مناهضة العدو، وبلوغ السعادة، والقوة، والاستقلال، والحرية، ومن أجل القضاء على كل ما يهدد الإنسان)[٨].

من نماذج أدعية المواجهة هذه في الصحيفة نقرأ دعاءه عليه السلام في الاستعاذة من الشيطان وغوايته، التي هي في حقيقتها استعاذة من كل مصاديق الثقافة الشيطانية ومواجهة صلبة لها، عبر الوعي باختلاف ثقافة المؤمن الإلهية عنها، وتقاطعها معها. يقول عليه السلام: (أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَاجْعَلْ آباءَنا وَأُمَّهاتِنا، وَأَوْلادَنا، وَأَهالينا، وَذَوي أَرْحامِنا، وَقَراباتِنا، وَجيرانَنا مِنَ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ منه في حِرْز حارز، وَحِصْن حافِظ، وَكَهْف مانِع، وَأَلْبِسْهُمْ مِنْهُ جُنَناً واقِيَةً، وَأَعْطِهِمْ عَلَيْهِ أَسْلِحَةً ماضِيَةً. أَللّهُمَّ وَاعْمُمْ بِذلِكَ مَنْ شَهِدَ لَكَ بِالرُّبوبِيَّة، وَأَخْلَصَ لَكَ بِالْوَحْدانِيَّة، وَعاداهُ لَكَ بِحَقيقَة الْعُبُودِيَّة، وَاسْتَظْهَرَ بِكَ عَلَيْهِ في مَعْرِفَة الْعُلُوم الرَّبّانِيَّة)[٩].

إنَّ عدة المواجهة تتجمع عند (معرفة العلوم الربانية)، فالحرز والحصن الإلهي مشروط تحققهما بضرورة استظهار العبد بالله تعالى واستعانته به على الشيطاني من القول والسلوك من خلال المعرفة والتسلح بالثقافة الربانيّة، وهو ما نرى حرص الإمام على تأكيد أهميته في دعاء آخر خصصه لأهل الثغور المرابطين على حماية بلدان المسلمين، إذ يقول عليه السلام: (أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَعَرِّفْهُمْ ما يَجْهَلُونَ، وَعَلِّمْهُمْ ما لا يَعْلَمُونَ، وَبَصِّرْهُمْ ما لا يُبْصِرُونَ.) ، (أَللّهُمَّ وَأَيُّما غاز غَزاهُمْ مِنْ أَهْل ملَّتِكَ، أَوْ مُجاهِد جاهَدَهُمْ مِنْ أَتْباع سُنَّتِكَ، لِيَكُونَ دينُكَ الأَعْلى، وَحِزْبُكَ الأَقْوى، وَحَظُّكَ الأَوْفى، فَلَقِّهِ الْيُسْرَ، .... وَعَلِّمْهُ السِّيَرَ وَالسُّنَنَ، وَسَدِّدْهُ في الْحُكْم)[١٠]، وليست أهمية العقيدة والمعرفة مقتصرة في

أهل الحق، إذ يدعو الإمام عليه السلام بأن يبعث الاضطراب في قلوب الأعداء ويقلق ما عقدت عليه قلوبهم وارتبطت وآمنت به من ثقافة شيطانية فاسدة ، في قوله: (وَاخْلَعْ وَثائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ).

من هنا يكون على أهل الإيمان توسيع وعيهم بالآخر، وأن لا يفهموا اختلافهم مع الثقافة الشيطانية بطريقة خاطئة، فيظنوا أن هذا الاختلاف مع فئة من الناس، أو نوع ما منهم، وأن الصراع منحصر مع ذلك الفريق دون غيره، الأمر الذي يمكن أن يُستغل من قبل العدو في المواجهة، فيصوره على أنه خلاف طائفيٌ محدود، ذلك أنَّ (منشأ الخلاف والمشكلة في موقع آخر أهم وأعظم من ذلك، إنها مشكلة القيم والمبادئ الإيمانية والإنسانية، التي يرفضها الظالمون والمعتدون، ويعادونها، ويحاربونها)[11]، هي مواجهة ثقافية إذن، وهي أخطر من المواجهة العسكرية بلا شك، لأنها ترتبط بالمحرك الرئيس لفعل الإنسان والموجّه الفاعل لمواقفه.

الثقافة الإلهية وهوية المؤمن

إن الثقافة الإلهية التي تؤسس لها نصوص الصحيفة ثقافة تمتلك عمقاً إنسانياً تبدأ من تثبيت ركيزة الولاء لله تبارك وتعالى ولكل ما له صلة بالسماء؛ ففي دعائه عليه السلام في التحميد لله عز وجل وتمجيده، يجعل من هذا الولاء عماداً لوعي المؤمن، وعلامة فارقة لشخصيته، وهو هويته الخاصة وجوهر ثقافته في آخر الأمر: (..الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلى ما أَبْلاهُمْ مِنْ مَنِّهِ الْمُتَتابِعَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نَعَمِهِ الْمُتَظاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا في مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَتَوَسَّعُوا في رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ، وَلَوْ كانُوا كَذلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الإِنْسانِيَّةِ إِلى حَدِّ الْبَهيمِيَّةِ، فَكانُوا كَما وَصَفَ في مُحْكَمِ كِتابِهِ (إِنْ هُمْ إِلاّ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً)[12]؛ فمبتدأ الولاء يكون من مبتدئ النعم، من مصدر المعرفة والإلهام والعلم والتوفيق الذي بمنِّه سبحانه وتعالى تتضح سبل السلوك إليه. ويكتسب الداعي الذي يحضر بين كلمات الدعاء بوصفه قارئاً ضمنياً ملامحه من خلال استحضار معاني الدعاء، وإدراك قيمة فيض النعم التي أسبغها الله عليه، وهو في حقيقته إدراك يجري داخل العقل الإنساني، وفي ضوئه، وكنتيجة له يكون الإقبال والتوجه، وكل ذلك مرهونٌ تحققُه بالتوفيق الإلهي للعبد: (..الْحَمْدُ لِلّهِ عَلى ما عَرَّفَنا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَلْهَمَنا مِنْ شُكْرِهِ، وَفَتَحَ لَنا مِنْ أَبْوابِ الْعِلْمِ بِرُبوبِيَّتِهِ، وَدَلَّنا عَلَيْهِ مِنَ الاخْلاصِ لَهُ في تَوْحيدِهِ، وَجَنَّبَنا مِنَ الالْحادِ وَالشَّكِّ في أَمْرِهِ، حَمْداً نُعَمَّرُ بِهِ في مَنْ حَمِدَهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَنَسْبِقُ بِهِ مَنْ سَبَقَ إِلى رِضاهُ وَعَفْوِهِ، حَمْداً يُضيءُ لَنا بِهِ ظُلُماتِ الْبَرْزَخِ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْنا بِهِ سَبيلَ الْمَبْعَثِ، وَيُشَرِّفُ بِهِ مَنازِلَنا عِنْدَ مَواقِفِ الأَشْهادِ (يَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)، (يَوْمَ لا يُغْني مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَ لاهُمْ يُنْصَرُونَ))[13].

ليس لهوية المؤمن تحققٌ واحدٌ تصله، وتكتمل به منغلقة على نفسها

بشكل نهائي، هي هوية نامية تتزود باستمرار من فيض صلتها بالسماء، وبذا تكون لها تحققات عدة، مرهونة بسعي المؤمن وإخلاصه الذي يمثل استعداده الروحي لتقبل الفيض الإلهي. وهكذا يدعو خطاب الصحيفة إلى الثقافة المثالية التي طالما سعى ويسعى مفكرو الإنسانية وعلماؤها إلى تبني استنباتها في المجتمعات ودعمها والحرص على ديمومتها، لأنها هوية المجتمع المميزة له، ولذا فهي تحظى بانسجام فريد مع الفطرة الإنسانية والعقل السليم، وتدعمها الشخصيات التائقة إلى ترسيخ المثل والقيم الإنسانية النبيلة في المجتمع والباحثة عن الحقيقة في كل الأزمنة والأمكنة المختلفة[١٤].

صلة المؤمن بالمجتمع والكون

خلافاً لحالة الانسلاخ الثقافي التي يقع فيها من لا يدركه التوفيق الإلهي، يعيش المؤمن حياة مستقرة، ويستشعر معنى الانتماء لثقافة ربانية، هو فرد من جماعة، ولبنة في بناء، ومن الضروري أن يستحضر المؤمن أخاه المؤمن في كل مقام خير يعيشه، ومنه الدعاء، فهو يعي حقوق الآخرين عليه، ويحرص على تأديتها لأنها من أجلى مصاديق العبادة أيضاً. (وهذه العلاقة التي ينسجها الدعاء بين الفرد والأمة من جانب، وبين الفرد والأفراد الذين يتعامل معهم ويرتبط بهم بنحو من الأنحاء من أفضل أنواع العلاقة؛ لأن هذه العلاقة تتكون بين يدي الله، وفي امتداد العلاقة بالله، ولا يعرفها أحد إلا الله، وهي استجابة لدعوة الله تعالى)[١٥]، من هذه الأدعية نقرأ في دعائه (ع) لجيرانه وأهل الحقوق عليه، قوله: (أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَتَوَلَّني في جيراني وَمَوالِيَّ الْعارفينَ بحَقِّنا، وَالْمُنابذينَ لأعْدائنا، بأفْضَل وَلايَتِكَ، وَوَفِّقْهُمْ لإقامَة سُنَّتِكَ، وَالأخْذ بمَحاسن أدَبِكَ في إرْفاق ضَعيفهمْ، وَسَدِّ خَلَّتهمْ، وَعيادَة مَريضهمْ، وَهدايَة مُسْتَرْشدهمْ، ....)[١٦].

ويسترسل الدعاء في ذكر حقوق المؤمن الكثيرة على أخيه، صغيرها وكبيرها، وكأنه يضع بنوداً تشريعية وأخلاقية لنظام العيش وسط الجماعة، وهو نظام قائم على الشعور بالانتماء للكل والائتلاف معهم في ظل عبودية صادقة للمولى تبارك وتعالى. ومن ذلك أيضاً قوله في دعائه عليه السلام في الاعتذار من تبعات العباد ومن التقصير في حقوقهم: (أَللّهُمَّ إنّي أَعْتَذرُ إلَيْكَ منْ مَظْلُوم ظُلِمَ بحَضْرَتي فَلَمْ أَنْصُرْهُ، وَمنْ مَعْرُوف أُسْدىَ إلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْهُ، وَمَنْ مُسيء اعْتَذَرَ إلَيَّ فَلَمْ أَعْذرْهُ، وَمَنْ ذي فاقَة سَأَلَني فَلَمْ أُوثرْهُ، وَمَنْ حَقِّ ذي حَقٍّ لَزمَني لمُؤْمن فَلَمْ أُوَفِّرْهُ، وَمنْ عَيْب مُؤْمن ظَهَرَ لي فَلَمْ أسْتُرْهُ، وَمَنْ كُلِّ إثْم عَرَضَ لي فَلَمْ أَهْجُرْهُ)[١٧].

لا يجد قارئ من أي نمط كان ثقافةً كهذه تحفظ كرامة الإنسان وحقوقه، وتحترمه، ولا نجد استنباتاً وتأسيساً لثقافة الانتماء كهذه التي يقدمها الدعاء هنا؛ فهو يحرص ويؤكد على ضرورة أن (يشعر المؤمن بالارتباط التاريخي والفعلي (العمودي والأفقي) بالأسرة المؤمنة في التاريخ، وعلى

وجه الأرض، وبوحدة هذه الأسرة، وبالعلاقة الوشيجة والقوية التي تربطنا بهذه الأسرة)[١٨]. وليست الألفة والانتماء مقتصرة في تحققها مع الآخر إنساناً وأخاً في الدين، بل مع المكان الذي يعيش فيه الإنسان، وتتشكل ملامحه فيه، ويمارس مفردات حياته على أرضه، فضلاً عن الألفة مع الزمان في مختلف أنماطه، عبر أدعية اختصت بأشهر معينة ومناسبات محددة وأخرى اختصت بأيام الأسبوع.

من جانب آخر تضمن النص الدعائي السجادي رؤية كونية، تجلت في إجابات عن أسئلة تخص الإنسان والعالم بماهيته الفيزيائية والماورائية والمجتمع والحياة بمختلف وجوهها، وهذا أمر قلّما اجتمع في خطاب واحد، فنقرأ خطاباً متأملاً لخلق الله المتعدد، ومتذوقاً لجمال الخلقة والتكوين وعلة الإيجاد في أكثر من موضع من الصحيفة ولعل من أبرزها دعاءه عليه السلام عند رؤية الهلال: (أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمُطِيعُ الدّائِبُ السَّرِيعُ، الْمُتَرَدِّدُ فِي مَنازِلِ التَّقْدِيرِ، الْمُتَصَرِّفُ فِي فَلَكِ التَّدْبِيرِ. آمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلَمَ، وَأَوْضَحَ بِكَ الْبُهَمَ، وَجَعَلَكَ آيَةً مِنْ آياتِ مُلْكِهِ، وَعَلامَةً مِنْ عَلاماتِ سُلْطانِهِ)[١٩]. وكذلك دعاؤه عليه السلام إذا نظر إلى السحاب والبرق وَسَمِعَ صوتَ الرَّعد: (أَللّهُمَّ إِنَّ هذَيْنِ آيَتانِ مِنْ آياتِكَ، وَهذَيْنِ عَوْنانِ مِنْ أَعْوانِكَ، يَبْتَدِرانِ طاعَتَكَ بِرَحْمَةٍ نافِعَةٍ، أَوْ نِقْمَةٍ ضارَّةٍ، فَلا تُمْطِرْنا بِهِما مَطَرَ السَّوْءِ، وَلا تُلْبِسْنا بِهِما لِباسَ الْبَلاءِ)[٢٠]، فنرى انعكاس بعض مفردات الطبيعة الكونية في جمل الدعاء، عبر تأمل في جمال خلقها وتكوينها ووظيفتها في النظام الكوني، هي آيات على عظمة الخالق وقدرته، وهي في الوقت ذاته من تجليات رحمته و لطفه وجوده■

---

١ - بحار الأنوار: ٢٨٢/٩٣.
٢- م.ن: ٣٠٠/٩٣.
٣- وسائل الشيعة: ٤/ ١٠٨٣.
٤- مناجاة المريدين في الصحيفة السجادية.
٥- الدعاء: علي شريعتي: ٥١.
٦- ينظر: الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام: محمد مهدي الآصفي: ٣٣.
٧- ينظر: نظرية الثقافة: محمد جواد أبو القاسمي: ٣٦، ٧٠.
٨- الدعاء: علي شريعتي: ٩.
٩- الصحيفة السجادية: من دعائه عليه السلام إذا ذكر الشيطان فاستعاذ منه.
١٠- الصحيفة السجادية: من دعائه عليه السلام لأهل الثغور.
١١- سياسة الحرب في دعاء أهل الثغور، منطلقات وضوابط: السيد جعفر مرتضى: ٥٧.
١٢- الصحيفة السجادية: من دعائه عليه السلام إذا ابتدأ بالتحميد لله.
١٣- ن.م.
١٤- ينظر: نظرية الثقافة: ١٧٨.
١٥- الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام: ١٥٦.
١٦- الصحيفة السجادية: من دعائه عليه السلام لجيرانه وأهل الحقوق عليه.
١٧- الصحيفة السجادية: من دُعَائِهِ عليه السلام فِي الاعْتِذَارِ مِنْ تَبِعَاتِ الْعِبَادِ ومِنَ التَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ.
١٨- الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام: ١٥٧.
١٩- الصحيفة السجادية: من دعائه عليه السلام عند رؤيا الهلال.
٢٠- الصحيفة السجادية: مِنْ دُعَائِهِ عليه السلام إِذَا نَظَرَ إِلَى السَّحَابِ والْبَرْقِ وسَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ.

من دعاء مكارم الأخلاق في الصحيفة السجادية

(أَللَّهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَبَلِّغْ بِإِيْمَانِي أكْمَلَ الإِيْمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّـاتِ، وَبِعَمَلِي إِلى أَحْسَنِ الأعْمَالِ. أَللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَصَحِّحْ بِمَـا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الاهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي، وَلا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيَّ الْخَيْرَ، وَلا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ. اللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَلا تَـرْفَعْنِي فِيْ النَّاسِ دَرَجَـةً إلاّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِرَاً إلاّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَمَتِّعْنِي بِهُدىً صَالِح لا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لا أَزِيْغُ عَنْهَا، وَنِيَّةِ رُشْد لاَ أَشُكُّ فِيْهَا وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِيْ بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعَاً لِلشَّيْطَانِ فَـاقْبِضْنِي إِلَيْـكَ قَبْـلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُـكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ. أَللَّهُمَّ لا تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إلاّ أَصْلَحْتَهَا، وَلا عَآئِبَةً أُؤَنَّبُ بِهَا إلاّ حَسَّنْتَهَا، وَلاَ أُكْرُومَـةً فِيَّ نَاقِصَةً إلاّ أَتْمَمْتَهَا. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَئَانِ الْمَحَبَّةَ وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاَحِ الثِّقَةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الأَدْنَيْنَ الْوَلايَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الأَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ، وَمِنْ خِـذْلانِ الأَقْرَبِينَ النُّصْـرَةَ، وَمِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحِيحَ الْمِقَةِ، وَمِنْ رَدِّ الْمُلاَبِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلاَوَةَ الأَمَنَةِ...)

التنمية التربوية في الصحيفة السجادية

الدكتور عباس علي الفحام
جامعة الكوفة/كلية التربية للبنات

ينابيع قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حق الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين زين العابدين؟ وكأني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطو في الصفوف)[1]، وسمي بزين العابدين والسجاد وذي الثفنات لكثرة سجوده، قال ولده الإمام الباقر عليه السلام: كان أبي في موضع سجوده آثار ناتئة فكان يقطعها في السنة مرتين في كل مرة خمس ثفنات. بهذه الروحانية التي قل نظيرها التمس الإمام زين العابدين عليه السلام وسيلة غاية في الجدة في أسلوب دعائه، إذ انتقل به من فضاء الروحانية إلى عالم الميدانية والتطبيق، حين اتخذ من الدعاء وسيلة تربية للأمة، وقناة تواصل معهم، بعد أن ضيّق عليه كثيرًا جلاوزة السلطة الأموية، إذ كانت السلطة ترصد سكناته وحركاته. حقّق الإمام بدعائه جملة عريضة من الأهداف، أولها تحقيق التواصل المعرفي المربي للأمة، لذلك نجد في أدعيته المجموعة في (الصحيفة السجادية) وقفات تربوية كثيرة لافتة للبحث والتدبر سنقف منها على محورين هما: المحور الأول وهو الوالدان، والمحور الثاني وهو الأبناء، فخصّ الإمام عليه السلام كُلًا منهما بتفصيلات غاية في التأدب والتلطف.

المحور الأول: الوالدان

فمن دعائه عليه السلام لوالديه الذي يمكن أن يكون مثابة تربوية في التعامل مع الوالدين، إذ ذكر عليه السلام بعد الصلاة على النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آبائه عليهم السلام مبادئ التعامل مع الآباء وهي:

١- الاحترام والطاعة:

قال الإمام عليه السلام داعيًا الله تعالى: (..اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَهَابُهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعَسُوفِ، وأَبَرَّهُمَا بِرَّ الأُمِّ الرَّؤُوفِ، واجْعَلْ طَاعَتِي لِوَالِدَيَّ وبِرِّي بِهِمَا أَقَرَّ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْوَسْنَانِ، وأَثْلَجَ لِصَدْرِي مِنْ شَرْبَةِ الظَّمْآنِ حَتَّى أُوثِرَ عَلَى هَوَايَ هَوَاهُمَا، وأُقَدِّمَ عَلَى رِضَايَ رِضَاهُمَا وأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُمَا بِي وإِنْ

قَلَّ، وأَسْتَقِلَّ برِّي بهِمَا وإنْ كَثُرَ)[٢]، ففي الدعاء ثمة توازن بين المحبة الصادقة والاحترام إزاء التعامل مع الوالدين، وظّف الإمام عليه السلام فصاحته في توضيحها باستعمال نوع من التشبيه - هو التشبيه البليغ - ينصهر فيه طرفاه حتى يتساويا في المقدار، فخص الهيبة للوالدين وهي أعلى مراتب الاحترام ثم شبهها بهيبة صاحب السلطان العريض، ثم جعل المقابل للهيبة الطاعة والبر بهما وشبهه بأقصى ما تصل إليهما هذه المعاني وهي (الأم الرؤوف)، وفيه لمحة بلاغية نادرة إلى منزلة الأم التي بصدد طاعتها الإمام عليه السلام. ثم جعل مبدأ الطاعة لهما مبدأ نابعًا من إيمان قلبي ولذة روحية وليس أمرًا قهريًا إجباريًا، إنه بمثابة العشق الذي يحدث عند المحبين، لذلك أنزله الإمام عليه السلام بمنزلة جميلة باستعمال ذات التشبيه الذي تختفي فيه فاصلة أداته ووجه شبهه فوصف لذة الطاعة بأنها أجمل من لذة النوم لدى من ألح عليه النعاس طلبًا للراحة والسكينة. ومضى أبعد في صفة لذة الطاعة فجعلها لليقظان هذه المرة ألذ على القلب الذي مسه حر الظمأ. وإمعانًا في صفة الرضا للوالدين طلب الإمام عليه السلام أن يكون قليل برّهما كثيرًا في عينيه وكثير برّه بهما قليلًا في إشارة جليلة القدر بوجوب التطامن أمام الوالدين ولاسيما عند كبرهما.

٢- التأدب في حضرة الآباء:

وضع الإمام عليه السلام آدابا عملية في دعائه لوالديه هي في حقيقتها وسائل تربية للأمة فقال عليه السلام : (اللَّهُمَّ خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي، وأَطِبْ لَهُمَا كَلَامِي، وأَلِنْ لَهُمَا عَرِيكَتِي، واعْطِفْ عَلَيْهِمَا قَلْبِي، وصَيِّرْنِي بِهِمَا رَفِيقاً، وعَلَيْهِمَا شَفِيقاً * اللَّهُمَّ اشْكُرْ لَهُمَا تَرْبِيَتِي، وأَثِبْهُمَا عَلَى تَكْرِمَتِي، واحْفَظْ لَهُمَا مَا حَفِظَاه مِنِّي فِي صِغَرِي * اللَّهُمَّ ومَا مَسَّهُمَا مِنِّي مِنْ أَذًى)[٣]، أليس في هذا الكلام تفسير عميق لقوله تعالى: (**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**) ؟ (الإسراء:٢٤) إنه تفصيل لطبيعة معاني الاستعارة القرآنية العظيمة في (جَنَاحَ الذُّلِّ).

٣- إيثار الآباء على النفس:

وفي دعاء الإمام عليه السلام تفصيل بوجوب تفضيل الوالدين على النفس وتقديمهما في البر والدعاء لهما دائمًا، فقال عليه السلام: (.. يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ * اللَّهُمَّ ومَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ أَسْرَفَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ، أَوْ ضَيَّعَاه لِي مِنْ حَقٍّ، أَوْ قَصَّرَا بِي عَنْه مِنْ وَاجِبٍ فَقَدْ وَهَبْتُه لَهُمَا، وجُدْتُ بِه عَلَيْهِمَا ورَغِبْتُ إِلَيْكَ فِي وَضْعِ تَبِعَتِه عَنْهُمَا، فَإِنِّي لَا أَتَّهِمُهُمَا عَلَى نَفْسِي، ولَا أَسْتَبْطِئُهُمَا فِي بِرِّي، ولَا أَكْرَه مَا تَوَلَّيَاه مِنْ أَمْرِي يَا رَبِّ)[٤].

٤- توظيف الاحتجاج للوالدين:

ومن لطيف البيان وجميله في الدعاء للوالدين ما وظف الإمام من أساليب الاحتجاج المنطقي في تقديم الوالدين، في قوله عليه السلام: (..فَهُمَا أَوْجَبُ حَقّاً عَلَيَّ، وأَقْدَمُ إِحْسَاناً إِلَيَّ، وأَعْظَمُ مِنَّةً لَدَيَّ مِنْ أَنْ أُقَاصَّهُمَا بِعَدْلٍ، أَوْ أُجَازِيَهُمَا عَلَى مِثْلٍ، أَيْنَ إِذاً يَا إِلَهِي طُوْلُ شُغْلِهِمَا بِتَرْبِيَتِي! وأَيْنَ شِدَّةُ تَعَبِهِمَا فِي حِرَاسَتِي! وأَيْنَ إِقْتَارُهُمَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا لِلتَّوْسِعَةِ عَلَيَّ! هَيْهَاتَ مَا يَسْتَوْفِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا، ولَا أُدْرِكُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَهُمَا، ولَا أَنَا بِقَاضٍ وَظِيفَةَ خِدْمَتِهِمَا، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وأَعِنِّي يَا خَيْرَ مَنِ اسْتُعِينَ بِه، ووَفِّقْنِي يَا أَهْدَى مَنْ رُغِبَ إِلَيْه، ولَا تَجْعَلْنِي فِي أَهْلِ الْعُقُوقِ لِلْآبَاءِ

والأُمَّهَات يَوْمَ (تُجْزى كُلُّ نَفْس بما كَسَبَتْ) (وهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)[٥]، ففيه تجارب عملية تذكّر الولد دائمًا باقتضاء التواضع والوفاء للوالدين.

٥- الدعاء من دوام البر بالوالدين:

نلمس في إلحاح الإمام بطبيعة التعامل مع الوالدين واستمرار الدعاء لهما في حياتهما ومماتهما لمحًا تربويًا من الوفاء الدائم المستحق فقال عليه السلام: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله وذُرِّيَّته، واخْصُصْ أَبَوَيَّ بأَفْضَل مَا خَصَصْتَ به آبَاءَ عبَادكَ الْمُؤْمنينَ وأُمَّهَاتهمْ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحمينَ * اللَّهُمَّ لا تُنْسني ذكْرَهُمَا في أَدْبَار صَلَوَاتي، وفي إنِّي منْ آنَاء لَيْلي، وفي كُلِّ سَاعَة منْ سَاعَات نَهَاري * اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله، واغْفرْ لي بدُعَائي لَهُمَا، واغْفرْ لَهُمَا ببرِّهمَا بي مَغْفرَةً حَتْماً، وارْضَ عَنْهُمَا بشَفَاعَتي لَهُمَا رضًى عَزْماً، وبَلِّغْهُمَا بالْكَرَامَة مَوَاطنَ السَّلاَمَة * اللَّهُمَّ وإنْ سَبَقَتْ مَغْفرَتُكَ لَهُمَا فَشَفِّعْهُمَا فيَّ، وإنْ سَبَقَتْ مَغْفرَتُكَ لي فَشَفِّعْني فيهمَا حَتَّى نَجْتَمعَ برَأْفَتكَ في دَار كَرَامَتكَ ومَحَلِّ مَغْفرَتكَ ورَحْمَتكَ، إنَّكَ ذُو الْفَضْل الْعَظيم، والْمَنِّ الْقَديم، وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحمينَ)[٦]. ففي نهاية الدعاء الذي خصه الإمام عليه السلام بالوالدين وفاء بالبر بهما كونه يُعد طاعة لهما في غيابهما.

المحور الثاني: الأبناء

وخص الإمام عليه السلام ولده بصالح دعائه، وفيه نستكشف التربويات الآتية:

١- نعمة الأولاد:

عرض الإمام عليه السلام في استفتاح دعائه لذة نعمة الأبناء وصلاح بناهم الجسمية والروحية فقال عليه السلام: (اللَّهُمَّ ومُنَّ عَلَيَّ ببَقَاء وُلْدي وبإصْلاَحهمْ لي وبإمْتَاعي بهمْ * إلهي امْدُدْ لي في أَعْمَارهمْ ، وزِدْ لي في آجَالهمْ، ورَبِّ لي صَغيرَهُمْ، وقَوِّ لي ضَعيفَهُمْ، وأَصِحَّ لي أَبْدَانَهُمْ وأَدْيَانَهُمْ وأَخْلاَقَهُمْ، وعَافهمْ في أَنْفُسهمْ وفي جَوَارحهمْ وفي كُلِّ مَا عُنيتُ به منْ أَمْرهمْ، وأَدْرِرْ لي وعَلَى يَدي أَرْزَاقَهُمْ * واجْعَلْهُمْ أَبْرَاراً أَتْقيَاءَ بُصَرَاءَ سَامعينَ مُطيعينَ لَكَ، ولأَوْليَائكَ مُحبِّينَ مُنَاصحينَ، ولجَميع أَعْدَائكَ مُعَانديَنَ ومُبْغضينَ، آمينَ)[٧]، الإمام عليه السلام في غاية الواقعية، إذ ما فائدة الأولاد بلا صحة جسدية أو ما فائدتهم بلا تسديد، فكم من ولد عاد نقمة وفتنة لأبويه، لذلك افتتح الدعاء بالطلب بأن يكونوا أصحاء في البدن وصلحاء في النفس.

٢- ذخيرة الكبر:

وفي بعض ما يطمح إليه من تربية الأبناء أن يكونوا لآبائهم عونًا حين يمسهم الضعف في كبرهم وشيخوختهم لذلك دعا الإمام عليه السلام بقوله: (اللَّهُمَّ اشْدُدْ بهمْ عَضُدي، وأَقمْ بهمْ أَوَدي، وكَثِّرْ بهمْ عَدَدي، وزَيِّنْ بهمْ مَحْضَري، وأَحْي بهمْ ذكْري، واكْفني بهمْ في غَيْبَتي، وأَعنِّي بهمْ عَلَى حَاجَتي، واجْعَلْهُمْ لي مُحبِّينَ، وعَلَيَّ حَدبينَ مُقْبلينَ مُسْتَقيمينَ لي، مُطيعينَ، غَيْرَ عَاصينَ ولا عَاقِّينَ ولا مُخَالفينَ ولا خَاطئينَ * وأَعنِّي عَلَى تَرْبيَتهمْ وتَأْديبهمْ، وبرِّهمْ)[٨].

وفي هذا التفصيل دعوة لسيادة الحب والمودة بين أفراد الأسرة، وإذا كان الحب هو السائد في العلاقة بين الطفل ووالديه، فإن الطاعة لهما ستكون متحققة الوقوع، وعلى الوالدين أن يصدرا الأوامر برفق ولين بصورة نصح وإرشاد فإن الطفل سيستجيب لهما، أما استخدام التأنيب والتعنيف فإنه سيؤدي إلى نتائج عكسية، ولذا أكد علماء النفس والتربية على التقليل

من التعنيف عند وقوع الذنب، لأن كثرة العقاب تهون على الطفل سماع الملامة وتخفف وقع الكلام في نفسه[٩]، الأسرة إذًا لها أثرها في تكوين شخصية الفرد إيجابًا أو سلبًا، لذا ينبغي الاجتهاد في جعل الأولاد (مُحبِّينَ...حَدِبينَ) كما ذكر الإمام عليه السلام.

٣- طلب الذكور:

وخص الإمام عليه السلام في دعائه طلب الذكور من الأولاد طلبا شفيقًا لحاجة المرء إليهم، وأقول شفيقًا لأن حاجة الإنسان إلى ما يرى في حاضره ملحة في طلب الذكور، أما علم حرمان المرء من الذكور فعند الله تعالى ولا ريب في أنه تصب في منفعة الوالدين، فكم من ولد انقلب نقمة على أبويه، ولذلك كان الإمام مربيًا تربويًا في هذا الطلب ومعلمًا للأمة فقال: (وهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلَاداً ذُكُوراً، واجْعَلْ ذَلِكَ خَيْراً لِي، واجْعَلْهُمْ لِي عَوْناً عَلَى مَا سَأَلْتُكَ * وأَعِذْنِي وذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[١٠]،

ومن جميل تربية الإمام عليه السلام لأمته إشارة دعائه في إشاعة روح تقديم الخير للجماعة لما في ذلك من تحقيق الألفة والتكافل لأفراد المجتمع، لذلك ختم دعاءه عليه السلام بقوله (وأَعْطِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ والْمُسْلِمَاتِ والْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ مِثْلَ الَّذِي سَأَلْتُكَ لِنَفْسِي ولِوُلْدِي فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وآجِلِ الآخِرَةِ، إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ سَمِيعٌ عَلِيمٌ عَفُوٌّ غَفُورٌ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *و(آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذَابَ النَّارِ))[١١]■

١- الأمالي/الشيخ الصدوق/ص٤١٠.

٢، ٣، ٤، ٥، ٦- الصحيفة السجادية الكاملة/من دعائه لأبويه/ص١١٤.

٧، ٨ - ن.م/دعاؤه لولده/ص١٢٠.

٩- ظ. تربية الطفل في الإسلام، مركز الرسالة: ٥٩.

١٠، ١١- الصحيفة السجادية /دعاؤه لولده/ص١٢٠.

من أقوال الإمام السجاد عليه السلام

* وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلّا رفق الله عزّ وجلّ به يوم القيامة ، ورأس الحكمة مخافة الله.

الخصال ص ١٠٦

*إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى أوحى إلى دانِيالَ : إنَّ أمقَتَ عَبيدي إلَيَّ الجاهِلُ المُستَخِفُّ بِحَقِّ أهلِ العِلمِ ، التّارِكُ لِلاِقتِداءِ بِهِم

الكافي : ١ / ٣٥

قصديَّة النص في الصحيفة السجادية
دعاء استقبال شهر رمضان أنموذجاً

م.م. أحمد جاسم ثاني الركابي
جامعة البصرة/ كلية التربية- القرنة

تمهيد

أولت الدراسات اللغوية الحديثة النص عناية فائقة، وأعطته نصيباً من التفكير اللغوي في البحث والدراسة والتحليل، فانتقلت من دراسة الجملة إلى دراسة النص، ونظرت إليه نظرة شمولية، تحولت معها من ضيق دائرة النحو التقليدي إلى أفق رحب نحو النص، مما أدى إلى توصل تلك الدراسات إلى نتائج أكثر ثراءً وأوفر فهماً للنصوص، وكشفاً عن مضامينها. ومن المعايير التي يقوم عليها بناء النص معيار (القصد) الذي يدل على هدف النص والغرض من إنشائه. وهذا البحث محاولة لتطبيق هذا المعيار على نص من نصوص الصحيفة السجادية، وهو دعاء الإمام السجاد عليه السلام لاستقبال شهر رمضان المبارك.

القصد في اللغة والاصطلاح:

ارتبطت دلالة (قصد) في معاجم اللغة بالدلالة على المعنى وتأديته؛ وغالباً ما يرد لفظ)قصد) مرادفاً للفظ (معنى)[1] ، فقد ذكر الزمخشري في أساس البلاغة: (وعنيت بكلامي كذا، أي: أردته وقصدته، ومنه: المعنى)[2]، وقال ابن منظور في لسان العرب: (لا يُقال عُنيتُ بحاجتك إلا على مَعْنى قصَدْتُها، من قولك عَنَيْتُ الشيء أعنيه إذا كنت قاصداً له ... ومَعْنَى كلّ كلام ومَعْنَاتُه ومَعْنِيَّتُه : مَقْصِدُه)[3].

ولما كان لفظ (القصد) مرادفاً للمعنى، وكان المعنى هو كل ما تؤديه الألفاظ من دلالات حسّية أو أفكار عقلية، فإن (القصد) هو الغاية أو الهدف أو الغرض أو الفحوى والمضمون والدلالة التي يُستدل عليها بالألفاظ والتراكيب[4].

أما في الاصطلاح فيُراد به (قصد منتج النص من أية تشكيلة لغوية ينتجها أن تكون قصداً مسبوكاً محبوكاً. وفي معنى أوسع تشير القصدية إلى جميع

الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها)[٥].

أو هي هدف النص، وموقف منتج النص لإنتاج نص متماسك ومترابط؛ لكي يتم الوصول إلى هدف مرسوم في خطة محددة[٦].

وتُعد قصدية النص من إحدى المقومات الأساسية للنص، ذلك بأن لكل منتج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها، أو نية يريد تجسيدها[٧]. (ويستمد مفهوم القصد شرعية وجوده في الدراسات اللسانية، قديمها وحديثها، من أن كل فعل كلامي يفترض فيه وجود نية للتوصيل والإبلاغ)[٨]. فالقصد له تأثير في بنية النص وأسلوبه؛ لأن الكاتب يبني نصه بناءً معيّناً، ويختار لذلك الوسائل اللغوية الملائمة بما من شأنه أن يضمن تحقيق قصده[٩].

وأدعية الصحيفة السجادية عامةً قد اتسمت بكل معايير النص التي تجعلها نصوصاً متماسكة الأطراف محكمة البناء، ومنها هذا الدعاء موضوع البحث، فمتلقي هذا النص يلحظ بوضوح قصديته وسببه، فهو بمثابة منهاج عبادي متكامل، ووثيقة أخلاقية فقهية تصوّر مدى عظمة هذا الشهر وفضله ومنزلته عند الله تعالى من جانب، ومن جانب آخر تبين الآداب والأحكام التي يجب على العبد اتباعها والالتزام بها ما دام في ضيافة الرحمن. وعند تحليل نص الدعاء تتجلى قصديته وما تضمّنه من دروس ودلالات، وذلك في ضوء توزيعه إلى محاور بحسب ما ورد فيه من موضوعات وأفكار، وكما يأتي:

افتتاح الدعاء بالحمد لله تعالى:

يُفتَتَح الدعاء بالحمد لله تعالى، وهي ظاهرة مألوفة في أغلب نصوص الصحيفة السجادية، إلّا أنه في هذا الدعاء يقرن الحمد بالهداية والشكر والجزاء فقال: (اَلْحَمْدُ للّٰه الَّذي هَدانا لِحَمْده، وَجَعَلَنا مِنْ أَهْله، لِنَكُونَ لِإِحْسانه مِنَ اَلشّاكِرينَ، وَلِيَجْزِيَنَا عَلى ذلكَ جَزاءَ اَلْمُحْسِنينَ)[١٠]، ويكرر الحمد مقروناً بمفردات (الدين) و(الملة) و(السبيل) و(السلوك) في قوله: (وَالْحَمْدُ للّٰه الَّذي خَبانا بدينه، وَاخْتَصَّنا بِملّته، وَسَبَّلَنا في سُبُلِ إِحْسانه لِنَسْلُكَها بِمَنِّهِ إلى رِضْوانه، حَمْداً يَتَقَبَّلُهُ مِنّا، وَيَرْضى بِهِ عَنّا)[١١]، وهو افتتاح يتناسب تماماً مع موضوع الدعاء الذي يستقبل به شهر رمضان الذي تتمحور حوله المفردات السابقة التي قرنها مع حمد الله تعالى.

التمهيد إلى الموضوع المركزي للنص:

ثم ينتقل إلى التمهيد إلى الموضوع المركزي ألا وهو (شهر رمضان) مكرراً حمده لله تعالى، ومعدداً صفات هذا الشهر التي تظهر فضائله، مقتبساً في ذلك نصاً قرآنياً بلفظه ومعناه لإنارة النص دلالياً، فيقول: (**وَالْحَمْدُ للّٰه الَّذي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ شَهْرَ رَمَضانَ، شَهْرَ الصِّيامِ، وَشَهْرَ الإِسْلامِ، وَشَهْرَ الطَّهُورِ، وَشَهْرَ التَّمْحيصِ، وَشَهْرَ الْقِيامِ ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، هُدىً لِلنَّاسِ، وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَالْفُرْقانِ﴾**(البقرة:٥ ١٨). فَأَبانَ فَضيلَتَهُ عَلى سائرِ الشُّهُورِ بما جَعَلَ لَهُ مِنَ الْحُرُماتِ اَلْمَوْفُورَةِ، وَالْفَضائلِ الْمَشْهُورَةِ)[١٢]. فمنزلة هذا الشهر عظيمة عند الله تعالى؛ لذلك جعله الإمام من سبل الله تعالى، وقرنه بـ (الصيام) و(الإسلام) و(الطهور) و(التمحيص) و(القيام)، وكل مفردة من هذه المفردات تكفيه فخراً

على سائر الشهور والأيام.

ومن خصائص هذا الشهر أن الله تعالى عظّمه ببعض الأحكام إكراماً له، ورد في الدعاء: (فَحَرَّمَ فيهِ ما أَحَلَّ في غَيْرِه إعْظاماً، وَحَجَرَ فيه الْمَطاعِمَ وَالْمَشارِبَ إكْراماً، وَجَعَلَ لَهُ وَقْتاً بَيِّناً لا يُجيزُ، جَلَّ وَعَزَّ، أنْ يُقَدَّمَ قَبْلَهُ، وَلا يَقْبَلُ أنْ يُؤَخَّرَ عَنْهُ)[١٣].

ذكر ليلة القدر:

ثم يعرّج على أفضل ليلة في شهر رمضان، وهي ليلة القدر التي خصّها الله تعالى بسورة كاملة في كتابه العزيز، وقد واستدل النص بها استدلالاً جميلاً عبر فن الاقتباس، فقال عليه السلام: (ثُمَّ فَضَّلَ لَيْلَةً واحِدَةً مِنْ لَياليه عَلى لَيالي أَلْف شَهْر، وَسَمّاها لَيْلَةَ الْقَدْرِ (**تَنَزَّلُ الْمَلآئِكَةُ وَالرُّوحُ فيها بِاذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ اَمْر**)(القدر:٤) سَلامٌ دآئِمُ الْبَرَكَة إلى طُلُوع الْفَجْر عَلى مَنْ يَشآءُ مِنْ عِبادِه بِما أَحْكَمَ مِنْ قَضائه)[١٤].

وفي العبارة الأخيرة: (عَلى مَنْ يَشآءُ مِنْ عِبادِه بِما أَحْكَمَ مِنْ قَضائه) إشارة إلى ارتباط هذا الشهر العظيم بالإمامة، فهي المحور الذي تدور حوله كل الفضائل في شهر رمضان.

طلب الحاجات وبيان أحكام الصوم:

ومن بعد هذه المقدمة التمهيدية من المدح والثناء لله تعالى، والتعريف بشهر رمضان وبيان فضله، يتحول النص إلى طلب الحاجات من الله تعالى، شأنه في ذلك شأن أي نص من نصوص الدعاء، مفتتحاً طلباته بالصلاة على محمد وآل محمد، وهي ظاهرة دينية معروفة، إذ يُستحب ابتداء الدعاء بها وختمه بها سعياً للاستجابة، وفي الوقت نفسه تتضح الأحكام الشرعية والآداب التي يجب أن

يتحلّى بها الصائم، فقال: (اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَاَلْهِمْنا مَعْرِفَةَ فَضْله، وَاجْلالَ حُرْمَته، وَالتَّحَفُّظَ ممّا حَظَرْتَ فيه)[١٥].

فمن آداب الصائم أن تصوم جوارحه، كالسمع والبصر واليد والرجل والبطن واللسان، وأن يستثمرها بما يرضي الله تعالى ويقرّبه منه: (وَأعنّا عَلى صيامه بكَفِّ الْجَوارح عَنْ مَعاصيكَ، وَاسْتَعْمالهَا فيه، بما يُرْضَيكَ حَتّى لا نُصْغيَ بأَسْماعنا إلى لَغْو، وَلا نُسْرعَ بأبْصارنا إلى لَهْو، وَحَتّى لا نَبْسُطَ أيْدينا إلى مَحْظُور، وَلا نَخْطُوَ بأقْدامنا إلى مَحْجُور، وَحَتّى لا تَعيَ بُطُوننا إلاّ ما اَحْلَلْتَ، وَلا تَنْطقَ اَلْسنَتُنا إلاّ بما مَثَّلْتَ، وَلا نَتَكَلَّفَ إلاّ ما يُدْني مِنْ ثَوابكَ، وَلا نَتَعاطى إلاّ الَّذي يَقي مِنْ عقابكَ)[١٦].

ويختتم هذا المقطع بطلب الإخلاص في العبادة لله تعالى، والعون على محاربة الرياء والسمعة والشرك: (ثُمَّ خَلِّصْ ذلكَ كُلَّهُ مِنْ رياء الْمُرائينَ، وَسُمْعَة الْمُسْمعينَ، لا نَشْرَكُ فيه أحَداً دُونَكَ، وَلا نَبْتَغي فيه مُراداً سِواكَ)[١٧].

التركيز على الصلاة:

لا غنى للعبد من طلب التوفيق من الله تعالى لإقامة الفروض والأعمال الصالحة التي يستزيد بها قرباً وكرامةً وفضلاً، ولما ثَبُتَ لفريضة الصلاة في سائر الأيّام فضلاً عن أهميتها في شهر رمضان؛ فقد ركّز النص على طلب التوفيق لإقامتها: (اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَقِفْنا فيه عَلى مَواقيت الصَّلَوات الْخَمْس بحُدُودها الَّتي حَدَّدْتَ، وَفُرُوضها الَّتي فَرَضْتَ، وَوَظآئفها الَّتي وَظَّفْتَ، وَأوْقاتها الَّتي وَقَّتَّ. وَأنْزِلْنا فيها مَنْزِلَةَ الْمُصيبينَ لمَنازلها، الْحافظينَ لأرْكانها، الْمُؤَدّينَ لَها في أوْقاتها عَلى ما سَنَّهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، صَلَواتُكَ عَلَيْه وَآله، في رُكُوعها وَسُجُودها وَجَميع فَواضلها عَلى أتَمِّ الطُّهُور وَأسْبَغه، وَأبْيَن الْخُشُوع وَأبْلَغه)[١٨]، وهو تلخيص مكثّف لآداب الصلاة وصفاتها، فلم يترك جزئيةً تتعلق بها إلّا وذكرها، كالمواقيت والأركان والطهور والخشوع.

حُسنُ الخلق مع الآخرين:

ومن أهم آداب شهر رمضان التي أوصى بها رسول الله ﷺ تحسين الخلق[١٩]، التي تتمثّل بصلة الرحم، وإكرام الجار، وأداء الحقوق الشرعية، والعفو عمن ظلمنا، وغيرها من الوصايا التي اقتبسها ووظفها النص: (وَوَفِّقْنا فيه لأنْ نَصِلَ أرْحامَنا بالْبِرِّ وَالصِّلَة، وَأنْ نَتَعاهَدَ جيرانَنا بالإفْضال وَالْعَطيَّة، وَأنْ نُخَلِّصَ أمْوالَنا مِنَ التَّبِعات، وَأنْ نُطَهِّرَها بإخْراج الزَّكَوات. وَأنْ نُراجعَ مَنْ هاجَرَنا، وَأنْ نُنْصفَ مَنْ ظَلَمَنا، وَأنْ نُسالمَ مَنْ عادانا حاشى مَنْ عُودِيَ فيكَ وَلَكَ، فَإنَّهُ الْعَدُوُّ الَّذي لا نُواليه، وَالْحِزْبُ الَّذي لا نُصافيه)[٢٠].

التقرّب إليه تعالى:

والمؤمن لا يكتفي بالأعمال الواجبة، بل يطمح ويطمع بالمستحبات التي تضاعف أجورها في هذا الشهر: (وَأنْ نَتَقَرَّبَ إلَيْكَ فيه مِنَ الأعْمال الزّاكيَة بما تُطَهِّرُنا به مِنَ الذُّنُوب، وَتَعْصِمُنا فيه مِمّا نَسْتَأْنفُ مِنَ الْعُيُوب، حَتّى لا يُوردَ عَلَيْكَ أحَدٌ مِنْ مَلآئكَتكَ إلاّ دُونَ ما نُوَرِدُ مِنْ أبْواب الطّاعَة لَكَ، وَأنْواع الْقُرْبَة إلَيْكَ)[٢١].

جني ثمار الطاعة:

بعد هذه الجولة العبادية التي اجتازها العبد برضى الله تعالى، يرجو أن يجني ثمار طاعته: (وَأهِّلْنا فيه لِما وَعَدْتَ

أَوْلِيآءَكَ مِنْ كَرامَتِكَ، وَأَوْجِبْ لَنا فيه ما أَوْجَبْتَ لأَهْلِ الْمُبالَغَةِ فِي طاعَتِكَ، وَاجْعَلْنا فِي نَظْمِ مَنِ اسْتَحَقَّ الرَّفِيعَ الأَعْلى بِرَحْمَتِكَ)[٢٢].

عود على بدء:

من علامات النص المتماسك أن تتوحد فيه الأفكار لتنسجم مع الموضوع، وأن ترتبط مقدمته مع خاتمته، فالنص هنا يكرر ما بدأ به من تحميد وتمجيد ولكن باختلاف الأسلوب، ففي المقدمة كان أسلوباً انشائياً، وهنا تحول إلى أسلوب طلبي، يطلب فيه العبد اجتناب (الإلحاد) و(التقصير) و(الشك) ... وغيرها مما يخالف العبادة الخالصة: (وَجَنِّبْنا الالْحادَ فِي تَوْحِيدِكَ، وَالتَّقْصِيرَ فِي تَمْجِيدِكَ، وَالشَّكَّ فِي دِينِكَ، وَالْعَمى عَنْ سَبِيلِكَ، وَالإِغْفالَ لِحُرْمَتِكَ، وَالانْخِداعَ لِعَدُوِّكَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ)[٢٣] وثمة ارتباط آخر بين المقدمة وهذا المقطع، وهو الإشارة إلى شهر رمضان بلفظ (السبيل) الذي ورد في بداية النص بقوله عليه السلام: (وَالْحَمْدُ لِلّه الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ شَهْرَ رَمَضانَ)، وفي هذا المقطع بطلب تجنّب العمى عن سبيل الله تعالى.

الإلحاح بطلب العفو والمغفرة:

يعيش المؤمن دائماً بين حالتي الخوف والرجاء، الخوف من عذاب الله تعالى عما يصدر من الإنسان من تقصير، والرجاء في أن تسعه رحمة الله تعالى، ذلك الفضاء الرحب الذي يسع السماوات والأرض: (وَإِذا كانَ لَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيالِي شَهْرِنا هذا رِقابٌ يُعْتِقُها عَفْوُكَ، أَوْ يَهَبُها صَفْحُكَ فَاجْعَلْ رِقابَنا مِنْ تِلْكَ الرِّقابِ، وَاجْعَلْنا لِشَهْرِنا مِنْ خَيْرِ أَهْلٍ وَأَصْحابٍ)[٢٤]، وعتق الرقاب تعبير مجازي، وهي كناية عن المغفرة والعفو والصفح والتجاوز عما مضى من ذنوب العبد، ويُلاحظ أن النص ينسب هذا الشهر لضمير المتكلمين (شهرنا) مرتين، مما يدل على أن شهر رمضان هو شهر العباد، يغفر الله تعالى لهم ويزيدهم من فضله، ويقدّر فيه أرزاقهم وآجالهم.

ويكرر طلبه وإلحاحه في العفو والمغفرة، موظفاً الصور الفنية الجميلة لصياغة أسلوبه: (وَامْحَقْ ذُنُوبَنا مَعَ إِمْحاقِ هِلالِهِ، وَاسْلَخْ عَنّا تَبِعاتِنا مَعَ انْسِلاخِ أَيّامِهِ حَتّى يَنْقَضِيَ عَنّا وَقَدْ صَفَّيْتَنا فِيهِ مِنَ الْخَطِيئاتِ، وَأَخْلَصْتَنا فِيهِ مِنَ السَّيِّئاتِ)[٢٥]، فصورة (إمحاق الذنوب) مع إمحاق الهلال، وصورة (انسلاخ التبعات) مع انسلاخ أيام الشهر، نوع من التعبير الفني الذي يزين نصوص الدعاء في الصحيفة السجادية.

آدابٌ أخرى:

وفي هذا المقطع يوجز النص آداباً أخرى بأروع أساليب التعبير: (اَللّهُمَّ اشْحَنْهُ بِعِبادَتِنا إِيّاكَ، وَزَيِّنْ أَوْقاتَهُ بِطاعَتِنا لَكَ، وَأَعِنّا فِي نَهارِهِ عَلى صِيامِهِ، وَفِي لَيْلِهِ عَلَى الصَّلاةِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْكَ، وَالْخُشُوعِ لَكَ، وَالذِّلَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتّى لا يَشْهَدَ نَهارُهُ عَلَيْنا بِغَفْلَةٍ، وَلا لَيْلُهُ بِتَفْرِيطٍ)[٢٦]، فعبّر بمفردة (اشْحَنْهُ) وهي من المفردات غير المألوفة في التعبير اللغوي، وهنا تكمن جماليات المفردة في التعبير السجادي، فلو قال: (املأه) لم تكن بتلك الجمالية المكثفة التي دلّت على المبالغة في طلب التوفيق للعبادة في شهر رمضان. فضلاً عن الجمالية التي تؤديها مفردة (زَيِّنْ) في سياق هذا المقطع: (وَزَيِّنْ أَوْقاتَهُ بِطاعَتِنا لَكَ)، كما قابل بين (الليل والنهار)، و(الصيام والصلاة)، و(الغفلة

والتفريط)، مما يضفي على النص مزيداً من الألق والجمال.

الاستمرار على الطاعة في سائر الشهور:

الحملة العبادية لشهر رمضان لا تنقضي بانقضاء أيامه ولياليه، بل هي دورة تطويرية للذات، يمر بها العبد في كل عام ليراجع فيها حساباته ويؤوب إلى ربه تعالى، وينطلق منها إلى العام القادم؛ لذا ورد في نص الدعاء: (اَللّهُمَّ وَاجْعَلْنا في سائِرِ الشُّهُورِ وَالأيّامِ كَذلكَ ما عَمَّرْتَنا، وَاجْعَلْنا مِنْ عِبادِكَ الصّالحينَ (**الَّذينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فيها خالِدُونَ**)(المؤمنون:١١)، (**وَالَّذينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ اَنَّهُمْ إلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ**)(المؤمنون:٦٠)، وَمِنَ الَّذينَ (**يُسارِعُونَ في الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ**)(المؤمنون:٦١)[٢٧]. فعبّر النص عمن يجتاز هذه الدورة بنجاح بالعباد الصالحين، ووصفهم وصفاً قرآنياً رائعاً ومنسجماً.

وختامه مسك:

تُختتم أغلب نصوص الدعاء بالصلاة على محمد وآل محمد، تبرّكاً وطلباً لاستجابة الدعاء، وفي هذا النص يبالغ الإمام عليه السلام بالصلاة على محمد وآل محمد، بأجمل العبارات وأبلغها: (اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، في كُلِّ وَقْت وَكُلِّ أوان وَعَلى كُلِّ حالٍ عَدَدَ ما صَلَّيْتَ عَلى مَنْ صَلَّيْتَ عَلَيْه، وَأضْعافَ ذلكَ كُلِّه بالأضْعافِ الَّتي لا يُحْصيها غَيْرُكَ، إنَّكَ فَعّالٌ لِما تُريدُ)[٢٨]■

١- ينظر: القصدية في النص الأدبي، (بحث) ميلود مصطفى، ود. إياد عبد الله، ود. زين الرجال عبد الرزاق، مجلة الرُّواق: س/١، ع/١، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م، ص: ١١٤.

٢- أساس البلاغة، الزمخشري، (ع ن ن): ج/٢، ص: ٣١٨.

٣- لسان العرب، ابن منظور (عنا): ج/١٥، ص:١٠٥-١٠٦.

٤- ينظر: القصدية في النص الأدبي: ١١٤.

٥- علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد: ٢٨.

٦- ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجاً، (بحث): (دون اسم مؤلف)، مجلة علوم اللغة، مج/٩، ع/٢، ٢٠٠٦م، ص: ٧-٨.

٧- ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي: ٩٦.

٨- المصدر نفسه: ٩٦.

٩- ينظر: المصدر نفسه: ٩٧.

١٠- الصحيفة السجادية الكاملة، الإمام زين العابدين (عليه السلام): ١٦٥.

١١- المصدر نفسه: ١٦٥.

١٢- الصحيفة السجادية الكاملة: ١٦٥-١٦٦.

١٣- المصدر نفسه: ١٦٦.

١٤- الصحيفة السجادية الكاملة: ١٦٦.

١٥- المصدر نفسه: ١٦٦.

١٦- المصدر نفسه: ١٦٦-١٦٧.

١٧- المصدر نفسه: ١٦٧.

١٨- المصدر نفسه: ١٦٧.

١٩- ينظر: مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي: ١٧٣، (خطبة النبي "ص" في شهر رمضان).

٢٠- الصحيفة السجادية الكاملة: ١٦٧.

٢١- المصدر نفسه: ١٦٧-١٦٨.

٢٢- المصدر نفسه: ١٦٨.

٢٣- المصدر نفسه: ١٦٨.

٢٤- المصدر نفسه: ١٦٨.

٢٥- المصدر نفسه: ١٦٨-١٦٩.

٢٦- المصدر نفسه: ١٦٩.

٢٧- الصحيفة السجادية الكاملة: ١٦٩.

٢٨- المصدر نفسه: ١٧٠.

أدعية الصحيفة السجادية والبناء النفسي السليم

أ.د. نجم عبدالله الموسوي
كلية التربية – جامعة ميسان

تمهيد:

لا يمكن أن يشك أحد أن القرب من اللّٰه تعالى هو أحد بل أهم مقومات تحقيق الاطمئنان النفسي، بل إن الدراسات والبحوث النفسية الجديدة أكدت في الكثير من نتائجها أن للعبادة دورًا مهمًا وحيويًا في إعطاء سمة الاستقرار النفسي والهدوء الوجداني للأفراد.

ولا بد من بيان أن الجانب السيكولوجي (النفسي) للإنسان شأنه شأن الجانب البيولوجي يتعرض إلى علل وتوعك واضطراب وأن الأمراض النفسية تكاد تكون أخطر من الأمراض الجسدية لأسباب عديدة يطول المقام لذكرها هنا، وأكتفي ببيان أن هناك العديد من الأمراض الجسدية ذات منشأ نفسي، وتأتي خطورة المرض النفسي أنه لا يؤثر على الشخص نفسه بل يترك تأثيره الجانبي على الآخرين، أضف إلى ذلك أن الأمراض النفسية تحتاج إلى وقت طويل الأمد للعلاج.

فمثلما وجهنا اللّٰه تعالى إلى الكثير من الأحكام الشرعية الفقهية التي إن التزم بها الإنسان حفظت صحته من الأمراض والأوبئة، نرى أن البناء النفسي السليم للمسلم أخذته السماء بعين الاعتبار ووجهت إلى حفظه وصيانته مما يعتريه من خلل واضطراب ووجل، قال تعالى:(**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**) (الرعد:٢٨).

ويمكن القول أن القرب من اللّٰه تعالى يجلي هموم الإنسان وآلامه وأوجاعه ويؤكد للإنسان ذاته الضائعة في خضم الدنيا المليئة بالماديات التي لوثت فطرته، وبالعودة والرجوع إلى اللّٰه تعالى تستقر الأنفس وتهدأ الذات وتذهب الأدران وتتهذب وتسمو الأرواح وتنشرح الصدور، ومن وسائل القرب إلى اللّٰه والإيمان بقدرته في إنقاذ الفرد وحفظه

من موبقات الدنيا ومخاوفها هو الدعاء.

وليس من شك في أن الدعاء احتل مكانة مرموقة في خصوصيات النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وأن الصحيفة السجادية من أبرز كتب الدعاء، بل إنها ميراث أكبر أورثه الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام إلى شيعته ومواليه وإلى المسلمين عامة.

المتصفح لهذه الصحيفة المباركة المقدسة يراها قد نظمت بإطار تربوي ونفسي وأن مبدعها ليس أنساناً عاديا، ففي طياتها بناء للنفس الإنسانية فهي أتقنت هندسة صناعة الإنسان وبناء ذاته وتحقيق سلامته من قاذورات الذنوب والابتعاد عن الله تعالى، فكأن هم الإمام عليه السلام في أدعيته هو الشغل الشاغل له عليه السلام إيماناً واعتقاداً بأهمية الدعاء يتقرب به العبد إلى ربه ويصلح به سريرته ويكسب سلامة نفسه .

وفيما يأتي أهم المرتكزات الأساسية التي تبنتها الصحيفة السجادية المقدسة في مجال البناء النفسي السليم للفرد المسلم :

١. لقد نجح الإمام السجاد عليه السلام في صحيفته المقدسة أن يعيد النفوس الضالة إلى الله الذي لا يمكن للإنسان أن يحقق السعادة التي ينشدها في الدنيا والآخرة إلاّ بالرجوع والرغبة إليه والشعور بوجوده جلت قدرته، ومن دعائه في طلب الحوائج: (فَقَصَدْتُكَ يا إلهي بالرَّغْبَة، وَأَوْفَدْتُ عَلَيْكَ رَجَائي بالثِّقَة بِكَ، وَعَلِمْتُ أَنَّ كَثيرَ مَا أَسْأَلُكَ يَسيرٌ في وُجْدِكَ، وَأَنَّ خَطيرَ مَا أَسْتَوْهِبُكَ حَقيرٌ في وُسْعِكَ، وَأَنَّ كَرَمَكَ لا يَضيقُ عَنْ سُؤَال أَحَد، وَأَنَّ يَدَكَ بالْعَطايا أَعْلَى مِنْ كُلِّ يَد. أللَهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله وَاحْمِلْني بِكَرَمِكَ عَلَى التَّفَضُّل، وَلا تَخْمِلْني بِعَدْلِكَ عَلَى الاسْتِحْقَاق، فَما أَنَا بأَوَّل رَاغب رَغبَ إِلَيْكَ فَأَعْطَيْتَهُ وَهُوَ يَسْتَحِقُّ الْمَنْعَ، وَلا بأَوَّل سَائل سَأَلَكَ فَأَفْضَلْتَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْتَوْجِبُ الْحِرْمَانَ...)[1].

٢.حرص الإمام السجاد عليه السلام على أن تكون أدعيته المباركة منوعة وشاملة لكثير من المواقف الدينية والدنيوية فنجد أن هناك أدعية مخصوصة لأوقات معينة من جانب، ونرى أن هناك أدعية خاصة لمواقف متنوعة لا تخلو منها حياة الإنسان، استشعارًا منه عليه السلام بأن لكل ظرف دعاءً خاصاً به يركن إليه الفرد المسلم معتمدًا فيه على الله تعالى، والذي يراجع الصحيفة السجادية المقدسة يجد ما يريد من أدعية متنوعة متعددة.

٣. اتسمت الأدعية المباركة في الصحيفة السجادية بكونها الأداة التي من خلالها يحقق الداعي قربه من الله تعالى لأنها لم تكن أدعية عابرة بل كانت أدعية ممنهجة وعلمية وموضوعية ومرتبة أخذ فيها الإمام السجاد عليه السلام بكل متطلبات العبودية الحقة لله جلت قدرته وأوسمها بسمة المعصوم من حيث الحب الإلهي الحقيقي الصادق وذل العبد المطيع لله سبحانه وتعالى، فالمتصفح لأسطر هذه الصحيفة المقدسة يشعر أنه قريب من الله تعالى ولا تحجزه الحواجز ولا تحجبه الحجب، وكلما اقترب العبد إلى مولاه كلما استبشر وفرح واطمأنت نفسه وهدأت جوارحه وسكنت آلامه وأوجاعه وشعر برضا مولاه عنه، ومن دعائه عليه السلام في التحميد لله عز وجل: (وَالْحَمْد لله بكُلِّ مَا حَمِدَهُ بِهِ أَدْنَى مَلائكَته إِلَيْهِ وَأَكْرَمُ خَليقَته عَلَيْهِ،

وَأَرْضَى حَامِديْه لَدَيْه، حَمْداً يَفْضُلُ سَآئِرَ الْحَمْد كَفَضْلِ رَبِّنا عَلَى جَمِيع خَلْقه. ثُمَّ لَهُ الْحَمْدُ مَكَانَ كُلِّ نِعْمَة لَهُ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيع عِبَاده الْمَاضِينَ وَالْبَاقِينَ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِه عِلْمُهُ مِنْ جَمِيع الأَشْيَآء، وَمَكَانَ كُلِّ وَاحِدَة مِنْهَا عَدَدُهَا أَضْعافاً مُضَاعَفَةً أَبَداً سَرْمَداً إِلَى يَوْم الْقِيَامَة، حَمْداً لاَ مُنْتَهَى لحَدِّه وَلا حِسَابَ لِعَدَدِه وَلاَ مَبْلَغَ لِغَايَتِه وَلا انْقِطَاعَ لأَمَدِه، حَمْداً يَكُونُ وُصْلَةً إِلَى طَاعَتِه وَعَفْوِه، وَسَبَباً إِلَى رِضْوَانِه وَذَرِيعَةً إِلَى مَغْفِرَتِه وَطَرِيقاً إِلَى جَنَّتِه، وَخَفِيْراً مِنْ نَقِمَتِه، وَأَمْناً مِنْ غَضَبِه، وَظَهِيْراً عَلَى طَاعَتِه، وَحَاجِزاً عَنْ مَعْصِيَتِه وَعَوْناً عَلَى تَأْدِيَةِ حَقِّه وَوَظَائِفِه، حَمْداً نَسْعَدُ بِه فِي السُّعَدَاءِ مِنْ أَوْلِيَآئِه وَنَصِيرُ بِه فِي نِظْمِ الشُّهَدَاءِ بِسُيُوفِ أَعْدَائِه إِنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيدٌ)[٢].

٤. قيدت الصحيفة السجادية بمضامين أدعيتها المباركة المادية البحتة التي يعيشها الإنسان وكشفت الحقيقة الصادقة بضرورة الاتكال على الله سبحانه وتعالى في مجالات الحياة كافة، وفي الوقت نفسه أرادت هذه الأدعية أن تُعلّم الإنسان أن يعتمد على السماء في كل حركاته وسكناته بكونها المصدر المطلق الذي بيده نواصي الأمور لأنها المسدّد الوحيد لخطى الإنسان في الوجود، ومن دعائه في الإلحاح: (أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَأَنْ تُغْنِيَنِي عَنْ كُلِّ شَيْء بِعِبَادَتِكَ، وَأَنْ تُسَلِّيَ نَفْسِيَ عَنِ الدُّنْيَا بِمَخَافَتِكَ، وَأَنْ تُثْنِيَنِي بِالْكَثِيْرِ مِنْ كَرَامَتِكَ بِرَحْمَتِكَ، فَإِلَيْكَ أَفِرُّ، وَمِنْكَ أَخَافُ، وَبِكَ أَسْتَغِيثُ، وَإِيَّاكَ أَرْجُو، وَلَكَ أَدْعُو، وَإِلَيْكَ أَلْجَأُ، وَبِكَ أَثِقُ، وَإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ، وَبِكَ أُؤمِنُ، وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ، وَعَلَى جُودِكَ وَكَرَمِكَ أَتَّكِلُ ...)[٣].

٥. أكد الإمام السجاد عليه السلام في أدعيته على أهمية الجانب (الديني أو الإسلامي) وهو جزء من الجانب العاطفي في حياة الإنسان أو ما يسمى بالجانب الوجداني من حيث بنائه أو إيقاظه، فالعديد من الدراسات النفسية الآن ترى أن الجانب الوجداني للإنسان يجب أن يفعّل شأنه شأن الجانب العقلي أو غيره من الجوانب، وأنه كلما زادت وجدانية الإنسان زادت إنسانيته وسمت أخلاقه وتهذبت طباعه وصفت نفسه. ومن دعائه عليه السلام في التحميد لله عز وجل: (وَالْحَمْدُ للّه الذي لَوْ حَبَسَ عَنْ عباده مَعْرِفَةَ حَمْدِه عَلى ما أَبْلاهُمْ مِنْ مِنَنِه الْمُتَتابِعَة؛ وَأَسْبَغَ عَلَيهِمْ مِنْ نِعَمِه الْمُتَظاهِرَة؛ لَتَصَرَّفُوا في مِنَنِه فَلَمْ يَحْمَدُوهُ؛ وَتَوَسَّعُوا في رِزْقِه فَلَمْ يَشْكُرُوهُ، وَلَوْ كانُوا كَذلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الإِنْسانِيَّة إِلى حَدِّ البَهِيمِيَّة. فَكانُوا كَما وَصَفَ في مُحْكَمِ كِتابِه: (**إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**)(الفرقان:٤٤)[٤].

٦. إن الإمام عليه السلام أراد بمجمل أدعيته المباركة أن يحقق التوازن النسبي بين الحالة النفسية والحالة الجسدية، فالحالة النفسية والهموم مصدر لكثير من الأمراض الجسدية، فكلما هدأت النفس واستقرت أثرت إيجابا على الجسم بأجمعه، فالإنسان المؤمن يبتعد عن كل المثيرات الخارجية التي تسلب منه نعمة الصفاء الذهني والروحي وتعسر نفسه وتضيق صدره وتعذب أفكاره وتزيد هواجسه. ومن دعائه في استكشاف الهموم: (يَا فَارِجَ الْهَمِّ وَكَاشِفَ الغَمِّ، يَا رَحْمنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة وَرَحِيمَهُمَا، صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَافْرُجْ هَمِّيَ، وَاكْشِفْ غَمِّيَ، يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، يَا صَمَدُ، يَامَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ،

اعْصِمْنِي وَطَهِّرْنِي، وَاذْهَبْ بِبَلِيَّتِي)[٥].

٧. إن المتصفح لأدعية الإمام السجاد عليه السلام يرى فيها مبدأ الأمل المشرق والتفاؤل في حياة الإنسان فتكون لديه حالة الاستبشار والانشراح والرجاء والفرج على عكس اليأس والقنوط والخوف والتي هي سمات سوداوية ومصدر قلق وانزعاج يقوض البناء النفسي السليم للفرد ويجعله تائها في أمواج الحياة المتلاطمة، ومن دعاء له عليه السلام في الاعتراف: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله وَهَبْ لي مَا يَجبُ عَلَيَّ لَكَ، وَعَافِني مِمَّا أَسْتَوْجِبُهُ منْكَ، وَأجِرْنِي مِمَّا يَخَافُهُ أَهْلُ الإساءة فَإِنَّكَ مَليءٌ بالْعَفْوِ، مَرْجُوٌّ لِلْمَغْفِرَة، مَعْرُوفٌ بالتَّجَاوُزِ، لَيْسَ لحَاجَتي مَطْلَبٌ سوَاكَ، وَلا لذَنْبي غَافِرٌ غَيْرُكَ، حَاشَاكَ وَلا أَخَافُ عَلَى نَفْسي إلاّ إيَّاكَ، إنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَة. صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآل مُحَمَّد، وَاقْضِ حَاجَتِي وَأَنْجِحْ طَلِبَتي، وَاغْفِرْ ذَنْبِي، وَآمِنْ خَوْفَ نَفْسِيْ إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَديرٌ، وَذلكَ عَلَيْكَ يَسيرٌ آمينَ رَبَّ الْعَالَمينَ)[٦].

٨. كان الإمام السجاد عليه السلام حاذقًا في تربية المجتمع آنذاك على معالم تربوية ونفسية إسلامية أصيلة وكانت هذه التربية بمثابة الإعلان عن العودة إلى الخط الرسالي الأصيل والابتعاد بالدين عن الأدناس التي حاولت الدولة الحاكمة إلحاقها به. والتي جعلت المجتمع مصاباً بداء الذل والخنوع لمن هو أقوى منه، وتخليصه في الوقت نفسه مما يعانيه من المهانة والاستعباد، ومن دعائه لنفسه عليه السلام ولأهل ولايته: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَاكْفِنا حَدَّ نَوائِبِ الزَّمان؛ وَشَرَّ مَصائِدِ الشَّيْطان، وَمَرارَةَ صَوْلَةِ السُّلْطان، اللّهُمَّ إنَّما يَكْتَفِي الْمُكْتَفُونَ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ...)[٧].

٩. أراد الإمام عليه السلام بمنظومة أدعيته المباركة أن يربي المجتمع الإسلامي تربية حقيقية صادقة ويبني أخلاقه بأطر إسلامية صحيحة في جميع مناحي الحياة حتى تصبح جزءاً من سلوكيات الفرد والمجتمع وذلك من خلال التأكيد على الأخلاق الفاضلة الحميدة إيماناً منه عليه السلام أن المجتمع لا يمكن أن يتقدم بالابتعاد عن الله وعن تعاليم الإسلام الحنيف، ومن دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق : (وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي، وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيَّ الْخَيْرَ، وَلاَ تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلاَ تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلاَّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا)[٨].

١٠. من الأمور النفسية المهمة التي اعتمدها الإمام عليه السلام هو تعويد الفرد المسلم على مبدأ الحاجة إلى الله تعالى، وأن الإنسان مخلوق ضعيف لا يملك شيئاً وليس له مقدرات الأمور من دون الله جلت قدرته، إذ أن هذا الشعور هو الكفيل أن يخلص الإنسان من الغرور والتكبر والخيلاء التي هي مصدر للكثير من الآفات النفسية، وكان من دعائه عليه السلام في الرِّضا إذا نظر إلى أصحاب الدُّنيا: (وَاعْصِمْنِي مِن أَنْ أَظُنَّ بِذِي عَدْمٍ خَسَاسَةً، أَوْ أَظُنَّ بِصَاحِبِ ثَرْوَةٍ فَضْلاً، فَإِنَّ الشَّرِيفَ مَنْ شَرَّفَتْهُ طَاعَتُكَ، وَالْعَزِيزَ مَنْ أَعَزَّتْهُ عِبَادَتُكَ. فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَتِّعْنَا بِثَرْوَةٍ لاَ تَنْفَدُ، وَأَيِّدْنَا بِعِزٍّ لاَ يُفْقَدُ وَأَسْرِحْنَا فِي مُلْكِ الأَبَدِ إِنَّكَ الْوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُواً أَحَدٌ)[٩].

١١. تعدّ أدعية الصحيفة السجادية المباركة خير وسيلة لتهذيب النفس وكبح جماحها بما حوته من مواعظ ومكارم الأخلاق ولجوء إلى الله تعالى، فكانت عبارة عن برنامج نفسي يشعر الفرد بعده بالارتياح عندما تتصفح عيناه أي دعاء من هذه الأدعية المباركة، وفي دعائه لعرفة يذكر الإمام عليه السلام: (وَنَجِّنِي مِنْ غَمَرَاتِ الْفِتْنَةِ، وَخَلِّصْنِي مِنْ لَهَوَاتِ الْبَلْوَى، وَأَجِرْنِي مِنْ أَخْذِ الأَمْلاَءِ، وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوٍّ يُضِلُّنِي، وَهَوىً يُوبِقُنِي، وَمَنْقَصَةٍ تَرْهَقُنِي ..)[١٠].

١٢. جاءت أدعية الإمام السجاد عليه السلام تحمل في طياتها عبارات دقيقة ما أن يتمعن بها الفرد حتى يفيض قلبه قبل عينيه بالبكاء، وهذا ما أكدته الدراسات النفسية الحديثة إذ رأت العديد منها أن البكاء يعد وسيلة لعلاج الكثير من الأمراض النفسية فضلاً عن أن البكاء من خشية الله له منزلة رفيعة عند الباري جلت قدرته. ومن دعائه عليه السلام في الاعتراف وطلب التوبة إلى الله تعالى: (لاَ أَيْأَسُ مِنْكَ وَقَدْ فَتَحْتَ لِيَ بَابَ التَّوْبَةِ إِلَيْكَ، بَلْ أَقُولُ مَقَالَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمُسْتَخِفِّ بِحُرْمَةِ رَبِّهِ الَّذِي عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ فَجَلَّتْ وَأَدْبَرَتْ أَيَّامُهُ فَوَلَّتْ حَتَّى إِذَا رَأَى مُدَّةَ الْعَمَلِ قَدِ انْقَضَتْ وَغَايَةَ الْعُمُرِ قَدِ انْتَهَتْ، وَأَيْقَنَ أَنَّهُ لا مَحِيصَ لَهُ مِنْكَ، وَلاَ مَهْرَبَ لَهُ عَنْكَ تَلَقَّاكَ بِالإِنَابَةِ، وَأَخْلَصَ لَكَ التَّوْبَةَ، فَقَامَ إِلَيْكَ بِقَلْبٍ طَاهِرٍ نَقِيٍّ ثُمَّ دَعَاكَ بِصَوْتٍ خَائِلٍ خَفِيٍّ، قَدْ تَطَأْطَأَ لَكَ فَانْحَنَى، وَنَكَّسَ رَأْسَهُ فَانْثَنَى، قَدْ أَرْعَشَتْ خَشْيَتُهُ رِجْلَيْهِ، وَغَرَّقَتْ دُمُوعُهُ خَدَّيْهِ، يَدْعُوكَ بِيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَيَا

أَرْحَمَ مَن انْتَابَهُ الْمُسْتَرْحِمُونَ، وَيَا أَعْطَفَ مَنْ أَطَافَ بِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ)[11].

١٣. تمكنت أدعية الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية المباركة من القضاء على أسباب البعد من الله تعالى والتي هي مصدر لكل الاضطرابات النفسية والتوهم والهواجس والأنكاد المختلفة، إذ خلقت حالة من الرضا وقبول الفرد المسلم بالواقع الذي يعيشه والذي يوجد فيه انطلاقًا من الإيمان بالقضاء والقدر وتيقناً بوجود الخالق المدبر للأمور والمسدد للصواب بمنه ولطفه، وأن كل ما يمر به الإنسان من ظروف هي بعين الله تعالى وهو مفرج الهم وكاشف الكرب. ومن دعاء للإمام السجاد عليه السلام إذا عَرَضت له مهمّة أو نزلَتْ مدلهمة وعند الكرب: (يَا مَنْ تُحَلُّ بِهِ عُقَدُ الْمَكَارِهِ، وَيَا مَنْ يُفْتَأُ بِهِ حَدُّ الشَّدَائِدِ، وَيَا مَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ الْمَخْرَجُ إِلَى رَوْحِ الْفَرَجِ، ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصِّعَابُ وَتَسَبَّبَتْ بِلُطْفِكَ الأَسبابُ، وَجَرى بِقُدْرَتِكَ الْقَضَاءُ وَمَضَتْ عَلَى إِرَادَتِكَ الأَشياءُ، فَهِيَ بِمَشِيَّتِكَ دُونَ قَوْلِكَ مُؤْتَمِرَةٌ، وَبِإِرَادَتِكَ دُونَ نَهْيِكَ مُنْزَجِرَةٌ. أَنْتَ الْمَدْعُوُّ لِلْمُهِمَّاتِ، وَأَنْتَ الْمَفْزَعُ فِي الْمُلِمَّاتِ، لاَيَنْدَفِعُ مِنْهَا إِلاَّ مَا دَفَعْتَ، وَلا يَنْكَشِفُ مِنْهَا إِلاَّ مَا كَشَفْتَ)[12].

١٤. إن المتأمل لأدعية الإمام السجاد عليه السلام، يجد في جوهرها غاية بعيدة المدى وهي خلق الإنسان المسلم السويّ الذي يستطيع أن يواجه الحياة بكل ما تزدحم به من مشكلات وأن يسير بها مرتبطًا بالله تعالى غير متكبر عن عبادته ولا تنسيه بهارج الدنيا وجود خالق قوي. يقول: (**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**)(غافر:٦٠). ومن دعاء للإمام السجاد عليه السلام لنفسه وأهل بيته: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ سَلاَمَةَ قُلُوبِنَا فِي ذِكْرِ عَظَمَتِكَ وَفَرَاغَ أَبْدَانِنَا فِي شُكْرِ نِعْمَتِكَ وَانْطِلاَقَ أَلْسِنَتِنَا فِي وَصْفِ مِنَّتِكَ. اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ دُعَاتِكَ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ وَهُدَاتِكَ الدَّالِّينَ عَلَيْكَ وَمِنْ خَاصَّتِكَ الْخَاصِّينَ لَدَيْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ)[13].

وختامًا نجد أنه من الطبيعي جدًا أن يخطو الإمام السجاد عليه السلام خطوات سليمة في تربية المجتمع تربية وجدانية شعورية حقيقية تتناول شخصية الفرد المسلم بصورة متكاملة، ولاسيما أنه عليه السلام لديه أوليات البناء السليم للفرد والمجتمع باعتبار الدور الذي أسند إليه من السماء كونه إمام معصوم مفترض الطاعة، إذ أن التربية الوجدانية عنصر مهم في تحقيق السعادة وتكوين علاقات إيجابية بين أفراد المجتمع■

١.الصحيفة السجادية المباركة للإمام زين العابدين عليه السلام/ص٧١.
٢.ن.م/ص٢٨.
٣..م/ص٣٠٥.
٤.ن.م/ص٢٤.
٥.ن.م/ص٣٨٩.
٦.ن.م:ص٧٠.
٧.ن.م/ص٤٥.
٨.ن.م/ص١٠٠.
٩.ن.م/ص١٨١.
١٠.ن.م/ص٢٦٦.
١١.ن.م/ص٦٨.
١٢.ن.م/ص٥٤.
١٣.ن.م/ص٤٦.

مناجاة المريدين في الصحيفة السجادية

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحانَكَ ما أَضْيَقَ الطُّرُقَ عَلى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَلِيلَهُ! وَما أَوْضَحَ الْحَقَّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبِيلَه!
إِلهِي فاسْلُكْ بِنا سُبُلَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ، وَسَيِّرْنا فِي أَقْرَبِ الطُّرُقِ لِلْوُفُودِ عَلَيْكَ، قَرِّبْ عَلَيْنَا الْبَعِيدَ، وَسَهِّلْ عَلَيْنَا الْعَسِيرَ الشَّدِيدَ، وَأَلْحِقْنا بِعِبادِكَ الَّذِينَ هُمْ بِالْبِدارِ إِلَيْكَ يُسارِعُونَ وَبابَكَ عَلَى الدَّوامِ يَطْرُقُونَ، وَإِيَّاكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهارِ يَعْبُدُونَ، وَهُمْ مِنْ هَيْبَتِكَ مُشْفِقُونَ، الَّذِينَ صَفَّيْتَ لَهُمُ الْمَشارِبَ، وَبَلَّغْتَهُمُ الرَّغائِبَ، وَأَنْجَحْتَ لَهُمُ الْمَطالِبَ، وَقَضَيْتَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِكَ الْمَآرِبَ، وَمَلأْتَ لَهُمْ ضَمائِرَهُمْ مِنْ حُبِّكَ وَرَوَّيْتَهُمْ مِنْ صافِي شِرْبِكَ، فَبِكَ إِلى لَذِيذِ مُناجاتِكَ وَصَلُوا، وَمِنْكَ أَقْصى مَقاصِدِهِمْ حَصَّلُوا، فَيا مَنْ هُوَ عَلَى الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ مُقْبِلٌ، وَبِالْعَطْفِ عَلَيْهِمْ عائِدٌ مُفْضِلٌ، وَبِالْغافِلِينَ عَنْ ذِكْرِهِ رَحِيمٌ رَؤُوفٌ، وَبِجَذْبِهِمْ إِلى بابِهِ وَدُودٌ عَطُوفٌ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي مِنْ أَوْفَرِهِمْ مِنْكَ حَظّاً، وَأَعْلاهُمْ عِنْدَكَ مَنْزِلاً، وَأَجْزَلِهِمْ مِنْ وُدِّكَ قِسَماً، وَأَفْضَلِهِمْ فِي مَعْرِفَتِكَ نَصِيباً، فَقَدِ انْقَطَعَتْ إِلَيْكَ هِمَّتِي، وَانْصَرَفَتْ نَحْوَكَ رَغْبَتِي، فَأَنْتَ لا غَيْرُكَ مُرادِي، وَلَكَ لا لِسِواكَ سَهَرِي وَسُهادِي، وَلِقاؤُكَ قُرَّةُ عَيْنِي، وَوَصْلُكَ مُنى نَفْسِي، وَإِلَيْكَ شَوْقِي، وَفِي مَحَبَّتِكَ وَلَهِي، وَإِلى هَواكَ صَبابَتِي، وَرِضاكَ بُغْيَتِي، وَرُؤْيَتُكَ حاجَتِي، وَجِوارُكَ طَلَبِي، وَقُرْبُكَ غايَةُ سُؤْلِي، وَفِي مُناجاتِكَ رَوْحِي وَراحَتِي، وَعِنْدَكَ دَواءُ عِلَّتِي، وَشِفاءُ غُلَّتِي، وَبَرْدُ لَوْعَتِي، وَكَشْفُ كُرْبَتِي. فَكُنْ أَنِيسِي فِي وَحْشَتِي، وَمُقِيلَ عَثْرَتِي، وَغافِرَ زَلَّتِي، وَقابِلَ تَوْبَتِي، وَمُجِيبَ دَعْوَتِي، وَوَلِيَّ عِصْمَتِي، وَمُغْنِيَ فاقَتِي، وَلا تَقْطَعْنِي عَنْكَ، وَلا تُبْعِدْنِي مِنْكَ يا نَعِيمِي وَجَنَّتِي، وَيا دُنْيايَ وَآخِرَتِي، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

من أدعية الصحيفة السجادية
دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام
لأهل الثغور :

ينابيع اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله، وحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ، وأَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ، وأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله، وكَثِّرْ عدَّتَهُمْ، واشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ، واحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ، وامْنَعْ حَوْمَتَهُمْ، وأَلِّفْ جَمْعَهُمْ، ودَبِّرْ أَمْرَهُمْ، ووَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ، وتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مُؤْنِهِمْ، واعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وأَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ، والْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله، وعَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ، وعَلِّمْهُمْ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وبَصِّرْهُمْ مَا لَا يُبْصِرُونَ * اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله، وأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ، وامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ، واجْعَلِ الْجَنَّةَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، ولَوِّحْ مِنْهَا لأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ ومَنَازِلِ الْكَرَامَةِ والْحُورِ الْحِسَانِ والأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الأَشْرِبَةِ والأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ حَتَّى لَا يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالإِدْبَارِ، ولَا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَارٍ.

اللَّهُمَّ افْلُلْ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ، واقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ، وفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ، واخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ، وبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ، وحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ، وضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، واقْطَعْ عَنْهُمُ الْمَدَدَ، وانْقُصْ مِنْهُمُ الْعَدَدَ، واملأْ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ، واقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْبَسْطِ، واخْزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ونَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، واقْطَعْ بِخَزْيِهِمْ أَطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ.

اللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ، ويَبِّسْ أَصْلَابَ رِجَالِهِمْ، واقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ وأَنْعَامِهِمْ، لَا تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ، ولَا لأَرْضِهِمْ فِي نَبَاتٍ * اللَّهُمَّ وقَوِّ بِذَلِكَ مَحَالَ أَهْلِ الإِسْلَامِ، وحَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ، وثَمِّرْ بِهِ أَمْوَالَهُمْ، وفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ، وعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ حَتَّى لَا يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الأَرْضِ غَيْرُكَ، ولَا تُعَفِّرَ لأَحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ.

اللَّهُمَّ اغْزُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وأَمْدِدْهُمْ بِمَلَائِكَةٍ مِنْ

عنْدكَ مُرْدفينَ حَتَّى يَكْشفُوهُمْ إلَى مُنْقَطَع التُّرَاب قَتْلًا في أَرْضكَ وأَسْراً، أَوْ يُقرُّوا بأَنَّكَ أَنْتَ اللّه الَّذي لا إلَه إلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ * اللَّهُمَّ واعْمُمْ بذَلكَ أَعْدَاءَكَ في أَقْطَار الْبلَاد منَ الْهنْد والرُّوم والتُّرْك والْخَزَر والْحَبَش والنُّوبَة والزَّنْج والسَّقَالبَة والدَّيَالمَة وسَائر أُمَم الشِّرْك، الَّذينَ تَخْفَى أَسْمَاؤُهُمْ وصفَاتُهُمْ، وقَدْ أَحْصَيْتَهُمْ بمَعْرفَتكَ، وأَشْرَفْتَ عَلَيْهمْ بقُدْرَتكَ.

اللَّهُمَّ اشْغَلِ الْمُشْركينَ بالْمُشْركينَ عَنْ تَنَاوُل أَطْرَاف الْمُسْلمينَ، وخُذْهُمْ بالنَّقْص عَنْ تَنَقُّصهمْ ، وثَبِّطْهُمْ بالْفُرْقَة عَنَ الاحْتشَاد عَلَيْهمْ * اللَّهُمَّ أَخْل قُلُوبَهُمْ منَ الأَمَنَة، وأَبْدَانَهُمْ منَ الْقُوَّة، وأَذْهلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الاحْتيَال، وأَوْهنْ أَرْكَانَهُمْ عَنْ مُنَازَلَة الرِّجَال، وجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقَارَعَة الأَبْطَال، وابْعَثْ عَلَيْهمْ جُنْداً منْ مَلَائكَتكَ ببَأْس منْ بَأْسكَ كَفعْلكَ يَوْمَ بَدْر، تَقْطَعُ به دَابرَهُمْ وتَحْصُدُ به شَوْكَتَهُمْ، وتُفَرِّقُ به عَدَدَهُمْ * اللَّهُمَّ وامْزُجْ مياهَهُمْ بالْوَبَاء، وأَطْعمَتَهُمْ بالأَدْوَاء، وارْم بلَادَهُمْ بالْخُسُوف، وأَلحَّ عَلَيْهَا بالْقُذُوف، وافْرَعْهَا بالْمُحُول، واجْعَلْ ميرَهُمْ في أَحَصِّ أَرْضكَ وأَبْعَدهَا عَنْهُمْ، وامْنَعْ حُصُونَهَا منْهُمْ، أَصبْهُمْ بالْجُوع الْمُقيم والسُّقْم الأَليم.

اللَّهُمَّ وأَيُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ منْ أَهْل ملَّتكَ، أَوْ مُجَاهد جَاهَدَهُمْ منْ أَتْبَاع سُنَّتكَ ليَكُونَ دينُكَ الأَعْلَى وحزْبُكَ الأَقْوَى وحَظُّكَ الأَوْفَى فَلَقِّه الْيُسْرَ، وهَيِّئْ له الأَمْرَ، وتَوَلَّه بالنُّجْح، وتَخَيَّرْ له الأَصْحَابَ، واسْتَقْو له الظَّهْرَ، وأَسْبغْ عَلَيْه في النَّفَقَة، ومَتِّعْه بالنَّشَاط، وأَطْف عَنْه حَرَارَةَ الشَّوْق، وأَجرْهُ منْ غَمِّ الْوَحْشَة، وأَنْسه ذكْرَ الأَهْلِ والْوَلَد * وأَثْرْ له حُسْنَ النِّيَّة، وتَوَلَّه بالْعَافيَة، وأَصْحبْه السَّلَامَةَ، وأَعْفه منَ الْجُبْن، وأَلْهمْه الْجُرْأَةَ، وارْزُقْه الشِّدَّةَ، وأَيِّدْه بالنُّصْرَة، وعَلِّمْه السِّيَرَ والسُّنَنَ، وسَدِّدْه في الْحُكْم، واعْزلْ عَنْه الرِّيَاءَ، وخَلِّصْه منَ السُّمْعَة، واجْعَلْ فكْرَه وذكْرَه وظَعْنَه وإقَامَتَه، فيكَ ولَكَ .

فَإذَا صَافَّ عَدُوَّكَ وعَدُوَّه فَقَلِّلْهُمْ في عَيْنه، وصَغِّرْ شَأْنَهُمْ في قَلْبه، وأَدلْ له منْهُمْ، ولَا تُدلْهُمْ منْه، فَإنْ خَتَمْتَ له بالسَّعَادَة، وقَضَيْتَ له بالشَّهَادَة فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بالْقَتْل، وبَعْدَ أَنْ يَجْهَدَ بهمُ الأَسْرُ، وبَعْدَ أَنْ تَأْمَنَ أَطْرَافُ الْمُسْلمينَ، وبَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ عَدُوُّكَ مُدْبرينَ.

اللَّهُمَّ وأَيُّمَا مُسْلم خَلَفَ غَازياً أَوْ مُرَابطاً في دَاره، أَوْ تَعَهَّدَ خَالفيه في غَيْبَته، أَوْ أَعَانَه بطَائفَة منْ مَاله، أَوْ أَمَدَّه بعتَاد، أَوْ شَحَذَه عَلَى جهَاد، أَوْ أَتْبَعَه في وَجْه دَعْوَةً، أَوْ رَعَى له منْ وَرَائه حُرْمَةً، فَآجرْ له مثْلَ أَجْره وَزْناً بوَزْن ومثْلًا بمثْل، وعَوِّضْه منْ فعْله عوَضاً حَاضراً يَتَعَجَّلُ به نَفْعَ مَا قَدَّمَ وسُرُورَ مَا أَتَى به، إلَى أَنْ يَنْتَهيَ به الْوَقْتُ إلَى مَا أَجْرَيْتَ له منْ فَضْلكَ، وأَعْدَدْتَ له منْ كَرَامَتكَ.

اللَّهُمَّ وأَيُّمَا مُسْلم أَهَمَّه أَمْرُ الإسْلَام، وأَحْزَنَه تَحَزُّبُ أَهْل الشِّرْك عَلَيْهمْ فَنَوَى غَزْوًا، أَوْ هَمَّ بجهَاد فَقَعَدَ به ضَعْفٌ، أَوْ أَبْطَأَتْ به فَاقَةٌ، أَوْ أَخَّرَه عَنْه حَادثٌ، أَوْ عَرَضَ له دُونَ إرَادَته مَانعٌ فَاكْتُبْ اسْمَه في الْعَابدينَ، وأَوْجبْ له ثَوَابَ الْمُجَاهدينَ، واجْعَلْه في نظَام الشُّهَدَاء والصَّالحينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد عَبْدكَ ورَسُولكَ وآل مُحَمَّد، صَلَاةً عَاليَةً عَلَى الصَّلَوَات، مُشْرفَةً فَوْقَ التَّحيَّات، صَلَاةً لَا يَنْتَهي أَمَدُهَا، ولَا يَنْقَطعُ عَدَدُهَا كَأَتَمِّ مَا مَضَى منْ صَلَوَاتكَ عَلَى أَحَد منْ أَوْليَائكَ، إنَّكَ الْمَنَّانُ الْحَميدُ الْمُبْدئُ الْمُعيدُ الْفَعَّالُ لمَا تُريدُ .

الصحيفة السجادية
تم

قالت سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام:

(أمَا وَالله لَوْ تَرَكُوا الحَقَ عَلى أهلِهِ واتَّبعُوا عِترَةَ نَبِيِّهِ لَمَا اختَلَفَ فِي الله اثنان، وَلَوَرِثَها سَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ وَخَلَفٌ بَعْدَ خَلَفٍ حَتّى يَقُوم قائِمنا التاسِعُ مِنْ وِلْدِ الحُسَينْ، وَلَكِنْ قَدَّمُوا مَنْ أَخَّرَهُ اللهُ وأَخَّرُوا مَنْ قَدَّمَهُ اللهُ، حَتّى إذَا أَلْحَدُوا المَبْعُوثَ وأَوْدَعُوهُ الجَدَث المَجْدُوث اخْتَارُوا بِشَهْوَتِهِمْ وَعَمِلُوا بِآرَائِهِمْ، تَبًّا لَهُمْ أَوَ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ يَقُول : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ)؟ بَلْ سَمِعُوا وَلَكِنَّهُم كَما قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)، هَيْهَاتَ بَسَطُوا فِي الدُّنْيا آمَالَهُمْ وَنَسُوا آجَالَهُمْ، فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمالَهُمْ، أَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّ مِنَ الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْر) .

بيان: الجدث: القبر، والمجدوث: المحفور. قال الجزري: فيه (نعوذ بالله من الحور بعد الكور)، أي من النقصان بعد الزيادة، وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل: من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم، وأصله من نقض العمامة بعد لفها.

(بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٣٦ص٣٥٤)

إضاءات السيرة

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في آية المباهلة

الباحث: عبد الرزاق محمد حسين

ينابيع

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وفضله على جميع الخلق بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذكرت المصادر أنه ما نزلت آيات قرآنية شريفة في فضل أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما نزلت في حق وأفضلية أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم وقد مدحه الله تعالى فيها وذكره بخير، بينما عاتب الصحابة في بعضها، ومن أبرز هذه الآيات الكريمة التي تؤكد إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بوضوح بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي آية: المباهلة:

قال تعالى: (**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**)(آل عمران:٦١).

جاء في كتب التفاسير والسيرة النبوية والأحاديث للخاصة والعامة، إن رؤساء الكنيسة في نجران ناظروا الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الدين فأفحمهم ولما أصرّوا على العناد نزلت هذه الآية الشريفة، قال البيضاوي:

(غدا النبيُّ محتضنًا الحسين، وآخذًا بيد الحسن وتمشي فاطمة خلفه وعليّ خلفها والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام إذا دعوت فأمّنوا أي قولوا آمين، فقال أسقُفُ النصارى: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهًا لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلًا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا، فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبذلوا له الجزية، فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردةً وخنازير ولأضطرم عليهم الوادي نارًا)[1].

وفي رواية أخرى (روي أن الأسقف قال لهم (لجماعته) إني لأرى وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلًا من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ إلى يوم القيامة. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي بنفسي بيده لو لاعنوني لمسخوا قردةً وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم نارًا ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم، قالوا فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب (وهما رأس وفد نجران) إلا يسيرًا حتى رجع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهدى العاقب له حلةً وعصًا وقدحًا ونعلين وأسلما)[2].

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري رضوان الله عليه قال:

(إن وفدًا من نصارى بني نجران قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم السيد والعاقب وجماعة من الأساقفة فقالوا يا محمد أخبرنا من أبو موسى؟

فقال:
عمران،
قالوا: وأنت من أبوك؟
قال عبدالله بن عبد المطلب،
قالوا: فعيسى من أبوه، فسكت النبي ﷺ ينتظر الوحي فنزل قوله تعالى: (**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ**) (آل عمران:٥٩) فقالوا إنا لا نجد هذا فيما أوحي إلى أنبيائنا، فقال: كذبتم: فنزل قوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) قالوا أنصفت فمتى نباهلك؟ قال الرسول ﷺ: غدًا إن شاء الله، فانصرفوا وقال بعضهم لبعض فلا تباهلوه فإنه نبي صادق ولئن باهلتموه لتهلكن.... وخرج رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام بين يديه والحسن عليه السلام عن يمينه والحسين عليه السلام عن شماله وفاطمة عليها السلام خلفه ثم قال ﷺ: هلمّوا فهؤلاء أبناؤنا وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام وهذه نساؤنا يعني فاطمة عليها السلام وهذه أنفسنا يعني نفسه وأشار إلى عليّ عليه السلام، فلمّا رأى القوم ذلك خافوا وجاءوا بين يديه فقالوا: يا محمد أَقلنا أَقالَكَ الله، فقال: والذي نفسي بيده لو ابتهلوا لامتلأ الوادي بهم نارًا)[٣].

وفي رواية أخرى إن النبيّ ﷺ قال لأهل بيته عليهم السلام وهم عليّ وفاطمة والحسنان عليهم السلام: (إذا دعوت فأمّنوا، قال أسقُفُ نجران: يا معشر النصارى إني أرى وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض إلا مسلم، فرجعوا إلى بلادهم وصالحوا رسول الله ﷺ)[٤].

وهناك روايات كثيرة في تفسير هذه الآية الكريمة بالإضافة إلى الأخبار الواردة فيها لا يخرج عما ذكرنا.

يتضح من الآية الشريفة إن أهل البيت عليهم السلام هم أفضل الخلق بعد أشرف الأنبياء محمد ﷺ، وقد اعترف الزمخشري وقال في ذيل تفسير الآية: (وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي ﷺ لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف:

أنهم أجابوا إلى ذلك)[٥].

وأما مايشير إلى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في الآية الشريفة فهو قوله تعالى: (وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُم) فإن المقصود والمراد بالنفس هنا هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا ما أجمع عليه أئمة التفسير كالرازي في (ج٢ ص٤٧٣) في تفسيرهما وغيرهم، حيث لا يمكن ولا يعقله الفطن أن يكون المقصود والمراد بالنفس هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن الإنسان لا يدعو نفسه ومن البديهي لا يدعوها، وعليه يكون المقصود بالنفس هو الإمام علي عليه السلام. كما ولا يمكن أيضًا أن تكون نفس عليّ عليه السلام مثل نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقتضي التساوي من الوجوه كافةً عدا النبوة والوحي، وما عدا ذلك في حق الرسول يبقى معمولًا به في حق الإمام علي عليه السلام.

هذا وإنه من المستحيل أن يكون الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا عليًا عليه السلام لمجرد الرحم والقرابة، ولو كان كذلك لدعا عمَّه العباس وجعفرًا وعقيلًا وغيرهم. وعليه لزم أن يكون قد اختصّ أمير المؤمنين عليًا عليه السلام لكمال فضله، ولما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم معصومًا، ولما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجب الاتباع فقد وجب ذلك للإمام علي عليه السلام، ولما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأنبياء فضلًا عن الصحابة فقد وجب ذلك للإمام علي عليه السلام ولما كان كل ذلك للإمام علي عليه السلام وكان الفضل كله قد اجتمع له بمشابهته نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد وجب أن يكون إمامًا للمسلمين مباشرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه الأفضل والأعلم حيث الإمامة لا تكون إلا للأفضل.

ومن الأخبار الواردة والتي تؤكد أحقية وأفضليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية الشريفة ما جاء في تفسير الميزان:

(.. أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا بن أبي وقاص فقال: ما يمنعك أن تَسُبّ أبا تراب يعني (عليًا) قال: أما ذكرت ثلاثًا قالهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبّه لأن يكون لي واحدةٌ منهنَّ أحب إلي من حُمر النعم... ولما نزلت هذه الآية: (تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ...)، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي)[٦].

وفي جواهر العقدين ومسلم والترمذي في حديث لسعد بن أبي وقاص.... في جوابه لمعاوية بن أبي سفيان... قال سعد: (ولما نزلت هذه الآية، تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءكُمْ... دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا رضي الله عنهم وقال: اللهم هؤلاء أهلي)[٧] وفي رواية لغيرهما (أهل بيتي)[٨] وأكدت الصحاح على ذلك كما في صحيح مسلم ج ٧ ص١٠ وسنن الترمذي ج٩ ص٣٠٨ ومسند ابن حنبل ج١ ص١٨٥ وغيرها.

وهذه أدلة قاطعة على أفضلية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قيادة الأمة الإسلامية بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة■

١- تفسير البيضاوي/نقلاً عن التفسير المبين، لمغنية ص٦٤.
٢- مجمع البيان ج٢ ص٤٥٢.
٣- نظرية الإمامة ص١٧٦ - ١٧٧.
٤- المصدر السابق.
٥- الميزان في تفسير القرآن ٢٣٨/٣.
٦- الميزان في تفسير القرآن ٢٣٢/٣.
٧- جواهر العقدين/ ج١ ق٢ ص١٠ .
٨- جواهر العقدين/ ج١ ق٢ ص١١.

إضاءات السيرة

الجوانب الاجتماعية
في شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

الباحث: نصير علي موسى
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

ينابيع

يشكّل (فن التعامل مع الناس) واحدًا من أسس نجاح الأشخاص والقادة المتصدين للعمل الاجتماعي، وكلما اكتسب الشخص مهارات التعامل مع الناس، وأجاد استعمالها حقق لنفسه ومجتمعه النجاح والتقدم.

إن تتبع أسس هذا الفن عند أمير المؤمنين عليه السلام يقدم لنا قواعد رصينة وآمنة، يمكن السير في هداها باطمئنان، لأنها تحقق لنا الغايتين الدنيوية والأخروية. لقد أحاطت الظروف العصيبة بأمير المؤمنين عليه السلام وألمت به المشكلات، وتحلق حوله كثير من الناس بعضهم من الموالين والأنصار والأتباع، وكثير منهم ليسوا كذلك، وكان لزامًا على إمام الأمة، وقائدها بعد نبيها أن يتعامل معهم بمنتهى الحكمة، ويقودهم بخلق السماء. يمكن القول باطمئنان إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام حقق تعاملًا ناجحًا مع الناس سواء كانوا أتباعًا وموالين أو أعداءً ومبغضين).

سنتناول هنا بعض الجوانب الاجتماعية في شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكيف أنّ كل المواقف والسيرة كانت جزءًا لا يتجزأ من واقعه عليه السلام، دونما تكلّف أو اصطناع. ومن تلك الجوانب الاجتماعية:

أولًا: حُسن الإصغاء:

حسن الإصغاء والاستماع للآخر من الآداب الاجتماعية الإسلامية الرفيعة، وهو فرع من شجرة الأخلاق، وقد حث القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة على هذه الخصلة، وهكذا جسّد إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام هذه الخصلة في كل أفعاله، ومع مختلف طبقات المجتمع، كبيرهم وصغيرهم، عالمهم وجاهلهم، بل كان يفسح المجال بالكلام حتّى لأعدائه وخصومه ومن لا يتفقون معه في الرأي، ويستمع لهم.

عن قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام قَالَ: (دَخَلْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب عليه السلام عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَأَحَبَّ الْخَلْوَةَ وَأَوْمَى إِلَيَّ عَلِيٌّ عليه السلام بالتَّنَحِّي، فَتَنَحَّيْتُ غَيْرَ بَعِيد، فَجَعَلَ عُثْمَانُ يُعَاتِبُ عَلِيّاً عليه السلام وَعَلِيٌّ عليه السلام مُطْرِقٌ، فَأَقْبَلَ عَلَيْه عُثْمَانُ، فَقَالَ: مَا لَكَ لَا تَقُولُ؟ فَقَالَ عليه السلام: إِنْ قُلْتُ لَمْ أَقُلْ إِلَّا مَا تَكْرَهُ، وَلَيْسَ لَكَ عِنْدِي إِلَّا مَا تُحِبُّ)[1].

نلاحظ في هذا الخبر أن عثمان

يعاتب إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام ساكت مطرق، يستمع له، حتى أنّ طول سكوت الإمام عليه السلام وشدّة انصاته واستماعه لعثمان جعلت من عثمان يقول للإمام: ما لك لا تقول؟

فالإمام عليه السلام مع اختلافه الشديد مع عثمان وعدم قبوله عليه السلام بالمنهج الذي سار عليه، وبكثير من الأعمال التي قام بها، مع ذلك جلس مستمعًا منصتًا لمن لا يتفق معه في الرأي، وأبدى له النصح، وعرض عليه المشورة الصادقة الخالصة.

فمن يحسن الاستماع، ويترك التعجّل، ويفسح المجال أمام الطرف المقابل ليتمّ كلامه، بالتالي يكون موقفه ورأيه أفضل وأوفق، هذا بالإضافة إلى أن الطرف المقابل يشعر بالارتياح لأنه أدلى بكل ما يريد، والطرف الآخر يستمع له.

ثانيًا: ترك الأنانية وحب الذات (حب الخير للآخرين):

يقول الإمام عليه السلام في جزء من إحدى وصاياه لابنه الإمام الحسن عليه السلام: (يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ)[٢].

في هذا النصّ الشريف يوصي الإمام عليه السلام ابنه الإمام الحسن عليه السلام بأن يجعل من نفسه ميزانًا، فينظر أي الأشياء يحبّها لنفسه ويرتضيها لذاته، وأيّ الأشياء يكرهها ولا يحب أن يتّصف بها، فيجعل من ذلك ميزانًا، فالأشياء التي يحبّها لنفسه يجب أن يحبها للآخرين، والتي يكرهها لنفسه يجب يكرهها لإخوانه ومجتمعه، وهذا

هو قمّة نكران الذات والتعالي على (الأنا)، يقدّمه لنا الإمام بأجلى صورة، ومن ثَمَّ فنحن مأمورون بأن نتخذ من هذه الوصية وهذا الخلق منارًا نهتدي به في حياتنا وسلوكنا.

ثالثًا: المحبة والألفة بين أبناء المجتمع:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (احْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ)[٣].

بهذه الوصايا النورانية يصبح المجتمع مجتمعًا معافىً سليمًا، خاليًا من: الحسد، الغيبة، الغرور، والتكبر... لأنّ الإنسان إذا كان طيب الخُلُق لين العريكة، هشّ بشّ، أثّر على من حوله من أبناء مجتمعه، وأصبح لهم عونًا على بلاواهم، أما القَطِب الغَضِب فلا يزيد نفسه ومجتمعه إلا إيذاءً وتعبًا.

وهنا قاعدة جميلة ولطيفة يقدّمها لنا الإمام عليه السلام لتجنب الشرور، بأنّه إذا كنّا نريد أن نقتلع الشر من صدور الغير، فأول خطوة هي أن نقتلع الشرّ الذي نحمله في نفوسنا تجاه الغير، ونقتلع ما نضمره من حقد أو غضب تجاه الناس، لأنّ ذلك سينعكس على تصرّفاتنا ولقاءاتنا بهم، ويسري إليهم دونما عناء، فيبادلونا الإحساس دونما شكّ.

وهي بعد هذا وذاك من أعظم القواعد في إرساء السلم والتعايش المجتمعي وبث روح الأخوة والألفة والمحبة بين الناس.

رابعًا: ترك ذكر معايب الناس:

قاعدة أخلاقية مجتمعية يقدّمها لنا الإمام عليه السلام، والحقّ أنّ هذه القاعدة ــ مع الأسف ــ أبعد ما تكون عنّا وعن حياتنا العملية، فترى أكثر الناس لا يعملون بها، وبعيدون كل البعد عنها، وهي قاعدة (ستر معايب الناس) وعدم فضح أسرارهم، حتّى وإن كانت ذنوبًا، لأننا مأمورون بالستر والعفاف، ويحذّرنا الإمام عليه السلام ويذكّرنا بالمقت الإلهي وبالعاقبة الوخيمة فيما لو سار الإنسان في هذا الطريق، فليس بعيدًا أبدًا أن يفضح الله سبحانه من يذكر الناس بسوء ويتتبع عوراتهم، يقول عليه السلام: (إِنَّمَا يَنْبَغِي لأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلاَمَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ)[٤]!

إن مراجعة سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وخطاباته وخصوصًا كتاب (نهج البلاغة) يكشف لنا عن كمٍّ هائل من الوصايا الأخلاقية ذات البعد الاجتماعي، التي لو أنزلناها إلى الواقع العملي لأصبحت مجتمعاتنا مجتمعات فاضلة كاملة، ولعشنا بسعادة ورخاء، ولكن ترك أغلب الناس هذه الوصايا النورانية وأصبح أكثر الناس يركضون وراء الماديات، وأهملوا هذه القواعد، التي هي بحق قواعد لبناء الشخصية والمجتمع الإنساني، ولسعادة الإنسان في الدارين.

تعارف وتوادد، أم صراع وقتال ودماء؟!!

قال تعالى: (**يا أيُّها النّاسُ إنّا خَلَقْناكُم من ذَكَر وَانثى وَجَعَلْناكم شُعوباً وَقَبائلَ لتعارَفوا إنَّ أكْرمَكُم عندَ الله أتقاكُم**)(الحجرات:١٣).

خلق الله سبحانه وتعالى العباد، وأمرهم بطاعته، وجعل التفاضل والتمايز بينهم على أساس التقوى، ضاربًا بذلك كل الاعتبارات الأُخرى، من قومية، وعِرْق، ومال، وجنس، ولون، و...، فالتقوى وحدها هي المعيار في هذا المضمار.

فإذا كان الله سبحانه قد جعلنا (شعوبًا وقبائل)، فمن المؤكد أن يكون هناك اختلاف في الرؤى والأفكار، اختلاف في المشارب والأذواق، اختلاف في التفكير والتنظير، وهذا كلّه مقبول ومرضي مادام في إطار التنوّع والتعدّد، وهذا التنوّع وهذا التعدّد جميل، فالبشر يكمّل بعضهم بعضًا.

لكنّ الغريب في أنّ الانحراف الخطير الذي انزلقت فيه الأمة الإسلامية، وذهبت في مزالقه أيّما ذهاب، وانحدرت فيه إلى الحضيض هو (التكفير)، القديم الحديث..

فليس (التكفير) وليد اليوم، بل نشأ قبل مئات السنين، لا لشيء سوى الاختلاف في الفكر والرأي!!

فنجد كتب التاريخ قد امتلأت بالجرائم وانتهاك الحرمات التي لا حصر لها، حيث ابتدأت بعد رحلة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، واستمرت ولازالت حتّى يومنا هذا، فالفكر هو نفس الفكر، والقلوب نفس القلوب، وإن تبدّلت الأسماء من خوارج، أو تكفيرية أو وهابية أو داعشية أو..

هؤلاء استرخصوا الدم، وهتكوا حرمة الإسلام والمسلمين، وأهلكوا الحرث والنسل، ضاربين بالقرآن وآياته المحكمات عرض الجدار (وَجَعَلْناكم شُعوباً وَقَبائلَ لتعارَفوا) لا لتتقاتلوا، أو تتناحروا، أو...

فالتعدّد والتنوّع نعمة إن أحسن الإنسان استثمارها، وهو بعد يثري الفكر والعقل، ويمدّ الحياة بألوان ويبعدها عن صبغة اللون الواحد. إنّها إرادة الله سبحانه، وبديع خلقته بأن خلقنا على هذه الشاكلة، وأمرنا بالتعارف والتوادد والتواصل، ليسير إليه سبحانه ركب الإنسانية، مطيتهم في ذلك التقوى، وزادهم الإحسان.

الضمان الاجتماعي عند أمير المؤمنين عليه السلام:

من روائع ما سجّله لنا التاريخ عن سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، أنه (مر شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال عليه السلام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه!! انفقوا عليه من بيت المال)[٥].

سبحان الله، لو لاحظنا تعبير الإمام عليه السلام (ما هذا)، لدّلنا هذا التعبير على شدّة امتعاض الإمام وغضبه من تلك الصورة التي رأى بها ذلك الشيخ النصراني.

وما كان من الإمام عليه السلام إلا أن أمر بأن يخصّصوا له راتباً تقاعدياً ثابتاً من بيت مال المسلمين، لكي يصون كرامة ذلك الشيخ النصراني.

لم ينظر عليه السلام - هنا - إلى دين ذلك الرجل، أو معتقده، أو مذهبه، أو... بل

نظر إلى إنسانيته، فهو إنسان يعيش في دولة الإسلام، يحق له أن تصان كرامته وتحفظ حرمته وهو في آخر أيامه.

وهنا نسأل التاريخ قائلين: أيمكنك ولو استجمعت كلّ قواك أن تأتينا بموقف نبيل مشرق كهذا؟

هل يمكنك أن تأتينا بحاكم دولة يجلس مخالفوه تحت منبره، وهو يضمن معيشتهم طالما سَلِم المسلمون من شرّهم..

هل يمكنك أن تأتينا بحاكم دولة يواسي فقراء دولته بأن يلبس مثلما يلبسون، ويأكل مثلما يأكلون؟!

بعد مرور أربعة عشر قرنا من الزمن يقر الغرب المسيحي بعظمة أمير المؤمنين عليه السلام وبإنسانية نهجه القويم، في الوقت الذي لازال بعض من يدعون الاسلام يقتلون عليًا كل يوم من خلال قتل شيعته واتباعه ويرتكبون أبشع الجرائم بحقهم.

فقد قامت الأمم المتحدة بإصدار تقرير باللغة الإنجليزية من ستين صفحة، أعده برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الخاص بحقوق الإنسان وتحسين البيئة والمعيشة والتعليم، حيث تم فيه اتخاذ الإمام عليّ عليه السلام من قِبَل المجتمع الدولي شخصيةً متميزة، ومثلًا أعلى في إشاعة العدالة، والرأي الآخر، واحترام حقوق الناس جميعًا مسلمين وغير مسلمين، وتطوير المعرفة والعلوم، وتأسيس الدولة على أسس التسامح والخير والتعددية، وعدم خنق الحريات العامة.

وقد تضمن التقرير مقتطفات من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام الموجودة في نهج البلاغة، التي يوصي بها عماله، وقادة جنده، حيث يذكر التقرير أنّ هذه الوصايا الرائعة تعد مفخرة لنشر العدالة، وتطوير المعرفة، واحترام حقوق الإنسان.

والملاحظ أنّ التقرير المذكور قد وزع على جميع دول الأمم المتحدة، حيث اشتمل على منهجية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في السياسة والحكم، وإدارة البلاد، والمشورة بين الحاكم والمحكوم، ومحاربة الفساد الإداري والمالي، وتحقيق مصالح الناس، وعدم الاعتداء على حقوقهم المشروعة.

وتضمن التقرير الدولي أيضًا شروط الإمام عليّ عليه السلام للحاكم الصالح، التي وردت في نهج البلاغة، وفيها يقول عليه السلام: (مَنْ نَصَبَ نَفْسَه للنَّاسِ إمَاماً فَلْيَبْدَأْ بتَعْليم نَفْسه قَبْلَ تَعْليمَ غَيْره ولْيَكُنْ تَأْديبُه بسيرَته قَبْلَ تَأْديبه بلسَانه ومُعَلِّمُ نَفْسه ومُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بالإجْلَال مِنْ مُعَلِّم النَّاس ومُؤَدِّبهمْ)[٦].

واقتبس التقرير الدولي مقاطع من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام لعامله على مصر مالك الأشتر، التي يؤكد فيها على استصلاح الأراضي والتنمية ويقول: (ولْيَكُنْ نَظَرُكَ في عمَارَة الأَرْض أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ في اسْتجْلَاب الْخَرَاج لأَنَّ ذَلكَ لَا يُدْرَكُ إلَّا بالْعمَارَة ومَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بغَيْر عمَارَة أَخْرَبَ الْبلَادَ وأَهْلَكَ الْعبَادَ ولَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُه إلَّا قَليلًا)[٧].

وورد في التقرير الدولي أيضاً أساليب الإمام عليّ عليه السلام في محاربة

الجهل والأمية، وتطوير المعرفة، ومجالسة العلماء، حيث يقول لأحد عماله: (وأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ ومُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ)[٨].

ومن شروط الحاكم العادل أخذ التقرير الدولي قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الذي قال فيه [٩]: (ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ وَافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَراً بَلِيغاً)[١٠].

وأخيراً نقول:

أين نحن اليوم من ثقافة التعايش مع هذا الرصيد الهائل؟

أين من يدّعي الإسلام اليوم من هذه الأخلاق والسجايا الحميدة..!

ونحن نرى الهمج الرعاع الذين يهلكون الحرث والنسل باسم الإسلام والشريعة..

أين نحن اليوم من الوسطية والاعتدال فيمن نختلف معه؟

إنّها دعوة للرجوع إلى منهل الإسلام العذب ومشربه الروي، تلك العين الصافية التي لم ولن يخالطها الكدر.. نبعُ عليٍّ صلوات الله عليه وسيرته العطرة.

تلك السيرة التي يمكننا أن نحملها للعالم أجمع، ونباهي بها العالم أجمع، ونصدح بأعلى أصواتنا.. بأنّ هذه السيرة هي سيرة إسلامنا العزيز، ذلك الدين القيّم الذي أراده الله سبحانه أن يكون خاتمة الأديان والشرائع■

١- معاني الأخبار/الشيخ الصدوق/ص٣٠٩.

٢- نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٣٩٠.

٣- ن.م/ص٥٠١.

٤- ن.م/ص١٩٧.

٥- تهذيب الأحكام/الشيخ الطوسي/ج٦ص٢٩٣.

٦- نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٤٨٠.

٧- ن.م/ص٤٣٦.

٨- ن.م/ص٤٣١.

٩- ن.م/ص٤٣٤.

١٠- الشبكة العالمية، موقع كتابات، ستار الجودة: http://www.kitabat.com/ar/print/٢٨٠٤٩.html

مواقف خالدة

روي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله بخراسان : أن أوفد إلي من علماء بلادك مائة رجل أسألهم عن سيرتك فجمعهم ، وقال لهم ذلك ، فاعتذروا وقالوا : إن لنا عيالاً وأشغالاً لا يمكننا مفارقته، وعدله لا يقتضي إجبارنا ، ولكن قد أجمعنا على رجل منا يكون عوضنا عنده، ولساننا لديه ، فقوله قولنا ورأيه رأينا ، فأوفد به العامل إليه . فلما دخل عليه سلم وجلس ، فقال له : أخل لي المجلس ! فقال له : ولم ذلك وأنت لا تخلو أن تقول حقًا فيصدقوك أو تقول باطلًا فيكذبوك ؟ فقال له : ليس من أجلي أريد خلو المجلس ، ولكن من أجلك ، فإني أخاف أن يدور بيننا كلام تكره سماعه . فأمر بإخراج أهل المجلس ، ثم قال له : قل ، فقال : أخبرني عن هذا الأمر من أين صار إليك ؟ فسكت طويلًا ، فقال له : ألا تقول ؟ فقال : لا ! فقال : ولم ؟ فقال له : إن قلت : بنص من الله ورسوله كان كذبًا، وإن قلت : بإجماع المسلمين قلت : فنحن أهل بلاد المشرق ولم نعلم بذلك ولم نجمع عليه، وإن قلت : بالميراث من آبائي قلت : بنو أبيك كثير فلم تفردت أنت به دونهم ؟ فقال له : الحمد لله على اعترافك على نفسك بالحق لغيرك ! أفأرجع إلى بلادي ؟ فقال : لا ، فوالله إنك لواعظ قط ! فقال له : فقل ما عندك بعد ذلك ، فقال له : رأيت أن من تقدمني ظلم وغشم وجار واستأثر بفيء المسلمين وعلمت من نفسي أني لا أستحل ذلك وأن المؤمنين لا شيء يكون أنقص وأخف عليهم ، فوليت . فقال له : أخبرني لو لم تل هذا الأمر ووليه غيرك وفعل ما فعل من كان قبله أكان يلزمك من إثمه شيء ! فقال : لا ، فقال له : فأراك قد شريت راحة غيرك بتعبك وسلامته بخطرك ؟ فقال له : إنك لواعظ قط ! فقام ليخرج . ثم قال له : والله لقد هلك أولنا بأولكم ، وأوسطنا بأوسطكم ، وسيهلك آخرنا بآخركم ! والله المستعان عليكم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(بحار الأنوار/المجلسي/ج٤٦ص٣٣٧) .

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س نحن هنا نفتقر إلى مساجد خاصة بنا، حيث عَملْنا بعض الغرف الصغيرة كمسجد للصلاة، ونحن مجموعة من المسلمين من مختلف المذاهب، فهل يجوز الائتمام بإمام مخالف لمذهبي وخصوصًا أني أعرفه بالظاهر بحسن الخلق والورع، وهل تصح الصلاة خلفه، وخصوصًا صلاة الجمعة بدون القراءة الإخفاتية؟

ج **يجوز الصلاة خلف غير المؤمن بولاية أهل البيت عليهم السلام إذا كان فيه تأليف للقلوب فيما بين قلوب المسلمين ولم يكن ذلك تزلفًا أو ضعفًا، ويجب أن يقرأ المصلي لنفسه الفاتحة والسورة في الركعتين الأوليين.**

س لو صلى المكلف صلاة الصبح في بلده، ثم سافر إلى جهة الشرق فوصل إلى بلد لم يطلع فيه الفجر بعد ثم طلع، فهل تجب عليه إعادة الصلاة؟

ج تجب إعادة الصلاة.

س لو قرأ سورةً سهوًا في نافلة مخصوصة بدل سورة معينة ثم ركع، هل يجب عليه أن يعود ليقرأ السورة المعينة ويتم ويكون الركوع السابق من الزيادة السهوية؟

ج **تتحول إلى صلاة اعتيادية وله قطعها وإعادتها من جديد.**

س شخص تم تعيينه للعمل في منطقة أخرى بينها وبين بلده مسافة شرعية، ولا يعلم كم يبقى في هذا المكان هل هو سنة أو أشهر أو أكثر ويعود إلى بلده كل خميس وجمعة، فما حكم صلاته في الطريق ذهابًا وإيابًا وفي مقر العمل من أول يوم يذهب إلى ذلك المكان؟
مع العلم أنه ذكرتم في (مرشد المغترب، الطبعة الرابعة، ص ٢٠٩ ، س ٣٩) الاحتياط الوجوبي بالجمع إذا كان يبقى في محل العمل إلى ثلاثة اشهر، فما حكمه إذا بقي ثلاثة أشهر ونصف أو اقل من ذلك أو أكثر ؟ وما حكمه إذا كان يجهل مدة بقائه؟

ج **إذا كان يبقى في المكان المذكور ثلاثة أشهر أو أقل أو أكثر قليلاً، فالأحوط وجوبًا الجمع بين القصر والتمام.**
وأما إذا كان يجهل مدة بقائه في المكان المذكور، فحكمه القصر إلى أن يتضح له أنه باقٍ فيه مدة طويلة تلحقه بالوطن.

س إذا كان عمله في مكان دون المسافة (١٤ كيلومترًا) ثم نقل إلى مكان آخر (نفس العمل) ولا يعلم هل النقل مؤقت أو دائم، وهذا المكان يبعد مسافة شرعية عن مسكنه، وقد ذكرتم في (المسألة:٥٨٥ ، المنهاج: ج ١، ص ٣١٠) أنه إذا كان كثير السفر لما دون المسافة، وجب عليه القصر إذا اتفق له السفر إلى المسافة، فهل يجري ذلك إذا كان السفر الطارئ من سنخ ذلك السفر أو يجب الإتمام ؟

ج **إذا كثر السفر الثاني بنحو أصبح السفر طبيعة حياته وجب عليه التمام .**

س نحن مجموعة من مقلديكم نعمل في إحدى شركات التنقيب عن النفط والتي تعمل بشكل متنقل بين الحقول النفطية ويكون عملها في كل حقل مدة لا تتجاوز (١٣ شهرًا) ويكون الدوام فيها مدة (١٦ يومًا) دوام. وإجازة (١٤ يومًا). علمًا أن موقع عملنا يكون خارج المسافة الشرعية.
أ ـ ما حكم الصلاة في موقع العمل إذا تم (١٦ يومًا) دوام؟
ب ـ ما حكم الصلاة في موقع العمل إذا تخللها نزول إلى البيت يومين أو ثلاثة أيام؟
جـ ـ ما حكم الصلاة في الطريق بين البيت وموقع العمل؟

ج **الظاهر أن الحقل الذي تعمل فيه بمنزلة الوطن.**

س أنا قدمت إلى بريطانيا للدراسة ولي منذ وصولي أسبوعان، وسأبقى في مدينة (٤-٦ أشهر) وبعدها سأنتقل إلى مدينة أخرى لأبقى فيها سنة ونصف:
أ ـ متى أعتبر مقيما في هذه البلد؟ هل من بعد وصولي مباشرة؟
ب ـ هل يجوز لي السفر القصير بعد الزوال إلى مدينة أخرى؟ وهل يؤثر على الإقامة والصيام؟

ج **أنت مسافر في المدينة الأولى وعليك القصر، إلّا أن تنوي الإقامة أو غير ذلك من أسباب قطع السفر، وأما المدينة الثانية فالظاهر أنها تعتبر وطنًا مؤقتًا.**

س لو خرج المكلف وقت الصلاة من بلده، كأن طلعت الشمس ولم يُصلِّ الصبح، ثم سافر جوًا فوصل إلى بلد لم تطلع الشمس فيه بعد، فهل عليه الصلاة أداء أو قضاءً أو بقصد ما في الذمة، أم يجب الأداء والقضاء معًا؟ علماً أن المسألة محلّ ابتلاء في هذا الزمان.

ج **يجب عليه القضاء والأداء.**

س هل يمكن إعادة الصلاة بدلًا من سجدة السهو؟ وهل تعتبر باطلة هذه الصلاة؟

ج **لابد من الإتيان بسجدة السهو ولا يكفي عنها إعادة الصلاة.**

س من سافر بالطائرة بعد غروب الشمس، وكان قد صلى المغرب والعشاء فوصل إلى مدينة أخرى لم تغرب الشمس فيها بعد، هل يجب عليه الصلاة للمغرب والعشاء أو لا؟

ج **نعم يجب عليه الصلاة للمغرب والعشاء لتجدد وقتهما في حقه.**

س الجندي الذي يعرّف نفسه للإدارة جبرًا أو اختيارًا فإنه لا يدري كم مدة يبقى في هذا المكان أو مكان آخر قد يكون شهرًا أو أقل من عشرة أو أكثر، ومدة الخدمة سنتان أو أكثر فما حكم صلاته في تلك الأماكن.

ج **إذا كان اجباريًا وقصد الإقامة في مكان، فصلاته تامة ولا يقصر. وأما لو كان دخوله في التجنيد اختياريًا فصلاته تامة سواء قصد الإقامة أم لا.**

س إذا كان محل وظيفة الموظف الحكومي تبعد أربعة أو ثمانية فراسخ وعمله يطول مدة سنة، ويبقى يوم أو يومين في بيته وكذلك في عمله، فما حكم صلاته وصومه فيهما؟

ج **صلاته فيهما تامة ويصوم.**

س إذا وضع اللاجئ في مكان مؤقت عدّة أشهر قليلة، وبقي فيه لمدة شهر أو عشرين يومًا لم يسافر ثم سافر ورجع إليه بعد ثلاثة أيام (وهو يحاول منذ الأيام الأول أن ينتقل إلى مكان آخر يبعد مسافة) فما هو حكم صلاته بعد رجوعه من السفر؟

ج **يصلي فيه قصرًا، إلّا أن ينوي الإقامة فيه أو نحو ذلك من أسباب الإتمام.**

س أنا طالب من البحرين، ذهبت إلى بريطانيا لغرض الدراسة، وقد أمكث في بريطانيا لمدة شهر ونصف تقريبًا أو شهرين، والمشكلة أني أقطع المسافة الشرعية بشكل يومي تقريبًا من مكان إقامتي إلى معهد الدراسة، فما هو حكم صومي بالنسبة لشهر رمضان المبارك، وكذلك صلاتي؟

ج **يجب عليك القصر والإفطار**

مسجد فاطمة الزهراء عليها السلام في (الكويت)

عمارته:

يشبه المسجد في تصميمه الطراز المعماري لتاج محل بالهند. وجاءت فكرة بناء المسجد بهذا الشكل نتيجة إعجاب القائمين عليه بالمعلم التاريخي الهندي، فتم تنفيذ هذا المشروع بعد موافقة السلطات الهندية. يقول القائمون على المسجد أن الأرض تبرع بها أمير الكويت، أما تكاليف بنائه فجاءت من تبرعات المؤمنين. انتهى بناء المسجد في أواخر كانون الأول ٢٠١١م.

أما أقسامه، فهي: سرداب ودورين:

١ـ السرداب : مساحته (٢٨٠ مترًا)، فيه الحمامات والمخازن.

٢ـ الدور الأرضي: مساحته (١٣٤٠م٢)، ويستوعب ١٠٦٠ مصليًا.

٣ـ الدور الأول: مساحته (٥٠٠م٢) ويتكون من مصلى للنساء وغرفة وخدمات أخرى، ويتسع لـ ٣١٠ مصليات.

فضل العلماء في عصر الغيبة

قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: فقيه واحد ينقذ يتيمًا من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه، لينقذهم من يد إبليس ومردته، فلذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عابدة.

* وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: يقال للعابد يوم القيامة: (نعم الرجل كنت همتك ذات نفسك وكفيت مؤنتك فادخل الجنة). ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيرهُ، وأنقذهم من أعدائهم، ووفر عليهم نعم جنان الله تعالى، وحصل لهم رضوان الله تعالى، ويقال للفقيه: (يا أيها الكافل لأيتام آل محمد، الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم، قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك)، فيقف فيدخل الجنة معه فئامًا وفئامًا وفئامًا - حتى قال عشرًا - وهم الذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمن أخذ عنه وعمن أخذ عمن أخذ عنه إلى يوم القيامة، فانظروا كم صرف ما بين المنزلتين.

* وعن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام: من تكفل بأيتام آل محمد، المنقطعين عن إمامهم، المتحيرين في جهلهم، الأسارى في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم، وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين برد وساوسهم، وقهر الناصبين بحجج ربهم ودلائل أئمتهم، ليحفظوا عهد الله على العباد بأفضل الموانع، بأكثر من فضل السماء على الأرض، والعرش والكرسي والحجب على السماء، وفضلهم على العباد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء.

* قال الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام: لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلّا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل. ةوعنه عليه السلام قال: يأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبينا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم، على رأس كل واحد منهم تاج بهاء، قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة، فشعاع تيجانهم ينبث فيها كلها، فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه ومن ظلمة الجهل علموه، ومن حيرة التيه أخرجوه، إلّا تعلق بشعبة من أنوارهم، فرفعتهم إلى العلو حتى تحاذي بهم فوق الجنان، ثم ينزلهم على منازلهم المعدة في جوار أستاديهم ومعلميهم، وبحضرة أئمتهم الذين كانوا إليهم يدعون، ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلّا عميت عينه، وأصمت أذنه، وأخرس لسانه، وتحول عليه أشد من لهب النيران، فيحملهم حتى يدفعهم إلى الزبانية فيدعونهم إلى سواء الجحيم.

الربا... خطره... تداعياته

الباحث: خضير عباس محمد

ينابيع

مما لا يخفى على أحد الخطر المحدق بالمجتمع جراء التعامل الربوي بين بني البشر، وما يتركه من دمار وضياع للفرد والمجتمع، فكان للشريعة الإسلامية منه موقفٌ حازم وحاسم، قال تعالى: (**يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**..)(البقرة:٢٧٦).

الربا لغة هو: الزيادة، ويقال ربا الشيء، زاد، والرابية ما ارتفع من الأرض وكذا (الربوة)، قال تعالى: (**فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً**)(الحاقة:١٠)، أي زائدة، وأربيت إذا أخذت أكثر مما أعطيت[١]، أما في المعنى الفقهي فهو الزيادة على راس المال، من أحد المتساويين جنسًا مما يُكال أو يُوزن، وبأنه وضع زيادة بإزاء المال المقترض، فالفائدة حيث توضع في مقابل المال المقترض تصبح ربًا محرمًا[٢]، والإسلام منع الربا، لأنه أخذ المال دون عوض، وبذلك دفع رأس المال للبحث عن مضمار آخر ينتج فيه.

يقسم الربا إلى قسمين[٣]:

الأول منه يسمى: الربا القرضي أو ربا النسيئة، وهو مأخوذ من مفهوم الشرط، أي مقيد بالشرط، وهذا القسم هو موضع بحثنا.

الثاني: ربا الفضل أي الزيادة بسبب المعاوضة بين متجانسين.

فإذا بيع من الموزون والمكيل بزيادة من نفس الجنس كان ربًا محرمًا، وله تفصيلاته لدى الفقهاء في أحكامهم الفقهية.

لم يكن الربا اتجاهًا جديدًا في سياسة المال، من حيث تداوله بين الناس على صيغة القرض بل هو اتجاه قديم عملت به الخلائق بسبب وجود الذهنيات الممتلئة

بروح التبعية الملتصقة بالواقع الفاسد، وأول من عمل بهذا الاتجاه (اليهود)، كما صرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: (**وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ**)(النساء:١٦١)، وكذلك في العصر الحديث الذي يزخر بالمعاملات الربوية وعلى مختلف الأصعدة الدولية والاجتماعية.

حرمة الربا

الربا من المحرمات الشديدة والذنوب الموبقة التي أكد الكتاب المجيد وأحاديث المعصومين عليهم السلام، وجوب الامتناع عنها، فهو (حرام بالنص والإجماع، فمن ارتكبه بجهالة ثم علم وجب عليه التوبة، لأنه من الكبائر)[٤].

فقد ورد في القرآن الكريم:(**وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**)(البقرة:٢٧٥)، وهذا نص قرآني، ولا اجتهاد في النص، والشرط المخالف للكتاب والسنة باطل، وجاء في الحديث الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام: (مَن اشْتَرَطَ شَرْطاً مُخَالفاً لكتَاب اللّه فَلَا يَجُوزُ لَه ولَا يَجُوزُ عَلَى الَّذِي اشْتُرِطَ عَلَيْه والْمُسْلمُونَ عنْدَ شُرُوطهمْ فيمَا وَافَقَ كتَابَ اللّه عَزَّ وجَلَّ)[٥]، فالتحريم هنا هو رجحان الضرر على النفع، والقرآن الكريم نبه الدائن إلى خطر الداء قبل استفحاله أو وقوعه وذلك عن طريق التحريم[٦].

إن تحريم الربا بنص الكتاب والسنه النبوية المتواترة وإجماع المسلمين كافة من يوم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا لا يحتاج الى دليل، لأنه من الواضحات البديهية تمامًا كوجوب الصلاة والحج والصوم .....الــخ، ومن هنا حكم الفقهاء بكفر من أنكر تحريم الربا، وكما يحرم أخذه فإنه يحرم إعطاؤه، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الربا وآكله ومؤكله وبايعه ومشتريه وكاتبه وشاهديه)[٧]، وكذلك ورد عَنْ الإمام أَبي عَبْد اللّه الصادق عليه السلام قَالَ: (درْهَمٌ ربًا أَشَدُّ منْ سَبْعينَ زَنْيَةً كُلُّهَا بذَات مَحْرَم)[٨]، وفي قول للإمام علي عليه السلام (مَن اتَّجَرَ بغَيْر فقْه فَقَد ارْتَطَمَ في الرِّبَا)[٩].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (آكل الربا يُؤَدب بعد البينة، فإن عاد أدب، وإن عاد قُتل)[١٠].

فالمرابي الذي يمنح المدين دينارًا ويلزمه بدينارين فهو العدو الحقيقي للمدين، ولا يحمل له ودًا أو طيب نفس، ولم يكن متعاونًا لقضاء حوائج المحتاجين، وثمة حكمة تبرز لنا في العصر الحديث لتحريم الربا ربما لم تكن بارزة حينذاك، ذاك أن الربا وسيلة لتضخم رؤوس المال تضخمًا شديدًا لايقوم على الجهد، فهو ثمرة فاسدة آتت أُكلها من كسب بلا جهد مشروع، ومن خلال النصوص الواردة نستطيع أن نفهم أن لا كسب بلا جهد، كما أنه لا جهد بلا جزاء، وهذا الكسب لا يحق لصاحبه أن يتصرف ببعضه لأن ربحه حرام، ومنهج الإسلام يسير على قواعد أخلاقية، كما يسير على مبادئ منع الضرر، وتحقيق التعاون بين الناس، بينما التعامل بالربا قذارة ضمير وإضرار بالآخرين وهو يولد البغي والحقد والكراهية وتخريب البيوت وتشتت العوائل وهلاك النفس كما هو الظاهر لدى مجتمعنا الحاضر ...فقد روي (عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: قُلْتُ لأَبي عَبْد اللّه عليه السلام: إنِّي رَأَيْتُ اللّه تَعَالَى قَدْ ذَكَرَ الرِّبَا في غَيْر آيَة وكَرَّرَه. فَقَالَ عليه السلام: أوتَدْري لَمَ ذَاكَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: لئَلَّا يَمْتَنعَ النَّاسُ منَ

اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ)[11].

فَالرِّبا ولّد طائفة من القاعدين يعتمدون على هذه الوسيلة وحدها في تنمية أموالهم وتضخيمها، فيشيع بينهم الترهل والبطالة والترف على حساب الذين يحتاجون المال، فيأخذونه عن طريق الربا في ساعة العسرة، فينشأ عن ذلك تضخيم الثروات بلا حدود، وتفريق الطبقات علوًا وسفلًا بغير قيد، ثم وجود طبقة متعطلة مترهلة مترفة لا تعمل شيئًا وتحصل على كل شيء، وكأنما المال الذي في يدها فخاخ لصيد المزيد من الأموال دون أن تتكلف حتى الطعام لهذه الفخاخ، فغالبًا ما يقع فيها المحتاجون اضطرارًا ويساقون إليها مجبرين، تدفعهم الضرورات.

الوظيفة الاجتماعية للمال :

إن الجانب الاجتماعي هو الجانب الأهم في النظام الاقتصادي الإسلامي، والإسلام ـ كما هو معلوم ـ أقر الملكية الفردية في كل جوانب الحياة، ومنها سياسة المال، وحدد كيفية الحصول عليها، فقد ورد عن الرسول الأعظم ﷺ: (الْعِبَادَةُ سَبْعُونَ جُزْءاً أَفْضَلُهَا طَلَبُ الْحَلَالِ)[12]، لذلك وضع الإسلام قيودًا على التصرف بهذه الملكية إقرارًا للعدل الاجتماعي وتحقيقًا للتوازن الاقتصادي وتقليلًا للفوارق المالية بين الأفراد والطبقات واتقاء تضخم الثروات وتجمعها في أيد قليلة، (**كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ**) (الحشر:٧).

وكذلك تقليم أظافر رأس المال وتجريده من وسائل الطغيان والجبروت والسيطرة على شؤون الحياة، وضمان حياة إنسانية كريمة خاصة للفقراء والمساكين والطبقات الكادحة من أبناء الشعب، لذلك حدد الإسلام الطرق السليمة التي يكسب منها المسلم ماله، فحرم الحصول على الثروة عن طريق المعاملات الربوية تحريمًا باتًا وتوعد مرتكبيها بحرب من الله عز وجل ورسوله ﷺ: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**)(البقرة:٢٧٨- ٢٧٩)، والتوجيه القرآني يطبع سلوكية الفرد من حيث الإنفاق بالمنهج الإسلامي الذي يحدد تلك السلوكية في إطار التصور الاعتقادي والنظرة الإسلامية إلى الحياة، لأن تشريعاته نابعة من القرآن الكريم، والإنفاق واجب لتحقيق التوازن ولامتصاص الأحقاد الطبقية.

وبما أن الإنسان خليفة الله في الأرض فعليه أن يلتزم بأوامر خالقه الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد، فقد وكله سبحانه وتعالى المال وشرع له شروطًا في إنفاقه (**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**) (الحديد:٧)، وقال عز من قائل: (**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**) (البقرة:٢٧٢).

فالإسلام لم يكن عقيدة روحية أو محاولة للتهذيب الخلقي أو دعوة للتجرد الفكري والتأمل في ملكوت السماء فحسب، وإنما هو دين عملي ينظر في شؤون البشر وما يصلحهم، فلا تفوته كبيرة ولا صغيرة في علاقات الناس ببعضهم، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، إلا واهتم بها ووضع لها تشريعاته.

فعقيدة الإسلام عقيدة تنفع الناس وتدفع بهم إلى الأمام في ركب المدنية

وسعادتهم في الدارين، إلّا أن بعض المسلمين أو ما يسمون بالمسلمين وللأسف الشديد عشقوا المادة فأعشى الله أبصارهم، كما ورد في قول سيد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام: (مَن عَشِقَ شَيئًا أعشى بَصَرَهُ وأمرَضَ قَلبَهُ، فَهُوَ يَنظُرُ بِعَين غَيرِ صَحيحَة، ويَسمَعُ بِأُذُن غَيرِ سَمِيعَة، قَد خَرَقَت الشَّهَواتُ عَقلَهُ، وأماتَت الدُّنيا قَلبَهُ...)[١٣]. وهذه الزمرة هي من أحط وأرذل خلق الله، وأشدهم شرًا وشرذمة ممن لايرعون في البشرية إلًا ولا ذمة، ولا يراقبون فيها عهدًا أو حرمة (**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**)(الزخرف:٣٦)، وهذا الطريق الذي سلكوه المملوء بالجشع وخسة الأهداف، هو تحطيم أخلاق البشرية وإسقاطها في مستنقع آسن من اللذائذ والشهوات الشيطانية التي يدفع فيها الكثيرون كل ما يملكونه، فهؤلاء هم (**الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ**) (إبراهيم:٢٨- ٢٩).

إن النظام الاقتصادي في الإسلام لا يعترف بالاستغلال في أي وجه من الوجوه، لأنه يستمد أسسه من شريعة السماء السمحاء (**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**) (البقرة:١٨٨)، فالخطاب لجميع المكلفين، والمراد بالأكل مطلق التصرف في المال المأخوذ بطريقة لا يقرها الشرع، وعن طريق المعاملات المحرمة، كالمعاوضات الربوية، وقد استدل الفقهاء بهذه الآية على بطلان كل معاملة أُخذ فيها المال بطرق محرمة.

إن دعوة الإسلام دعوة إصلاحية، ولا يتحقق الإصلاح إلّا بتوافر الاستقرار في المعيشة للرعية على السواء، وأن يعيشوا جميعًا لا أن يعيش فريق ويموت آخر، والله عزوجل جعل الأغنياء وكلاءه والفقراء عياله فإذا جاع عياله حاسب وكلاءه، وقد ورد في الحديث القدسي (قال الله تعالى: **(المالُ مالي، وَالفُقَراءُ عيالي، وَالأَغنياءُ وُكَلائي، فَمَن بَخِلَ بِمالي عَلى عِيالي أَدخلهُ النَّارَ ولا أُبالي**)[١٤].

إن المتتبع للآيات القرآنية الكريمة بعد تدبر معانيها يجد أنها تهتم بأصول ثلاثة، أحدها (الإنفاق) وهو الأثر الكبير في تدعيم الإسلام للقضاء على الفقر، حيث يدخل في الإنفاق (الاقتراض) لقضاء حاجة المعسر الذي هو بحاجة المال، وقد ورد الإنفاق في آيات كثيرة وبصيغة الاستفهام عن الإقراض ليحرك أريحية المؤمن ويملأ القلوب بالعطف، حتى يسهل عليها البذل ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: (لمّا نزلت هذه الآية: (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَة فَلَه خَيْرٌ منْها)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ربِّ زدني، فأنزل الله: (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَة فَلَه عَشْرُ أمْثالها)، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ربّ زدني، فأنزل الله سبحانه: (مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعفَه لَه أَضْعافاً كَثيرَةً) والكثير عند الله لا يحصى)[١٥].

الحاجة إلى الاقتراض :

القرض: عقد يتضمن تمليك المال للغير مضمونًا عليه[١٦]، والاقتراض من الأعمال المستحبة التي ورد الحث الكثير عليها في آيات قرآنية مباركة: (**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**)(الحديد:١١)، (**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**)(البقرة:٢٤٥)، كذلك: (**إِنْ**

تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ)(التغابن:١٧)، وفي قوله تعالى: (**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ**) (الحديد:١٨)، كما يستحب إقراض المؤمن وفيه أجر عظيم، وهو أفضل من الصدقة، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: (من أقرض مؤمنًا قرضًا ينتظر به ميسوره، كان ماله في زكاة، وكان هو في صلاة من الملائكة حتى يؤديه إليه)[١٧].

ومن أسباب انتشار ظاهرة الاقتراض هو عدم تحقيق العدل الاجتماعي، وذلك لغياب تكافؤ الفرص والضمان الاجتماعي بشقيه التكافل الاجتماعي والتوازن الاقتصادي، مما أدى إلى تفشي ظاهرة البطالة، ومن جانب آخر ضعف الروابط الأخوية بين أفراد المجتمع، وقلة من يسارع في مساعدة ذوي الحاجة، وانعدام الثقة، وبخل بعض الأغنياء، وما إلى ذلك من أسباب سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية مباشرة أو غير مباشرة، كل ذلك أدى إلى استغلال المرابين لهذا الجانب الانساني، وأخذتهم العزة بالإثم، فلا يتناهون عن منكر فعلوه، فحمّلوا المقترض أوزارًا إلى أوزاره ومصيبة إلى مصائبه، معتقدين أن أموالهم تزداد عن طريق المعاملات الربوية، وهذا وَهْم لأن الله سبحانه وتعالى يقول وقوله الحق: (**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ**)(الروم:٣٩)، كذلك: (**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ...) (البقرة:٢٧٥).

أي (أنهم لا يقومون من قبورهم إلى المحشر بسبب الربا ووزره وثقله عليهم قيامًا مثل قيام صحيح العقل، بل مثل قيام المجانين، فيسقطون تارة ويمشون على غير الاستقامة أخرى، ولا يقدرون على القيام أخرى، فكان ما أكلوا من الربا أربى في بطونهم، وصار شيئًا ثقيلًا على ظهورهم، فلا يقدرون على ما كانوا قادرين عليه من القيام والمشي على الاستقامة)[١٨]، ولكن لسوء جشعهم ومنطقهم، حيث شبهوا البيع بالربا، والله سبحانه يرد عليهم في قوله تعالى: (**قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا، وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**..)(البقرة:٢٧٥).

المصـــــادر

١- مختار الصحاح/الرازي/ص٢٣١.
٢- البنك اللاربوي في الإسلام/الملحق الأول/ص ١٦٨.
٣- الأحكام الفقهية في المعاملات/السيد محمد سعيد الحكيم (مد ظله) ص ٢٦٠.
٤- مختلف الشيعة/العلامة الحلي/ج٥ص٧٨.
٥- الكافي /للكليني/ج٥ص١٦٩.
٦- محمد علي الحوماني/دين وتمدين ج٢ ص ١٢٥.
٧- من لا يحضره الفقيه/الشيخ الصدوق/ج٣ص٢٧٤.
٨- الكافي/للكليني/ج٥ص١٤٤.
٩- نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ ص ٥٥٥.
١٠- تفسير مجمع البيان/الطبرسي/ج٢ص٢١١.
١١- الكافي/للكليني/ج٥ص١٤٦.
١٢- ن.م/ص٧٨.
١٣- نهج البلاغة/ج١ص ٢١٢.
١٤- روضة المتقين/المجلسي (الأول)/ج٣ص١٨٣.
١٥- تفسير مجمع البيان/الطبرسي/ج٢ص١٣٧.
١٦- الأحكام الفقهية - العبادات/السيد الحكيم /ص ٣١٩.
١٧- ثواب الأعمال/الشيخ الصدوق/ص١٣٨.
١٨- زبدة البيان في أحكام القرآن/المحقق الأردبيلي/ص٤٣٠.

مواقف خالدة

ذكر أن عدي بن حاتم الطائي دخل على معاوية ،

فقال له معاوية : ما فعلت الطرفات ، يعني أولاده ؟

قال : قتلوا مع علي !

قال : ما أنصفك علي قتل أولادك وبقي أولاده .

فقال عدي : ما أنصفت عليًا إذ قتل وبقيت بعده .

فقال معاوية : أما إنه قد بقيت قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلا دم شريف من أشراف اليمن .

فقال عدي : والله ! إن قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فترًا لندنين إليك من الشر شبرًا ، وإن حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي ، فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف .

فقال معاوية : هذه كلمات حكم فاكتبوها.

(مروج الذهب/ المسعودي/ ج٣ص١٣)

موقفُ الآلوسيّ من مَرويّات الإمام الصادق عليه السلام

أ.م.د. عصام كاظم الغالبيّ
كلية التربية الأساسية/جامعة الكوفة

تمهيد

لم تخلُ أغلبُ تفاسير العامة من الرجوع إلى أقوال أهل البيت عليهم السلام والنهل من معينهم، ولكن استشهادها بأقوالهم عليهم السلام كان قليلًا جدًا إذا ما قِيستْ بتفاسير الإماميّة، وهي ليست على مستوى واحد من ناحية الاستشهاد بأقوال الإمام الصادق عليه السلام، واستشهادها بأقواله قليل جدًا إذا ما قِيس باستشهادها بأقوال الصحابة والتابعين من غير الإمامية.

فمن التفاسير ما يكاد ينعدم استشهادها بأقوال الإمام؛ إذ لم تذكر الإمام سوى مرة واحدة نحو تفسيري القشيري والقطان، وزاد عليهما قليلًا تفسير الثعالبي إذ روى عن الإمام الصادق عليه السلام ثلاث مرات، وقريب منه تفسير النسفي، وتفسير زاد المسير.

ومنها ما وصل استشهادها بأقوال الإمام إلى عشرات المرات، نحو تفاسير الثعلبي والقرطبي والبحر المحيط لأبي حيان وغيرها.

ولا بدّ من التنبيه على أن أغلب الروايات التي يرويها مفسّرو العامة عن أئمتنا عليهم السلام هي روايات مرسلة ولا نعرف مدى صحة ورودها عن الأئمة، لذا ليس بالضرورة أن تكون قد رُويت عنهم حقًا.

ويُعَدُّ تفسيرُ روح المعاني للآلوسيّ أكثرَ تفاسير العامّة رجوعًا إلى الإمام الصادق عليه السلام واستشهادًا بأقواله؛ إذ بلغ ذكرُ الإمام عليه السلام في هذا التفسير أكثرَ من ثمانين مرة في مواطن متفرقة، ورد أغلبها بلقبه (الصادق)، وأحيانا باسمه (جعفر بن محمد).

ورغم هذا الكم من المرويات، إلّا أن الآلوسي يغلب عليه الحسّ الطائفي وعدم الاعتدال والإنصاف.

وقد نوّع الآلوسي في تفسيره الأخذَ من الإمام الصادق عليه السلام، فتارة ينقل عنه تفسير آية كاملة وتارة تفسير كلمة وبيان معناها، وتارة ينقل عنه فيمن نزلت الآية القرآنية، وتارة يروي عنه أمورًا غيبية أو ينقل عنه حكمًا شرعيًا، وتارة يروي قراءته إذا كانت اللفظة القرآنية قد قُرئتْ بأكثرَ من قراءة، وتارة يروي عنه عن آبائه، وأحيانا ينقل ما رُوِيَ عنه فيردُّه أو ينفيه.

ولم يتعامل الآلوسي بحياد تام مع ما ينقله عن الإمام الصادق عليه السلام من أقوال، فهو معها ما دامت توافق عقيدته ولا

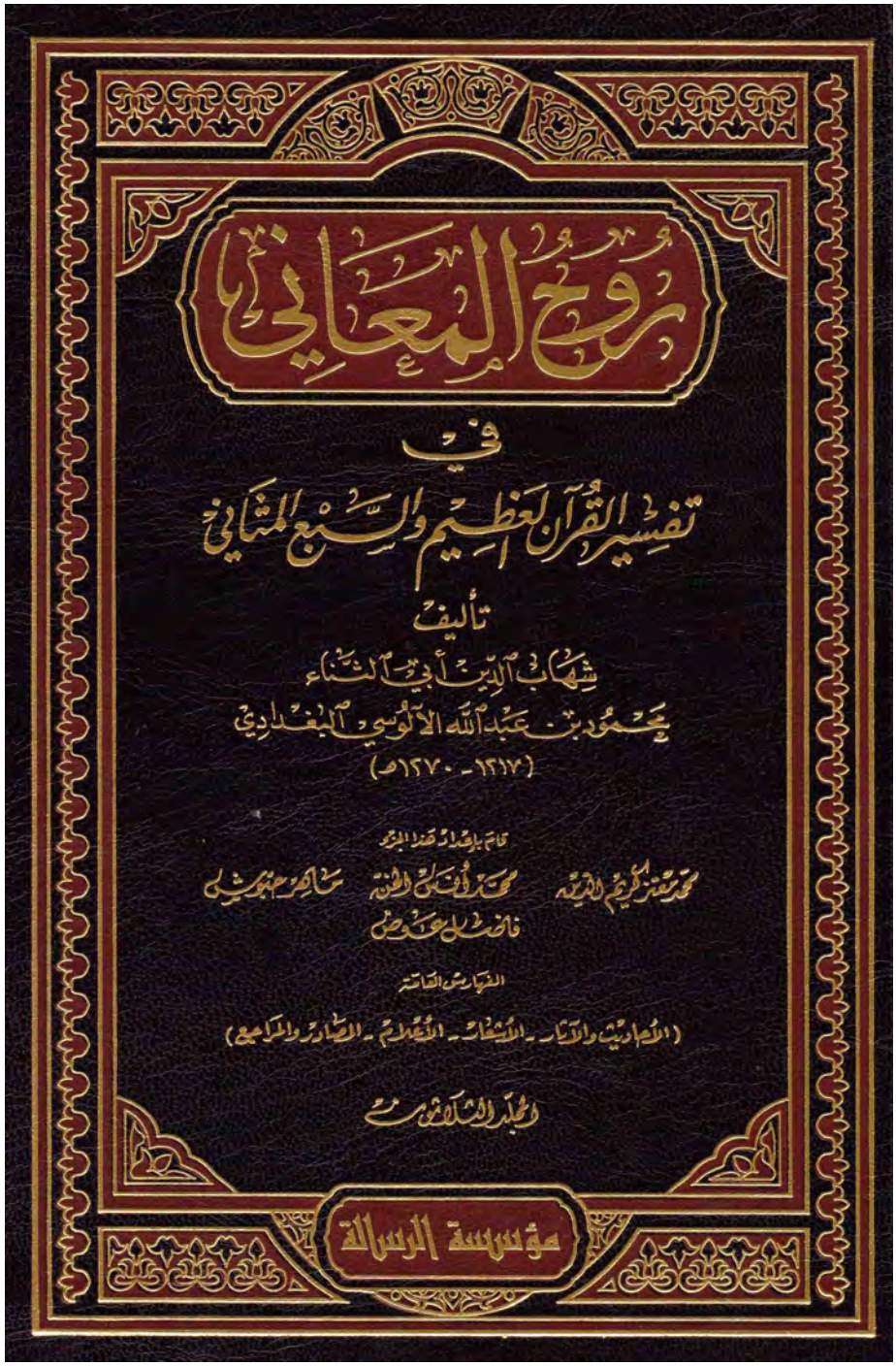
روح المعاني
في
تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
تأليف
شهاب الدين أبي الثناء
محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي
(١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ)
قام بإعداد هذه الطبعة
محمد أحمد الأمين الشنقيطي
فاضل عدوص
الفهارس العامة
(الأعلام - الأشعار - الأعلام - المصادر والمراجع)
المجلد السادس عشر
مؤسسة الرسالة

تخالف ما يذهب إليه ويتمذهب عليه، أما ما يخالف عقيدته من هذه الروايات فهي مكذوبة على الإمام الصادق عليه السلام وضعها الشيعة (عاملهم الله بما يستحقون)، على حدّ تعبيره، أو أن غيرها أقرب إليه منها.

وهذا يجعل تفسيره متطرفًا وبعيدًا عن الواقعية، بالرغم من تظاهره بالاعتدال.

المبحث الأوّل: ما وافق فيه الآلوسي مرويات الإمام الصادق وأيّدها:

ومما رواه الآلوسي مؤيّدًا لما يعتقده ما ذكره في تفسير قوله تعالى: (**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ**) (النمل:١٦)، فحاول أن يصرف الوراثة عن معناها الحقيقي إلى المعنوي قائلًا: (أي قام مقامه في النبوة والملك وصار نبيًا ملكًا بعد موت أبيه داود عليه السلام فوراثته إياه مجاز عن قيامه مقامه فيما ذكر بعد موته، وقيل: المراد وراثة النبوة فقط، وقيل: وراثة الملك فقط، وعن الحسن ونسبه الطبرسي إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام أنها وراثة المال، وتعقب بأنه قد صح (نحن معاشر الأنبياء لا نورث)...[1]

ورغم ضعف السند لهذا الحديث إلّا أنه يعتبره من المسلّمات ويبني عليه بنيانه، وهذا مما يضعف تفسيره.

ثم روى حديثًا أخرجه أبو داوود والترمذي عن أبي الدرداء قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)، وروى محمد بن يعقوب الرازي في (الكافي) عن أبي البحتري عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام أنه قال ذلك أيضًا، ومما يدل على أن هذه الوراثة ليست وراثة المال ما روى الكليني عن أبي عبد الله أن سليمان ورث داود وأن محمدًا ورث سليمان صلى الله عليه وآله وسلم، وأيضًا وراثة المال لا تختص بسليمان عليه السلام فإنه كان لداود عدة أولاد غيره كما رواه الكليني عنه أيضًا، وذكر غيره أنه عليه السلام توفي عن تسعة عشر ابنًا فالإخبار بها عن سليمان ليس فيه كثير نفع وإن كان المراد الإخبار بما يلزمها من بقاء سليمان بعد داود عليه السلام فما الداعي للعدول عما يفيده من غير خفاء مثل وقال سليمان بعد موت أبيه داود (يا أيها الناس الخ...)[2].

وكذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: (**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ** ...)(البقرة:١٣٦)، تكلم عن معنى الأسباط الواردة في الآية، ثم قال: (واختلف الناس في الأسباط أولاد يعقوب هل كانوا كلهم أنبياء أم لا؟ والذي صحّ عندي الثاني وهو المروي عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه وإليه ذهب الإمام السيوطي وألف فيه لأنّ ما وقع منهم مع يوسف عليه الصلاة والسلام ينافي النبوة قطعاً وكونه قبل البلوغ غير مسلم لأن فيه أفعالًا لا يقدر عليها إلّا البالغون)[3].

وكذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: (**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا**)(البقرة:١٤٢)، فقد ذكر الآلوسي أن الناس اختلفوا في مدة بقائه صلى الله عليه وآله وسلم مستقبلاً بيتَ المقدس ففي (رواية مالك بن أنس تسعة أشهر أو عشرة أشهر، وعن معاذ ثلاثة عشر شهرًا، وعن الصادق سبعة أشهر، وهل استقبل غيره قبل بمكة أم لا؟ قولان: أشهرهما الثاني وهو المروي أيضًا عن

الصادق رضي الله تعالى عنه)[٤].

وفي تفسير قوله تعالى: (**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**) (النساء:٢٤) ناقش الآلوسي رأي الشيعة في زواج المتعة ذاكرًا أن أبا نصير من الشيعة روى في صحيحه (عن الصادق رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن امرأة المتعة أهي من الأربع؟ قال: لا، ولا من السبعين)، فعلق قائلًا: (وهو صريح في أنها ليست زوجة وإلا لكانت محسوبة في الأربع، وبالجملة الاستدلال بهذه الآية على حل المتعة ليس بشيء كما لا يخفى)[٥].

وهذا الاستدلال نابع من خلفيته الفكرية، بغض النظر عما ورد في السُنَّة الصحيحة التي ملأت كتب الحديث عن شرعيّة المتعة وعدم نسخها.

ومنه أيضا ما ورد في تفسير قوله تعالى: (**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**)(فاطر:٣٢)، فقد ذكر الآلوسي عددًا من الآراء في المراد بالمصطفَين في الآية الكريمة منها أن المراد بالمصطفين علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم وإيراثهم القرآن جعلهم فاهمين معناه واقفين على حقائقه ودقائقه أمناء على أسراره، ثم ذكر أن الإمامية رووا عن الصادق والباقر عليهما السلام أنهما قالا: هي لنا خاصة وإيّانا عنى أرادا أن أهل البيت أو الأئمة منهم هم المصطفون الذين أورثوا الكتاب، واختار هذا الطبرسي الإمامي قال في تفسيره (مجمع البيان): وهذا أقرب الأقوال لأنهم أحق الناس بوصف الاصطفاء والاجتباء وإيراث علم الأنبياء عليهم السلام[٦].

وقد علق الآلوسي قائلًا: (وربما يُستأنس له بقوله عليه الصلاة والسلام: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ... وحملهم على علماء الأمة أولى من هذا التخصيص ويدخل فيهم علماء أهل البيت دخولًا أوليًا ففي بيتهم نزل الكتاب ولن يفترقا حتى يردا الحوض يوم الحساب، وإذا كانت الإضافة في (عِبَادِنَا) للتشريف واختص العباد بمؤمني هذه الأمة وكانت من للتبعيض كأن حمل المصطفين على العلماء كالمتعين، وعن الجبائي أنهم الأنبياء عليهم السلام اختارهم الله تعالى وحباهم برسالته وكتبه)[٧].

المبحث الثاني: ما ردّ فيه الآلوسي مرويات الإمام الصادق عليه السلام وخالفها:

ومما ورد مخالفًا لعقيدته فحاول تكذيبه أو رده ما جاء في تفسير قوله تعالى: (**لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ**) (البقرة:٢٣٣)، قال: (والمضارة مفاعلة من الضرر، والمفاعلة إما مقصودة والمفعول محذوف أي تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وأن تقول بعد أن ألفها الصبي أطلب له ظئرًا مثلًا ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئًا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها، أو يأخذ الصبي منها وهي تريد إرضاعه أو يكرهها على الإرضاع وإما غير مقصودة، والمعنى: لا يضر واحد منهما الآخر بسبب الولد[٨].

ولما وجد رواية عن الأئمة تخالف ما ذهب قال: (ومن غريب التفسير ما رواه الإمامية عن السيدين الصادق والباقر رضي الله تعالى عنهما أن المعنى لا تضار والدة بترك جماعها خوف الحمل

لأجل ولدها الرضيع ولا يضار مولود له بمنعه عن الجماع كذلك لأجل ولده، وحينئذ تتعين الباء للسببية، ويجب أن يكون الفعلان مبنيين للمفعول ولا يظهر وجه لطيف للتعبير بالولد في الموضعين، وتخرج الآية عما يقتضيه السياق، وبعيد عن الباقر والصادق الإقدام على ما زعمه هذا الراوي الكاذب)[٩].

يلاحظ نهج الآلوسي في تكذيب ما يخالف عقيدته، وهذا مما يضعف تفسيره ويلغي حيادته التي يدّعيها.

وفي تفسير قوله تعالى: (**يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**) (النساء:١١)، ذكر الآلوسي أنه روي عن الإمام الصادق عليه السلام (أن حواء عليها السلام أخذت حفنة من الحنطة وأكلت وأخذت أخرى وخبأتها ثم أخرى ودفعتها إلى آدم عليه السلام فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الأمر عليها فجعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل (فعلق عليه قائلًا: ذكره بعضهم ولم أقف على صحته)[١٠].

ومن ذلك ما نقله الآلوسي عن (ابن بابويه في كتاب (التوحيد) عن الصادق عليه السلام في حديث طويل أيضًا أنه قال: لعلك ترى أن الله تعالى لم يخلق بشرًا غيركم، بلى والله لقد خلق ألف ألف آدم أنتم في آخر أولئك الآدميين .... وفي كتاب (الخصائص) ما يكاد يفهم منه التعدد أيضًا الآن حيث روى فيه عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن لله تعالى اثني عشر ألف عالم كل عالم منهم أكبر من سبع سموات وسبع أرضين ما يرى عالم منهم أن لله عز وجل عالمًا غيرهم، وأني للحجة عليهم)[١١].

وهذا مخالف لما يعتقد به الآلوسي، لذا علق عليه قائلًا: (ولعل هذا وأمثاله من أرض السمسمة وجابر ساوجًا بلقًا إن صح محمول على عالم المثال لا على هذا العالم الذي نحن فيه، وحمل تعدد آدم في ذلك العالم أيضًا غير بعيد، وأما القول بظواهر هذه الأخبار فمما لا يراه أهل السنة والجماعة، بل قد صرح زين العرب بكفر من يعتقد التعدد، نعم إن آدمنا هذا عليه السلام مسبوق بخلق آخرين كالملائكة والجن وكثير من الحيوانات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى)[١٢].

وفي تفسير حمالة الحطب في قوله تعالى: (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)(المسدّ:٤) قال: (... وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان ثم روى رواية قال فيها: أخرج ابن عساكر عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر رضي الله تعالى عنهما أن عقيل بن أبي طالب دخل على معاوية فقال معاوية له: أين ترى عمك أبا لهب من النار، فقال له عقيل : إذا دخلتها فهو على يسارك مفترش عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب)[١٣].

ولم تُعجب الآلوسي هذه الرواية لأن فيها ذمًا لمعاوية فعلق عليها قائلًا: (ولا أظن صحة هذا الخبر عن الصادق لأن فيه ما فيه)[١٤].

وفي تفسير قوله تعالى: (**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**)(التكاثر:٨)، نقل الآلوسي روايتين ذكرهما العياشي من الإمامية: الأولى عن الإمام الباقر عليه السلام والأخرى أن أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال لأبي حنيفة في الآية ما النعيم عندك يا نعمان؟ فقال القوت من الطعام والماء البارد، فقال أبو عبد الله لئن أوقفك الله تعالى بين يديه حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولن وقوفك بين

يديه، فقال أبو حنيفة: فما النعيم؟ قال: نحن أهلَ البيت النعيمُ، أنعم اللّه تعالى بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألف اللّه تعالى بين قلوبهم وجعلهم إخوانًا بعد أن كانوا أعداء وبنا هداهم إلى الإسلام وهو النعمة التي لا تنقطع، واللّه تعالى سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم سبحانه به عليهم وهو محمد وعترته عليه وعليهم الصلاة والسلام)[١٥].

والروايتان تخالفان عقيدة الآلوسي لذلك ردّهما قائلًا: (وكلا الخبرين لا أرى لهما صحة وفيهما ما ينادي عن عدم صحتهما كما لا يخفى على من ألقى السمع وهو شهيد والحق عموم الخطاب والنعيم بيد أن المؤمن لا يثرب عليه في شيء ناله منه في الدنيا بل يسأل غير مثرب وإنما يثرب على الكافر كما ورد ذلك في حديث رواه الطبراني عن ابن مسعود)[١٦]، ثم أتى بأحاديث استدل من خلالها على عموم الخطاب[١٧].

إن نهجًا يُبعد الرأي المخالف لعقيدته رغم صحته دون مناقشة لذلك الرأي نقاشًا موضوعيًا، له نهج هزيل مخالف للمنهجية العلمية.

وفي تفسير قوله تعالى: (**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**)(الشعراء:٨٠)، ذكر الآلوسي أنه روي (عن جعفر الصادق عليه السلام أن المعنى وإذا مرضت بالذنوب فهو يشفيني بالتوبة) ولم يعجبه تفسير الإمام فعلق قائلًا: (ولعله لا يصح وإن صح فهو من باب الإشارة لا العبارة) [١٨].

وبذلك نصل إلى نتيجة مفادها: إن تظاهر الآلوسي بالحيادية في تفسيره (روح المعاني) وذلك بايراده بعض مرويات الإمام الصادق عليه السلام، لهو ضرب من الخيال، وبعيد كل البعد عن الواقع، بل كانت طائفيته وتطرفه تطغى على منهجيته، رغم محاولته إيهام القراء بذلك ■

١- روح المعاني : ١٩ / ١٧١.
٢- روح المعاني : ١٩/ ١٧١.
٣- روح المعاني : ١ / ٣٩٥.
٤- روح المعاني : ٢/ ٣.
٥- روح المعاني : ٥ / ٧.
٦- يُنظر روح المعاني : ٢٢ / ١٩٥.
٧- روح المعاني : ٢٢ / ١٩٥.
٨- ينظر : روح المعاني : ٢ / ١٤٧
٩- روح المعاني : ٢ / ١٤٧
١٠- روح المعاني : ٢ / ٤٢٧.
١١- روح المعاني : ٤ / ١٨١.
١٢- روح المعاني : ٤/ ١٨١.
١٣- روح المعاني : ٣٠ / ٢٦٣.
١٤- روح المعاني : ٣٠ / ٢٦٣.
١٥- ينظر روح المعاني : ٣٠ / ٢٢٦.
١٦- روح المعاني : ٣٠ / ٢٢٦.
١٧- ينظر : روح المعاني : ٣٠ / ٢٢٧-٢٢٨ .
١٨- روح المعاني : ١٩ / ٩٧.

الأستاذ صباح علي البياتي

حكاية مستبصر

لقد شيَّعني الحسين عليه السلام .... !!

مولده ونشأته: ولد الأخ صباح عام ١٩٥٣م في العراق بمدينة زاخو، واصل دراسته الأكاديمية حتى تخرج من كلية التربية قسم اللغة العربية جامعة صلاح الدين أربيل. كان شافعي المذهب ثم اعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩٥م في العراق بمدينة الموصل.

يقول الأستاذ صباح: اكتشفت عبر البحث التاريخي أن التلاعب السياسي لعب دورًا هامًا في سيطرته على نظام التاريخ وتصرفه في السيرة، وهذا ما استدعاني إلى إثارة الشكوك حول الكثير مما جمعته كتب التاريخ، ولكنني قلت في نفسي: إن التاريخ الذي بين أيدينا وإن كان متضمنًا للكثير من التزييف والتشويه ولكنه لا يخلو من حقائق يطمئن إليها الباحث.

فعزمت من هذا المنطلق على البحث والتتبع حتى تبينت لي الكثير من الحقائق التي حاول حكام الجور طمس معالمها، ثم قرأت كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بتمعن، وطالعت شرح ابن أبي الحديد، فلما بلغت الخطبة الشقشقية استعرضت في نفسي الأحداث التي وقعت في أوساط الأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فتبينت لي أهداف المؤامرة التي حيكت في السقيفة للإطاحة بأهل البيت عليهم السلام وعزلهم عن الساحة الإسلامية، فتأثرت لذلك كثيراً واستغربت من الأمور التي قام بها بعض الصحابة.

ويضيف الأستاذ صباح: استغرق بحثي في هذا المضمار مدة عامين، وأقمت نوعاً من الموازنة بين آراء الشيعة وأبناء العامة في المسائل الدينية ولاسيما مسألة الإمامة والخلافة، حتى تبين لي أن التشيع هو المذهب الوحيد الذي يمكنني الاعتماد عليه لأنه مذهب لم تتدخل أيادي السلطة في التلاعب به، بل بقي نقيًا في صدور عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين كانوا ينشرونه

في أوساط الأمة الإسلامية.

فلهذا اتخذت قراري النهائي واخترت الانتماء إلى هذا المذهب الذي يستمد علومه من ينبوع معارف أهل بيت رسول الله ﷺ فأعلنت تشيعي عام ١٩٩٥م في الموصل ثم حاولت تنظيم المعلومات التي حصلت عليها خلال البحث لأنشرها بعد ذلك بشكل بعض المؤلفات لينتفع منها الآخرون الذي يتعطشون لاستماع كلمة الحق.

مؤلفاته:

١ـ لا تخونوا الله والرسول ـ صدر سنة ١٤٢١هـ ـ عن مركز الأبحاث العقائدية في سلسلة الرحلة إلى الثقلين، وهو دراسة نقدية لآراء محمد بن عبد الوهاب في كتابه (رسالة في الرد على الرافضة)، وقد فندّ آراء محمد بن عبد الوهاب بأسلوب علمي موضوعي، واعتمد على روايات وأقوال أهل السنة من كتبهم.

٢ـ الصحوة (رحلتي إلى الثقلين): وهي دراسة في التراث الإسلامي ونقد لبعض محطاته تتضمن مناقشة القاضي ابن العربي في كتابه (العواصم من القواصم) وعدد آخر من المؤلفين والعلماء القدماء والمعاصرين.

٣ـ حقيقة التشيع: من إصدارات المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، يتضمن الكتاب التعريف بالتشيع من حيث نشأته ومناقشة الآراء التي تبناها البعض بهدف التشنيع على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

٤ـ التبرك: من إصدارات المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، يتناول موضوع التبرك عند المسلمين منذ عهد النبي ﷺ، طبع مرتين ضمن سلسلة (في رحاب أهل البيت عليهم السلام).

٥ـ أهل الحديث: تحت الطبع، وسيصدر عن المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

٦ـ عقائد السلفية: مخطوط.

نقل عن: موسوعة من حياة المستبصرين/ج٢/ ص٥٠٥

ما انفكّت الناسُ

الشاعر بدر الدريع - دولة الكويت

ما انفكّت الناسُ في أديانِها قِـــدَدا ... كـلٌّ يـرى علَّـةً فيـها لمـا اعتَقَـدا
وما احتجاجُ الـورى بالعقلِ نافِعُـهـم ... مـا دام منهـم فـــؤادٌ بالهـوى فُئِـدا
ممّـــا أضرَّ بهـذا الخلـــقِ أنَّهـــمُ ... قـد ألَّـهـوا العقلَ بَيْنا هُـم عبيدُ جِـدا
فضـاعَ ما بينَ إفـــــراطِ الكُسّراةِ بـــه ... وبين تَفريطِهم عُـمْـرُ الـعَـــوام سُـدى
لا يَعصِمُ العقلَ تقديسُ العُقولِ لـــه ... حقائقُ اليـوم تَنفيها العلـومُ غَـدا

* * * * * * * * * * * * * *

وإنَّ رُزءَ الـذي يـدري جَهـالَتَـــه ... يهون عَمّن يخالُ الجَهلَ فيه هُـدى
وقـد أغـذَّ الجَـوى إشفـاقُ عاذلـــة ... تخـالُ عَجزَ تعابيرِ الفتى جَلَـدا
تقـولُ لمَّـا رأت همِّـي مُعـانِبَـــةً ... أيُـصلِـحُ الهَـمُّ مـن دنيـاك مـا فَسَـدا

* * * * * * * * * * * * * *

ومـا درت أنَّ هَـمَّ الحـرِّ تَعـذِرَةٌ ... إذا أرادَ صلاحًـا ثُـمَّ مـا وَجَـــدا
إن كـان قد راعَها سُـقمٌ عَـرى بَـدَني ... فَـراحَـةُ الـــروح في إتعابِها الجَسَـدا
وأيـنَ يُكظَـمُ فيه الغيـظُ مَـن مَجُلَـت ... يـداه بالسيفِ تَلويحًـا لِـطَـيْـفِ عِـدا
فقُـل لمـن عيّروني حينَ لم يَجِـدوا ... عليَّ عَيْبًـا بـما لَـو أنصفـوا حُمِـدا
حسـبي أراكُـم عُـــراةً في ثيـــابِكُـمُ ... إذا تَعيبـونَ مني فـي الكَفـافِ رِدا

* * * * * * * * * * * * * *

ومـا علـيَّ مَـلامٌ أن يُخـاصِمَنـي ... مـن لا تـراه الموالي فـي الـورى أحَـدا
يُشَـنِّعُ المـرءَ تزيـينُ السفيـهِ لـــه ... وغـايـةُ الـمـدحِ أن يهجوكَ مَـن حَسَدا
وكيـفَ يَـأمَـنُ حَـيٌّ كَيْـدَ شَـانِئِـهِ ... وليـسَ يَسلَـمُ مِـن شانيهِ مَـن لُحِدا
أمـا رأيـتَ بسامـرّاءَ كيفَ شَـفَـت ... نـواصِـبُ الآلِ منها الغيظَ والـكَـمَـدا
غـداةَ هَـدّوا بدعـوى الشـرّكِ قُبةَ من ... لـولاهُـمُ مـا عـلا وقـتَ الـصلاةِ نـدا
العسكريـين أعمـى اللهُ ناظِـــرَةً ... عليهما قـد أقـــرت عيـنَ مَـن جَحَدا

دع عنكَ من علَّقوا أوزارَهُم بعُرى ... شَرائذم ما لها في الناعقينَ صَدى
ما صدَّعَ الدارَ إلا مَن سواعِدُهُ ... قد سَمَّرَت في بقيع الغَرْقَدِ الوَتَدا
مَعالِمٌ قوَّضَت فينا مَرابعُها ... أضالِعًا لو صَلاها العودُ لاتَّقَدا
عَقدتُ فيها لساني مُذ حَلَلْتُ بها ... وَحَلَّ جفني لها بالرمش ما عُقِدا
بكيتُها لا لِرَسْمٍ زالَ أو طَلَلٍ ... فلستُ ممَّن على أحجارِها وَفَدا
لكنْ بكيتُ بها دُونَ الورى فِتَنًا ... تُذكي بِهَدْم بيوتِ اللهِ ما خَمَدا
مُستذكِرًا في فَناءِ الدارِ غيرةَ مَن ... لا تَجرؤُ الطَيرُ حَوْمًا إن حِماه بَدا

* * * * * * * * * * * * * *

الجهبذُ الجهضمُ الجهجاهُ إن شَدَهَتْ ... بومُ الكتائبِ ما بالهامِ قد صَخَدا
واري الزنادِ أبا الفضلِ الذي ائتَزَرَتْ ... بنو أُمَيَّةَ بالأكفانِ مُذ مُهِدا
والأُريَحِيُّ الذي يَقظانُ راحَتِهِ ... يُسدي الجميلَ وَلَوْلَا ذاكَ ما رَقَدا
فَذٌّ إذا ما نَوَى أمرًا يكادُ بِأَن ... يُمضيهِ من قبلِ أن يُثني عَلَيْهِ يَدا
ما سَرْبَلَت ليلةٌ أشلاءَ غارَتِهِ ... إلا تَنَفَّسَ صُبحُ الغارَةِ الصُّعَدا
يزدادُ بأسًا إذا ازدادَ الوغى صَخَبًا ... والبحرُ لولا عَتِيُّ الريحِ ما زَبَدا
تخالُ صارِمَهُ من هَوْلِ صَيحَتِهِ ... برقًا سَرى وَمْضُهُ في عارِضٍ رَعَدا

* * * * * * * * * * * * * *

مِن أهلِ بيتٍ بلا جرحٍ حَديثُهُمُ ... يُعزى إلى المصطفى مَتنًا ومُستَنَدا
فيهم ومِنهم وعنهم هَدْيُ سُنَّتِهِ ... ودونَ قائِمِهم حُكمُ الكتابِ غَدا
توارثوا العلمَ عن أشياخهم تَبَعًا ... كما توارَثَ من عاداهم الحَسَدا
قومٌ إذا نُدِبوا لم يَدرِ نادِبُهم ... أُفُرِّقَ العَزمُ إن هَبُّوا أم اتَّحَدا
فَكُلُّهُم بالوغى فَردٌ إذا احتَشَدوا ... وكلُّ فردٍ بهم جيشٌ قد احتَشَدا

* * * * * * * * * * * * * *

ساروا إلى الطَّفِّ معدودٌ عَديدُهُمُ ... وطالما قلَّ أتباعُ الهُدى عَدَدا
فقَصروا العمرَ في هَدْيِ الأنامِ ولم ... يَكُنْ لِيَحْيَى الهُدى إلا بِكَبشِ فِدا
في مَعشَرٍ كالجبالِ الراسِياتِ سَوى ... أنَّ المنايا بها قَد سَلَّكَتْ جُدُدا
تيمَّموا بِصعيدِ الأرضِ حينَ رَأَوْا ... وَقَدْ ظَمى الدينُ أنَّ الماءَ قد فُقِدا
في مَوقِفٍ قد تمنَّت كلُّ ثاكِلَةٍ ... لو أن مَولودَها من قبلِهِ وُئِدا

* * * * * * * * * * * * * *

تَـــوارَت الجـــنُّ عـن آكـامِـــهِ جَـزَعًـــا ... ومَـاجَـت الإنـسُ فـي غيطانِهِ حَـرَدا
يـــومٌ تعطَّلـت الأفـــلاكُ فيـه ولـم ... تَـــزَلْ إلـى يومِنا أجـرامُـهُ شُـرَدا
استـنـجَدَ الـفـضـلُ بـالـعـبـاسِ فيه وما ... على سِـــوى قربـةٍ للماءِ قـد جُحِدا
فَـثَـــوَّرَ النقعَ فـي مُهـرٍ قوائمُـهُ ... عَـــدوًا تُحَجِّمُ بالآفـاقِ ما اطَّـرَدا
كأنـهُ البـدرُ فيما اظلَـــمَّ مـن قُـتَـم ... بـصـــارم كشِهـابٍ دون مـا رَصَـــدا
حتى إذا لـم يَجِـد جـودا يـجـودُ بهِ ... رمـى الكفوفَ وَمـا رَوَّى بها كَبِـدا
وليـس كُـــلُّ قَليلٍ شَـــحَّ بـاذِلُـــهُ ... وليـس كُـلُّ كثيرٍ في العطاءِ نَـدى

* * * * * * * * * * * * * *

لـم أَنـسَ إن أَنـسَ نَـعـيَ السبطِ مقتلَهُ ... غـــداةَ نكَّسَ وســـطَ الخيمةِ العَمَدا
مُـحـدَوْدِبَ الظهرِ يُخفي الكبرياءُ به ... ملامِحَ الكسرِ فـي حـولٍ لـه نَفِدا
ومـا عسى الـمـرءُ أن يقضي بحيلَتِهِ ... إذا بِـهِ مـالَ عـنـد المَيـلِ ما رَفَـدا
هـذا، وإن كنت طَـوَّعـتُ الحديدَ على ... رثائِهِـم بَيْـدَ أنـي أغبَـطُ الشُّهَـدا
لكـنَّ لهفي على الـلاتي بأعْيُنِهـا ... غَـرَّ القـذى قَتَـدًا لما شَكَت رَمَـدا
إذ طَـــوَّقَ الجيـدَ منها حَبلُ ثاكِلِها ... وإنمـا قـد طَـــوى فـي جيـدِه مَسَـدا

* * * * * * * * * * * * * *

فيـا نَقيبًا تحـرَّى بالأهلَّـةِ مـن ... شهـرِ المحـرمِ عُرجـونًا لـه وُلِـدا
أمـــا إلـى كربـلا بالخلـقِ ثـمَّـتَ من ... حَمِيَّةٍ دَمُـــهُ في رأسِـه جَمُـــدا
يـطـوي لها كـل فَـجٍّ لاَ على ضُمَـرٍ ... لكن على خـاطِـرٍ يطوي بـه البَلَـــدا
حتى يـقـولَ لمـن قـد زَمَّ فـي خَفَـرٍ ... خـدرَ الفواطِـمِ إجـلالاً لما عُهِـدا
مـا بـال نـسـوَتِـكُم حـسـرى تـجـوبُ بها ... هُـــزلُ النياقِ بَقَيْدِ الأسـر كـلَّ مَدى
حـيـرى يُـعَـنِّـفُـهـا بـالـسَّـوطِ بـعـدَكَ من ... بالأمسِ دونَ حُـــدودِ اللهَ قـد جُلِـدا

* * * * * * * * * * * * * *

لعـلَّ مُصطَرخًـا نَهيًـا يصيحُ بِـهِ ... أنْ كبِّـرَ اليـومَ للثاراتِ مَـن وُعِـدا
فيملؤُ الأرضَ قِـسـطًـا بعدما مُـلِـئَت ... جَـوْرًا وينقـص أطرافًـا لهـا لَبَـدا
فـي فِتيةٍ كـم أَمَـنِّـي النفـسَ بينَهُـمُ ... لآخِـــرِ العهـدِ مني مَقتَـلًا خَلُـدا
فـإن حـتـفَ الفتى فـي الـعـزِّ مَـوْلِـــدُهُ ... وإن خـوفَ الـردى في الـذلِّ مِنكَ رَدى

* * * * * * * * * * * * * *

هذا
علی بن ابی طالب الحسینی
ودفعه دمی

في الذاكرة

شهر رجب المرجب

١ ولادة الإمام محمد الباقر عليه السلام عام٥٧هـ، في المدينة المنورة.

٢ ولادة الإمام علي الهادي عليه السلام عام ٢١٤ هـ (على رواية) في المدينة المنورة.

٣ استشهاد الإمام علي الهادي عليه السلام سنة ٢٥٤هـ مسمومًا على يد المعتمد العباسي.

٥ استشهاد النحوي الإمامي ابن السكيت على يد المتوكل العباسي.

٨ ولادة الحر العاملي عام ١٠٣٣ هـ. صاحب كتاب وسائل الشيعة.

٩ هلاك المأمون العباسي سنة ٢١٨ هـ.

١٠ ولادة الإمام محمد الجواد عليه السلام عام ١٩٥هـ، في المدينة المنورة.

١٢ دخول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة بعد حرب الجمل واتخاذها عاصمة له عام ٣٦ هـ.

هلاك معاوية بن أبي سفيان عام ٦٠ هـ.

١٣ ولادة إمام المتقين وسيد الموحدين أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في داخل الكعبة المشرفة قبل البعثة بعشرة أعوام. تحويل القبلة من بيت المقدس إلى

١٥ البيت الحرام عام ٢ هـ.

وفاة عقيلة الطالبيين السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام سنة ٦٢ هـ.

١٦ خروج فاطمة بنت أسد من داخل الكعبة المشرفة تحمل وليدها الإمام علي عليه السلام.

١٨ وفاة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة ١٠ هـ، وله من العمر سنة وعشرة أشهر.

هلاك المعتمد العباسي عام ٢٧٩ هـ.

٢٠ وفاة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز عام ١٠١ هـ.

٢٢ وفاة الشيخ جعفر الكبير قدس سره صاحب كتاب كشف الغطاء سنة ١٢٢٧ هـ.

٢٣ طعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على يد الجراح بن سنان في المدائن سنة ٤١ هـ.

٢٤ فتح خيبر على يد أمير المؤمنين عليه السلام عام ٧ هـ.

رجوع جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الحبشة عام ٧هـ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما أدري بأيهما أنا أشدّ فرحًا بقدوم جعفر أم بفتح خيبر).

٢٥ استشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في السجن سنة ١٨٣هـ ببغداد على يد هارون العباسي.

٢٦ وفاة أبي طالب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحاميه وناصره سنة ١٠ من البعثة المباركة.

٢٧ البعثة النبوية الشريفة وبدء نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمره ٤٠ عامًا.

٢٨ خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ومنها إلى العراق عام ٦٠ هـ.

٢٩ وفاة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام (على رواية).

في الذاكرة

شهر شعبان

١ وفاة شيخ الفقهاء صاحب الجواهر سنة١٢٦٦هـ.

٢ خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لغزوة بني المصطلق عام ٥هـ.

٣ ولادة سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام عام٤هـ.

٤ ولادة أبي الفضل العباس بن علي عليه السلام عام٢٤هـ.

٥ ولادة الإمام علي بن الحسين عليه السلام عام ٣٨هـ.

١١ ولادة علي الأكبر بن الحسين عليه السلام عام ٣٣هـ.

١٤ ليلة النصف من شعبان.

١٥ مولد منقذ البشرية صاحب الزمان الإمام المنتظر (عج) ٢٥٥هـ.

وفاة آخر السفراء الأربعة للإمام الحجة (عج) علي بن محمد السمري رضي الله عنه سنة ٣٢٩هـ، وبموته تنتهي الغيبة الصغرى وتبدأ الغيبة الكبرى.

١٨ وفاة السفير الثالث للإمام الحجة (عج) حسين بن روح النوبختي رضي الله عنه سنة ٣٢٦هـ.

٢٠ وفاة سلطان الواعظين الشيرازي صاحب كتاب (ليالي بيشاور) سنة ١٣٩١ هـ.

٢٢ وفاة الشيخ جواد البلاغي عام ١٣٥٢هـ.

٢٣ وفاة الفقيه المجدد المجاهد الميرزا محمد حسن الشيرازي عام ١٣١٢ هـ.

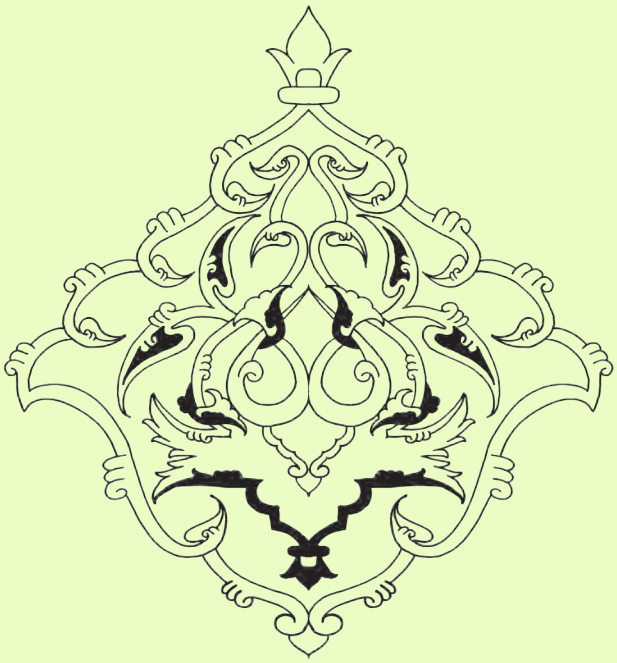

وقفة مع الذكرى

ولادة الإمام الجواد عليه السلام في ١٠ رجب عام ١٩٥هـ.

الإمام محمد الجواد عليه السلام هو الإمام التاسع من أئمة أهل البيت عليهم السلام، أبوه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وأمه سبيكة، ويقال: درة، ثم سماها الإمام الرضا عليه السلام خيزران، وكانت نوبية[١].

من أشهر ألقابه: التقي، الجواد، المرتضى، باب المراد. ويكنى أبو جعفر الثاني[٢]، وما كان أبوه عليه السلام يذكره إلّا بكنيته، يقول: كتب إليّ أبو جعفر، وكنت أكتب إلى أبي جعفر، وهو صبي بالمدينة فيخاطبه بالتعظيم.

لقد عاش الإمام الرضا عليه السلام أكثر من أربعين سنة ولم يكن له ولد، فقلق الشيعة لذلك.. إلّا أن الإمام الرضا عليه السلام أخبر أصحابه بولادة وصيه والإمام من بعده.. فقد روي أن ابن قياما كتب إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام كتابًا يقول فيه: كيف تكون إمامًا وليس لك ولد؟ فأجابه أبو الحسن الرضا عليه السلام: (وما علمك أنه لا يكون لي ولد؟! والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله

ذكرًا يفرق بين الحق والباطل)[٣].

وروي عن معمر بن خلاد قال: ذكرنا عند أبي الحسن عليه السلام شيئاً بعد ما ولد أبو جعفر عليه السلام، فقال: ما حاجتكم إلى ذلك، هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي، وصيرته في مكاني[٤].

وروي عن الحسن بن الجهم قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام جالسًا، فدعا بابنه وهو صغير فأجلسه في حجري، فقال لي: جرّده وانزع قميصه. فنزعته، فقال لي: انظر بين كتفيه، فنظرت فإذا في أحد كتفيه شبيه بالخاتم داخل في اللحم، ثم قال: أترى هذا؟ كان مثله في هذا الموضع من أبي عليه السلام[٥].

وروي عن يحيى الصنعاني أنه قال: كنت عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فجيء بابنه أبي جعفر عليه السلام وهو صغير، فقال: هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم بركة على شيعتنا منه[٦].

هذه الروايات وغيرها دالة على إمامته ومناقبه عليه السلام.

وكان المأمون قد شغف بأبي جعفر عليه السلام لما رأى من فضله مع صغر سنه، وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل زمانه، فزوجه ابنته أم الفضل وحملها معه إلى المدينة، وكان متوافرًا على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره[٧].

له عليه السلام من الولد: ابنه الإمام من بعده علي الهادي عليه السلام، وموسى المبرقع، وفاطمة وأمامة ابنتيه. قال المفيد: ولم يخلف ذكرًا غير من سميناه[٨]■

١- إعلام الورى/الطبرسي: ج٢ص٩١.
٢- ن.م.
٣- الكافي/الكليني: ج١ص٣٢٠.
٤- ن.م.
٥- ن.م.
٦- ن.م.
٧- الإرشاد /الشيخ المفيد: ج٢ص٢٨١.
٨- ن.م:ص٢٩٥.

قال الإمام أبي الحسن علي بن محمّد الهادي عليه السلام:

من وعظ أخاه سِرًّا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه.

تحف العقول/ ابن شعبة الحراني / ص٤٨٩

وقفة مع الذكرى

وفاة الشيخ صاحب الجواهر (قد) غرة شهر شعبان عام ١٢٦٦هـ

اسمه ولقبه: محمد حسن الجواهري بن الشيخ باقر بن الشيخ عبد الرحيم الشريف الكبير. وبكتابه (جواهر الكلام) عرفت أسرته بـ (الجواهرية) المعروفة بالنجف الأشرف، ومنه ابتدأت شهرتها وانتشرت آثارها.

ولادته: ولد في حدود سنة ١١٩٢ هـ في النجف الأشرف.

نسبه: ينتهي نسبه إلى جده الأعلى الشريف الكبير عبد الرحيم، أما من جهة الأمهات، فهو ينتهي من قبل أمه إلى السادة العذاريين، فإنها علوية منهم. ولذا كان يقضي شيخنا شطرًا من أوقاته في أيام

نشأته الأولى في العذارات (وهي من قرى الحلة) عند أخواله.

نشأته: لم يكن شيخنا المترجم له مبتدئًا في اختياره المسلك الديني، بل ورث ذلك من أسرته العلمية. كما أن أخاه الذي يكبره سنًا الشيخ محمد حسين كان من نوابغ طلاب العلم، وقُتل في ريعان شبابه خطأً وهو في طريقه إلى مسجد السهلة، بطلقة نارية طائشة من أحد طلاب العلم الذين كانوا - بأمر الشيخ كاشف الغطاء وتوجيهه - يتدربون في الصحراء خارج النجف على الرمي بالبنادق لغرض الدفاع أمام هجمات الوهابيين التي كانت مستمرة على النجف وكربلاء.

الحركة العلمية في عصره: كانت الحركة العلمية في عهده بأوجها في خصوص النجف الأشرف وكربلاء على يد المؤسس العظيم الأغا محمد باقر البهبهاني. وبقيت بعده النجف تنازع كربلاء وتشاطرها الحركة العلمية بفضل تلميذيه العظيمين السيد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء، وإن كانت كربلاء بقيت محافظة على مركزها الأول حتى وفاة المربي العظيم المعروف بشريف العلماء وهو الشيخ محمد شريف المازندراني، بعده اتجهت الأنظار صوب النجف لوجود الشيخ صاحب الجواهر الذي اجتذب إليه طلاب العلم، فازدحمت النجف يومئذ برواد العلم من كل حدب وصوب لاسيما من إيران، وبلغت القمة في رواج العلم فيها. ويكفي أن يكون من نتاج ذلك العصر حَبر الأُمة وإمام المحققين الشيخ مرتضى الأنصاري الذي أنسى الأولين والآخرين.

آثاره العلمية: انتهت إليه الرئاسة العامة والمرجعية في التقليد باستحقاق، فنهض بها خير ما ينهض به المجاهدون العاملون، وتفرد بها لا يشاركه مقارن ولا يزاحمه معارض في النجف وخارجها، مع وفرة العلماء الكبار في عصره. ولم يقتصر جهد هذا الشيخ الجليل على تصنيف كتابه العظيم (الجواهر) فحسب، وإن كان هذا وحده ليس بالشيء القليل، فقد جعله في مصاف العظماء النوابغ. ومن الجدير بالذكر أن تأليف (الجواهر) لم يكن بقصد أن يكون مرجعًا فقهيًا يرجع إليه الدارسون، وإنما كتبه لنفسه حين كان يخرج إلى (العذارات) وليس عنده كتب يحملها لأنه فقير، فعزم على أن يكتب كتابًا يكون له مرجعًا عند الحاجة. وقد ألف كتبًا أخرى عدا جواهره، هي:

* كتاب (نجاة العباد)، وهو رسالة عملية صنعها لمقلديه، وهي من الرسائل العلمية التي حظيت بالتعاليق والشروح بعد عصره.

* (هداية الناسكين) في مناسك الحج، وهي آخر مؤلفاته فقد فرغ منها سنة الوباء ١٢٦٤هـ.

* (كتاب في الأصول) تُلفت نسخته الوحيدة التي هي بخطه، وقصتها أن له وليدًا صغيرًا تناول هذا الكتاب أثناء لعبه وألقاه في البئر. وبعد إخراجه وجدوا أنه قد انمحت كلماته ولم يكن وقت الشيخ يسمح له يومئذ وهو المرجع للتقليد أن يعيد تأليفه.

وفاته: كانت وفاته رضوان الله عليه غرة شهر شعبان من سنة ١٢٦٦هـ.

للفضيلة نجومها

أسماء بنت عميس الخثعمية
سيرة ومسيرة

فارس رزاق الحريزي
كاتب وباحث إسلامي

ينابيع

يزخر التأريخ الإسلامي بشخصيات نسائية كان لها الأثر البارز في الأحداث التأريخية الهامة. وقد أفرز مجموعة كبيرة ومهمة من النسوة اللواتي أخذن على عاتقهنّ، وتحملن المسؤولية الكاملة بإرادتهنّ بالحفاظ الواعي على الشريعة السمحاء، والذود عنها بكل ما يمتلكن من قوة معنوية أو مادية لذا تركن بصمة واضحة لا تزول.

ومن تلك النسوة أسماء بنت عُميس الخثعمية التي ترنمت بالزهو في ألق الولاء لأهل البيت عليهم السلام ما رفع شأنها، وخط دربها، ولذا ظل تأريخها صلباً إذ رتبت أعمالها وسخرت نفسها لغصن من الشجرة المحمدية المعطاء، أجل تعاملت مع سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام بإخلاص وجدّية وبنوايا وأفكار ودّية لا تهزّها الرياح، ولا تخاف بذلك لومة لائم، حيث كان لها حضور فاعل في مختلف الميادين، مما هيّأ لها السبيل لرفع مكانتها الاجتماعية التي حظيت بها في مراحل حياتها المختلفة.

نسبها وأسرتها:

لقبت أسماء بالخثعمية لأن أباها عميس بن معد ينسب إلى جماع خثعم، وأمها خولة بنت عوف بنت زهير الكنانية، ومن اللافت للنظر أن أسماء

وأخواتها تلقين تربية عالية، أنتجت سمعة طيبة وراقية في مجتمع مكة، ما حدا بسادات مكة إلى الاقتران بأسماء وأخواتها.

١- تزوجت أسماء جعفر بن أبي طالب الطيار عليه السلام.

٢- أختها ميمونة تزوجت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- تزوجت أختها لبابة (أم الفضل) من العباس بن عبد المطلب[١].

٤- تزوجت أختها سلمى الحمزة بن عبد المطلب، والتي له منها بنت اسمها لبابة[٢].

إسلامها:

أسلمت أسماء بنت عميس بعد السيدة خديجة الكبرى، وفاطمة بن أسد، وفاطمة الزهراء عليها السلام. وقد يكون تسلسلها رابع أو خامس امرأة دخلت الإسلام، ومن المؤكد أنها من العشرة الأوائل الذين صدّقوا بنبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، إلّا أن الصفدي بيّن أنها مع زوجها الذي كان ثالث من أسلم من الرجال بعد الإمام علي وزيد بن حارثة[٣].

إلاّ أن من المتعارف عليه أن جعفر عليه السلام كان ثاني من أسلم، لقول أبي طالب له: تقدم وصل جناح ابن عمك، بعد أن رأى الإمام عليًا عليه السلام يصلي عند يمين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

وقد أشار ابن كثير إلى أن جعفر عليه السلام وامرأته أسماء كانا من السابقين الأولين في الإسلام[٥]، وأشار الإمام الباقر عليه السلام إلى قول جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن أسماء بنت عميس من أهل الجنة، إذ قال عليه السلام: (رحم الله الأخوات من أهل الجنة أسماء بنت عميس، وسلمى بنت عميس، وميمونة بنت الحارث وغيرهنّ)[٦].

ونستبعد أن تكون أسماء مشركة لكون جعفر عليه السلام متزوجاً منها قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي يتمتع بخصال أخبر الله سبحانه وتعالى عنها، ومنها أنه لم يسجد لصنم[٧] لعلمه بأنه لا يضر ولا ينفع، والتأكيد على ذلك إشارة كتاب الحق والعدل، والمنزل من الله عزوجل على نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم وبآيات مباركة فيها إشارة إلى الرجال الكبار من المسملين الأوائل ومنهم ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب عليه السلام كالآيات: (٢٥البقرة) و(٦٩ الشعراء) و(٨٢المائدة) وغيرها الكثير[٨].

وما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأحاديث مبجله تثبت أن جعفرًا عليه السلام كان جزءاً منه، إذ خلق وإياه من شجرة واحدة وطينة واحدة[٩].

علاقة أسماء بالنبي ﷺ وابنته الزهراء عليها السلام:

أتت أسماء إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، فقال ﷺ وممّ ذلك؟ قالت: لأنهنّ لا يذكرنّ بخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى: (الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ)[١٠].

عاشت أسماء في رحاب الإسلام، وأجواء المحبة والوئام، إذا أنها تدّرجت في مراقي الكمال من خلال رؤيتها لزوجها جعفر عليه السلام يقف إلى جانب صاحب الدعوة، ويتخذ من قضيته قضية له، ويتحمل جزءاً كبيراً من أعباء مسؤوليتها. مع التأكيد أنها استفادت كثيراً من مكارم أخلاق أهل البيت عليهم السلام، حيث إنها عاشت فترة من الزمن إلى جانب فاطمة بنت أسد أم زوجها جعفر الطيار عليه السلام، فاكتسبت منها الكثير وغرفت من منهلها الوفير، الأمر الذي جعل أسماء تبقى على وفائها لأهل البيت عليهم السلام رجالاً ونساء، حتى وإن تزوجها أبو بكر، فقد ظلت وفيّة لأهل البيت عليهم السلام لاسيما فاطمة الزهراء عليها السلام.

لها مع عمر بن الخطاب مجادلة تنم عن شدة قوتها، وشجاعتها، إذ عندما قدمت من الحبشة قال لها عمر: الحبشية هذه، البحرية هذه، قالت أسماء: نعم. قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم. فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وأيم الله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله والله، لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا، قال: فما قلت له؟ قالت: قلت له كذا وكذا، قال ﷺ: ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان)[١١]. وفي الصحيح عن أبي بردة عن أسماء أن النبي ﷺ قال لها: (لكم هجرتان وللناس هجرة واحدة)[١٢]، حيث كان لأسماء دور مهم في الحبشة، وذلك من خلال علاقتها وقربها من أسرة ملك الحبشة نفسه.

إذ روي أنه ولد للنجاشي ولد سماه محمد، وقد سقته أسماء من لبنها[١٣]، فضلاً عن ذلك أن النجاشي أسلم على يد زوجها جعفر عليه السلام [١٤]، وبما أنها من حفظة القرآن وروت الحديث عن رسول الله ﷺ فقد كان لها دور مهم وتأثير مؤكد على أسرة النجاشي نفسه ونساء الحبشة.

عادت أسماء مع زوجها جعفر إلى مدينة رسول الله ﷺ بعد مقدمه من خيبر سنة (٧هـ)، فاعتنق النبي ﷺ جعفرًا وقبل بين عينيه، وقال :(لست أدري بمن أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر)[١٥]، وروي عن أسماء أنه عندما استشهد جعفر عليه السلام بمؤته في جمادى الأولى سنة ٨هـ ، قالت : دخلت على رسول الله ﷺ فقال: ائتيني ببني جعفر، فأتيته بهم، فشمهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال ﷺ: نعم أصيبوا هذا اليوم. قالت: فقمت أصيح واجتمع إلى النساء وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال:

لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم[١٦].

رثت أسماء زوجها جعفر عليه السلام:

يا جعفر الطيار خير مصرف
للخيل يوم تطاعن وشياحِ
قد كنت لي جبلا ألوذ بظله
فتركتني أمشي بأجرد ضاحِ
قد كنت ذات حمى ما عشت لي
أمشي البراز وأنت كنت جناحي
وإذا دعت قمرية شجنا لها
يوما على فنن بكيت صباحي
فاليوم أخشع للذليل وأتقي
منه وأدفع ظالمي بالراحِ[١٧]

وقد احتجت فاطمة عليها السلام بشهادة أسماء وأم أيمن عند اغتصاب حقها إذ غدت (صارت) تحسو رحيق الهم بعد وفاة والدها صلى الله عليه وآله وسلم حيث تشاهد الاعوجاج يسود أمة أبيها، والأغلب غير مكترث بغصب حقها وأخذ فدك منها، والتي أهداها أبوها لها.

ورغم الخطوب كانت الزهراء عليها السلام تثبت أحقيتها بذلك دون الخوف والارزاء المحيطة بها، إذ وبخت من يرفض هذه الشهادة بقولها: (ألم تسمعا من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أسماء بنت عُميس وأم أيمن من أهل الجنة)[١٨]. ورغم أن أسماء كانت في تلك الفترة زوجة لأبي بكر تزوجته بعد جعفر، إلّا أنها شهدت للزهراء عليها السلام دون خوف أو وجل، بل كانت تقوم بخدمتها كأم رؤوم (إن أسماء كانت ذات شجاعة في المواقف وذلك يدل على نضج في عقلها، وغزارة في فهمها ومعرفة الأمور)[١٩]. فنفذت أسماء وصية الزهراء عليها السلام بكل أمانة، ورغم الأسى الشديد الذي أصابها غسلتها مع الإمام علي عليه السلام ولم تسمح بدخول أحد عليها حتى عائشة، هذا يوحي أنها ذات شجاعة نادرة في المواقف، لذا بقي لها الذكر الحسن والثناء الجميل والتأريخ المشرق.

وقد حمّلت الزهراء عليها السلام أمانة بالقول: (سيدتي قد أقبلت على أبيك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقرئيه عن أسماء بنت عُميس السلام)[٢٠]، وقد كانت تمرض الزهراء عليها السلام[٢١].

أولادها:

ولدت من زوجها جعفر عليه السلام في الحبشة ثلاثة أولاد وهم:

١ـ عبد الله بن جعفر الطيار: وهو الابن الذي مسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رأسه وأبنه وعزّاه باستشهاد أبيه ودعا له بخلف أبيه وقد بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الحسن والحسين وهم صغار.

وتزوج السيدة زينب عليها السلام مما وسع الجذور التي تغذيه، والعناية الإلهية التي تحميه، والفكر الذي يحويه فأصبح بحر الجود والمكرمات وقطب السخاء والعطاءات، وقد زرع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه الشجاعة والمهابة والحكمة.

توفي عبد الله بن جعفر عام الجفاف (٨٠هـ)[٢٢].

٢ـ محمد بن جعفر: ولد في الحبشة، وقدم مع أبويه أثناء انتصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معركة خيبر سنة (٧هـ). قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، قتل محمد في معركة صفين سنة ٣٨هـ وذلك عندما التقى مع عبيد الله بن عمر بن الخطاب، فقتل كل واحد منهما صاحبه[٢٣].

٣ـ عون بن جعفر: ولد في الحبشة، وقدم به أبوه في انتصار غزوة خيبر. وقال عنه رسول الله ﷺ: (هذا شبيه أبيه خَلقاً وخُلقاً)[٢٤]، حضر مشاهد أمير المؤمنين عليه السلام كلها، وبعد استشهاده التحق بالإمام الحسن عليه السلام وبعد شهادته التحق بالإمام الحسين عليه السلام وهو من رموز قادة المجاهدين بين يديه، تزوج أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام.

ساهم في معركة الطف بعد أن عقر فرسه مثل أبيه[٢٥] واستشهد فيها.

٤ـ محمد بن أبي بكر: أنجبته بعد زواجها من أبي بكر وذكره الرسول ﷺ قبل ولادته، إذ قال: إن أسماء تحمل من أبي بكر بغلام وتسميه محمد يجعله الله غيظاً على الكافرين والمنافقين[٢٦]، وهو ربيب الإمام علي عليه السلام وخريج مدرسته، وجارياً عنده مثل أولاده. رضع الولاء والتشيع مذ زمن الصبا، وقد قال أبو عبد الله عليه السلام: أتته النجابة من قبل أمه أسماء رحمة الله عليها لا من قبل أبيه. واستشهد على يد أزلام معاوية في مصر ومثل بجثمانه الشريف فوضع جثمانه في جوف حمار ميت وأحرق بالنار سنة ٣٨ هـ[٢٧].

٥ـ يحيى بن علي عليه السلام: تزوج أمير المؤمنين عليه السلام بأسماء فولدت له يحيى، مات وهو طفل.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن أسماء تزوجت رجالاً من المسلمين، كان لهم الدور الواضح في الحياة الإسلامية، فلا ضير إن كانت من أصحاب العقول ولا تعتري من حوائج الذلة (كانت أسماء من أصلح المسلمات ومن أوفرهن شجاعة وأعمقهن إيماناً)[٢٨]، لذا حصدت منزلاً صالحاً مرضياً، وإضافة إلى ما تقدم فإن أسماء روت بعض أحاديث رسول الله ﷺ ومنها:

أولاً: روي عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبيّ بعدي)[٢٩].

ثانياً ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما يحفر لأمتي من القبور من العين[٣٠].

ثالثاًـ وعنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: إن من شقاء المرء في الدنيا ثلاث: سوء الدار، وسوء المرأة، وسوء الدابة، قيل يا رسول الله وما سوء الدار؟ قال: سوء ساحتها وخبث جيرانها، قيل وما سوء الدابة؟ قال: منعها ظهرها وسوء خلقها، قيل فما سوء المرأة؟ قال ﷺ: عقم رحمها وسوء خلقها.

رابعاً ـ أوردت أسماء رواية رد الشمس للإمام علي عليه السلام فبيّنت أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي يغشى عليه، فأنزل عليه الوحي يوماً وهو في حجر علي عليه السلام فقال رسول الله ﷺ لعلي: صليت العصر؟ قال لا يا رسول الله، فدعا له فردت الشمس حتى صلى، وتضيف بخصوص ذلك فتقول: فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حيث ردت حتى صلى العصر[٣١]. وقال ابن حزم أنها روت ستين حديثاً[٣٢]. وقد روى عنها عمر وابن عباس وعبد الله بن جعفر وغيرهم، وقد كانت يوكل إليها أثناء الغزوات ملء قِرَب الماء ومداواة الجرحى وإعداد الأطعمة لجيش الرسالة.

وفاة أسماء:

قيل أنها توفيت سنة (٣٨هـ)[٣٣]. وقال بعضهم بعد استشهاد ابنها محمد بن أبي بكر وما صنع فيه في مصر (إذ قامت إذا إلى مسجدها وكظمت غيظها

حتى تشخبت دماً[٣٤] وقيل بعد الستين هجرية[٣٥].

وأقوى الروايات بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام حيث ذهبت إلى بيتها في المدينة وماتت هناك وفي كل الأحوال فإنها ملأت حياتها بالوفاء والنبل والجهاد والصبر لذا ندعو لها بحسن المآب■

١- ابن حجر، الإصابة، ج٨، ص١٤.
٢- ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥ ص٤٧٩.
٣- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٧١.
٤- محمد جواد الغبان، جعفر بن أبي طالب، ص٥٣.
٥- ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٤٣٥.
٦- محمد التستري، قاموس الرجال، ج١٢، ص١.
٧- الصدوق علل الشرائع، ج٢، ص٧٣٥، والفتال النيسابوري، روضة الواعظين ص٢٦٩.
٨- توجد الإشارة إلى ذلك بإسهاب في كتابنا بحر الجود وقطب السخاء عبدالله بن جعفر.
٩- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص١٠.
١٠- الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٥٨.
١١- البخاري، صحيح البخاري، ج٥ص٨٠.
١٢- ابن حجر، الإصابة، ج٨ ص٩ كتاب النساء.
١٣- ينظر: الطبرسي، أعلام الهدى، ج١ ص١١٧.
١٤- الصفدي، الوافي، ج١١ ص٢١.
١٥- ابن سعد، الطبقات، ج١١، ص٣٤ وابن هشام السيرة، ج٩؟ ص٨٦٩.
١٦- مسند أحمد بن حنبل/ج٦ص٣٧٠.
١٧- ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٢٤٨، والمزي، تهذيب الأحكام، ج٥ ص٦٣.
١٨- محمد علي المعلم، جعفر بن أبي طالب رحيق النبوة وشذا الإمامة ص٦٩٩.
١٩- الإربلي، كشف الغمة ج١ ص٥٠٣- ٥٠٤.
٢٠- حسين الشاكري، موسوعة المصطفى والعترة، ج٢٤، ص٣٤٢.
٢١- المفيد، الأمالي، ص٩٨.
٢٢- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤ ص٢٤٤.
٢٣- المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٩٩.
٢٤- الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٥، ص١٥٥.
٢٥- ابن شهر آشوب، المناقب، ج٤ ص١١٦، والمجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٦٨.
٢٦- ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج٦ ص٨٨.
٢٧- ابن عبد ربه، الاستيعاب، ج٣، ص١٣٦.
٢٨- محمد كامل الحسن، عظماء الإسلام، ص٧٩.
٢٩- الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٢ ص٢٢٠.
٣٠- المتقي الهندي، كنز العمال، ج٦، ص٧٤٦.
٣١- ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦ ص٨٦، وابن عساكر، تاريخ، ج٤٢، ص٣١٤.
٣٢- ابن حزم، أسماء الصحابة الرواة، ص٥٦.
٣٣- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩ ص٣٤.
٣٤- ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج٦ ص٨٨.
٣٥- المجلسي، بحار الأنوار، ٤٣ ص٢٦- ٢٧.

قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام:

ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى.

تحف العقول / ابن شعبة الحراني / ص٤٠٩

ظلامة الزهراء... بين خطاب التذويب... وشعار التقريب

السيد علي الدزفولي

ينابيع تاريخ كل أمة من الأمم هو بمثابة الروح التي تمد أبناءها بالحياة في حاضرهم ومستقبلهم. وإن دراسة التاريخ لهذه الأمة أو تلك ضرورة ملحة لمعرفة السبل التي سلكها الأسلاف والاستفادة منها في تصحيح المسارات الماضية إن كانت سيئة وتحاشي ارتكاب ذات الأخطاء التي ارتكبها الماضون، وتطويرها والتمسك بها إن كانت حسنة ورسم خطوط لسير تلك الأمة لمستقبل أجيالها.

وخلال تلك الدراسة يصطدم الباحث بحقائق تاريخية سلبية بل جرائم تاريخية، تجعله في حيرة من أمره، هل يغض الطرف عنها ويتجاهلها إرضاءً لفئة من الناس لازالوا متمسكين بمرتكبيها كقدوات يقتدى بهم؟ وبذلك تبطل الجدوى من دراسة التاريخ لمعرفة أخطاء الأسلاف وتحاشي السير على خطاهم، بل وتصحيح المسارات لنهوض الأمة في مستقبلها. أم يقتحم تلك الحقائق دراسة وتمحيصاً مهما كلف الأمر، لأن حاضر الأمة ومستقبلها متوقف على معرفة تلك الحقائق والاستفادة منها؟

ومن الحقائق التاريخية للباحث الإسلامي هي الوقائع والأحداث التي حصلت بعد رحيل نبي هذه الأمة صلى الله عليه وآله وسلم، وباكورة تلك الأحداث هي ظلامة الزهراء سلام الله عليها، وبناءً عليه سنتناول هذه المسألة عبر نقطتين:

الأولى: قراءة سريعة لأشكال الخطاب العام المتناول لمفردات التأريخ الإسلامي بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

الثانية: ظلامة السيدة الزهراء عليها السلام والقراءة المناسبة لها.

بيان النقطة الأولى:

إذا قمنا بجولة خاطفة للتعرف على أشكال الخطاب ومناهج التعاطي مع أحداث التاريخ وخصوصاً بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإننا سنشاهد في الفضاء العام الأنماط التالية:

١ـ الخطاب التذويبي والمنهج الإقصائي لكل مفاصل الحدث التاريخي والتركيز على بناء الحياة وفق النظم المعاصرة والآليات الحالية فقط وفقط، وذلك لأن التاريخ الذي ورثناه لم نجنِ منه إلّا الصراعات ولم يترتب عليه إلّا النزاعات، وأمامنا واقع المسلمين المتقهقر وحاضرهم المتخلف المتدهور، والحل هو قطع الصلة مع الماضي والتحرر من ربقته وتبعاته، وتركيز النظر على الحاضر والمستقبل، ومن ثم يحصل التقدم والتطور.

٢ـ الخطاب التقريبي والمنهج الانتقائي لمفردات الحدث التاريخي:

وهذا المنهج لا يتقاطع مع التاريخ ويشعر بضرورة التواصل معه ولكن ضمن منهج انتقائي مبني على البيان الثاني:

إن التاريخ الإسلامي أرشيف عظيم وكتاب كبير يشتمل على أحداث وتحركات أسست لما بعدها من نظم وبناءات ثقافية واجتماعية وأخلاقية وفكرية، وهو في الوقت الذي يحتوي على الأحداث المؤثرة في بناء الكيان الإسلامي العام وتقوية شوكة

المسلمين، يحتوي أيضاً على الأحداث المثيرة للجدل والفرقة وإضعاف الكيان الإسلامي الكبير، وهنا لابد من التركيز على الأول وحذف النمط الثاني، وإن كان فيه ظلامات وتضييع لحقوق الناس وتغييب جملة من المبادئ الهامة، فالشيء المركزي هو توحيد صفوف المسلمين وتقوية اجتماعهم العام وإن استلزم تقديم صورة ناقصة عن منظومة الدين المتكاملة.

٣- الخطاب التفعيلي الصارخ والمنهج المثير لكل مفاصل الحدث التاريخي وبأشد الأساليب وأحرجها من دون أي مجاملة وعناية لحفظ الواقع الإسلامي العام والكيان الديني الكبير، بل الشيء المركزي هو حفظ الحقيقة وتحديد جهة الحق ورموزها وضبط جهة الباطل ورؤوسها وتسقيطها باللسان الفصيح الصريح الفاقد لخلقيات التحاور وآداب الخطاب والمناظرة المتعارفة في الوسط الديني والإنساني العام.

٤- الخطاب التفعيلي والمنهج المثير لمفاصل الحدث التاريخي في الفضاء العام مع رعاية العقلانية والأدب في الحوار، وذلك لأن التاريخ كما سبق أرشيف عظيم يحدد مسارات الأمة وتوجهها ومسؤول عن تراجعها وتقدمها، وهذا الأمر ليس حكراً على التاريخ، بل أغلب ظواهر الحياة العلمية والسلوكية هي عبارة عن جهود متراكمة البدايات منها تؤسس للتوالي والنهايات، وهذه الواقعية مُسلّمة إنسانيًا، حيث نجد الدول المعاصرة والشعوب المتحضرة - ضمن معايير اليوم - تعتز بتاريخها وتهتم بأرشفة أحداثها وتركيز أصالتها وانتماءاتها السابقة، وفي الوقت ذاته تُقيِّم ما حصل وتُدرِّس ما وقع لضمان عدم الوقوع في التراجع والتخلف.

وكذا نشاهد القرآن الكريم وهو آخر الكتب السماوية يركز على أحداث شخصية وأممية لها تأثيرها السلبي أو الإيجابي في الأمم اللاحقة، وما على المتلقي لذلك الحدث إلّا الاعتبار والتأمل ليجتنب المساوئ والرذائل ويكتسب المحاسن والفضائل، وبعبارة أخرى فإن التاريخ في نظر المنهج عبارة عن وعاء فيه المنقذ المصلح، وفيه المفسد، فيه المرض، وفيه العلاج والمعالج، ومن ثم لا يقبل تعتيماً ولا تغييباً لأحداثه، وأي محاولة من هذا القبيل هي عبارة عن دفن الانحرافات وتركيز الأمراض، وتسوية بين المخلص والمنقذ وغيره.

وستبقى الأمة في دوامة التراجع والضلال، هذا كله من زاوية المضمون والمادة التاريخية التي يراد عرضها، وأما زاوية العرض والأسلوب والأداء لذلك المضمون في الفضاءات العامة، فإنه يراعي عدة توازنات زمانية ومكانية والآداب المتعلقة بالمناظرات والاحترامات الضرورية مع تركيز منطق العقل والبرهان والدليل والمنهجية العلمية والمشاركة في المحافل الرسمية والمراكز العلمية مع تيسر الفرص وإحراز المنفعة.

وهنا يأتي التساؤل عن ميزة هذا المنهج عن بقية المناهج؟

الميزة لهذا المنهج في ضمانه للأبعاد التالية:

أ - الحفاظ على الحق وإبقاء الحقيقة حية من خلال التركيز على كل أحداث التاريخ وضبط الأحداث المؤثرة في مسار الأمة.

ب - الحفاظ على الاجتماع الإسلامي وتأليف القلوب وجذب العقول بالحوار

العقلائي والأسلوب العلمي الممنهج.

ج ـ الحفاظ على الجماعة المؤمنة وتحصينها الفكري والأمني، وعدم تعريضها للمشاكل والملابسات المعقدة المتعارفة التي ترتبت على الأسلوب الثالث.

إن قيل إن هذا كله لا يقلع جذور الاختلاف فيبقى هناك فرقة نسبية وتشرذم ما، وبالتالي لا يكون هذا الأسلوب هو الأمثل؟

نعم لا ينكر بقاء هذا المقدار، والمسؤول عنه مَنْ فرّق الأمة وحرّف الحق عنه أهله، وليس أهل الحق والمبدأ.

بيان النقطة الثانية:

(ظلامة الزهراء عليها السلام والقراءة المناسبة لها)

في بداية تشكيل تاريخنا الإسلامي بُعيد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم حصلت العديد من الأحداث ووقعت جملة من القضايا المختلفة التي ترتبط بواقع الأمة وتمس مصيرها ودينها وثقافتها وغير ذلك، ولكن هذه الأحداث لم تك بمستوى واحد من الأهمية والمنزلة، بل بعضها يحتل موقع الصدارة ويشغل الواجهة كلها، وآخر أنزل منه وأبعد عن تلك الموقعية، ومن أهم الأحداث التي أخذت موقع الصدارة هو ما جرى بُعيد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، بل قبل أن يدفن في ملحودة قبره صلى الله عليه وآله وسلم من تصدي جملة من القوم لترتيب أوراق السلطة والزعامة وتغيير مسار الأمة وحرفه عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو المرجع الحقيقي والحصري بحسب منطق العقل والنقل إلى شخصيات أخرى ومرجعيات بديلة معروف تاريخها وحجمها العلمي والخلقي.

وهنا لابد من وقفة لنتأمل أكثر في حجم هذا الحدث لأنه حدث عظيم وكبير بكل ما للكلمة من معنى، حيث سيتحدد به مصير الأمة دينياً وخلقياً وثقافياً وكيانياً، وبعبارة أخرى إن مشروع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته الخاتمة الخالدة ستكون بيد من يأتي بعده صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كان أهلاً بقي المشروع، وإن لم يكن فالمشروع يتحطم والانقلاب يحصل، وتبدأ الأمة بالعودة إلى تأريخها الجاهلي ومنطق الغاب الذي أخرجها منه صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن هذه المرة بلباس الإسلام.

والذي حصل ويأليته لم يحصل هو الانقلاب على الأعقاب، كما أخبر القرآن بذلك فيما سبق (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**)(آل عمران:١٤٤)، ثم استلاب السلطة من أبي الحسن عليه السلام، وجرها قسراً إلى غيره باستخدام منطق القوة والتحايل والغدر، ومن ثم تصدروا الزعامة وجلسوا مجلس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والناس بدأت تلتف حولهم بمنطلقات مختلفة، المهم الآن ما هي الخطوة اللاحقة بعد ملاحظة التالي:

أ ـ الدين والإيمان لابد أن يُحفظا ويُخلدا.

ب ـ الخلافة والزعامة لن تعود لأمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم إلا بمنطق القوة، وهذا الخيار غير منطقي لأسباب متعددة، وهو عليه السلام موصى أيضاً بعدم اختياره.

وبالتالي يعود السؤال من جديد ويتركز: من الذي يضمن حفظ الدين وبيقي الإيمان مستمراً وينقذ الموقف إنقاذاً نسبياً بحيث يلقي الحجة على الجميع في زمان الحدث وبعده إلى يومنا هذا بل ما دامت الدنيا، وإلّا ما قيمة الحركة والموقف المؤقت من أجل مشروع دائم؟! وهنا يظهر المنقذ والمخلص، ولكنه من صنف النساء، سيدة

معصومة وابنة سيد الكائنات ﷺ تتصدر المواجهة وتعلن الحركة المضادة لكشف أوراق القوم وتنبيه الجميع وإيقاظ الكل حول خطورة ما حصل، وذلك عبر منطق التضحية والمظلومية والفداء الذي يتجاوز وقعه حدود الزمان والمكان، وبه يبقى المشروع ويدوم الحق، وتقام الحجة على الكل.

فما جرى لها سلام الله عليها بعد المعارضة يعجز الإنسان عن تصوره، فمن جهة: هي سيدة نساء العالمين، وبرضاها يستكشف رضا الله تعالى، وبغضبها نعرف غضبه، ولم تستخدم غير منطق القرآن والسنة والفطرة، ومن جهة أخرى أن من خرجت ضده كان بيده العباد والبلاد، وهو المسؤول عن حقوق أقل الناس، فكيف بأعظم إنسانة وأشرف كائن في عصره، فكيف كان الرد، وكيف تمت المقابلة، قوبلت بما هو معروف من غصب فدك، والمنع من البكاء على أبيها سيد المرسلين ﷺ، والهجوم على الدار والإحراق أو التهديد به، وإسقاط الجنين وكسر الضلع، والتكذيب والتشديد عليها، والقائمة تطول، إلى أن أوصت أن تشيع وتدفن سراً ويخفى قبرها، لكي يبقى السؤال والاستفهام عن تلك الظلامة وأسبابها، وعندما يأتي الجواب ستتميز المرجعية الحقة من المرجعية المزيفة، وبه يعرف الإسلام الحقيقي عن الإسلام الظاهري، الذي أسس لكل الحركات المنحرفة التي تتجدد يوماً بعد يوم وبمسميات مختلفة، إلى يوم الناس هذا وما هي إلّا وليدٌ لذلك الانحراف.

وعموماً ظلامة السيدة الزهراء عليها السلام لا يبرزها إلّا الشكل الرابع من الخطاب، فلابد من تفعيلها في الفضاء العام بمنطق البرهان والفطرة والقرآن والسنة لأن بأحيائها إحياء للإسلام والإيمان، وبإماتة قضيتها إماتة الدين والإيمان، فظلامتها تنبه العقول وتكسر القلوب وتجذبها نحو الحق.

وإن قال قائل إن بقيتم مصرين على ذلك، فإنكم حفظتم الحق بإحياء ذكرها وظلامتها عليها السلام، ولكنكم ضيعتم التعايش ووحدة المسلمين وكيانهم، وهو من ثوابت الدين وأسس الشرع المبين؟؟

وهذا الكلام صحيح من جهة وباطل من أخرى، فالوحدة المطلوبة لا تعني الاتفاق على الباطل والإعراض عن المنقذ والمخلص والمصلح، بل هي تعني الوحدة بمستوى التعايش والمجاملات الاجتماعية والأدب في طرح القضية واختيار الأسلوب المؤثر لا المنفر في تبني الحدث وتسويقه، وإن داهم الإسلام خطر فلابد من توحيد الصف والوقفة مع كل المسلمين.

وأتباع فاطمة عليها السلام من يومهم الأول إلى يومنا هذا كخط عام ما وقفوا ضد الإسلام ولم يسفكوا الدم الحرام بمسميات الدين والشرع، رغم تعرضهم لأبشع جرائم القتل والتنكيل، بل واستهداف مقدساتهم وتفجيرها من قبل متبني خط السقيفة.

وحسبكم هذا التفاوت بيننا

وكل إناء بالذي فيه ينضح

وإن قال قائل: لم لا يبقى الأمر في دائرة المتخصصين والعلماء حتى نجنب الأمة سوء الفهم وتداعيات النتائج المختلفة؟؟!

وجواب ذلك: إن القضية قضية دين يراد له الخلود، وإيمان يراد له الانتشار، ومطلوب من كل المسلمين أن يتبنوا موقفاً

قلبياً وفكرياً وسلوكياً مما حصل، والحياد لا يُقبل، لأن كلاً من الفريقين يقدم منظومة مختلفة عن الأخرى، وعلى ضوئها يتم بناء الحياة الدنيا والآخرة، ليست القضية تخصصية قابلة للتضييق والحبس والتأجيل، فإما هداية وإما ضلالة، وإما ثبات وإما انقلاب على الأعقاب.

وقضية السيدة الزهراء عليها السلام وتركيز ظلامتها تتكفل بذلك وتتعهد بتخليد وتحديد المرجعية الحقيقية التي بها يحفظ كيان الإسلام، ويقوى صرح الإيمان، وبتفعيل ظلامتها تنتبه العقول وتنشد القلوب صوب أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين عليهم السلام، ومن ثم تخرج الأمة عن الانحراف والتيه الذي حل بها.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من محبي فاطمة عليها السلام والثابتين على خطها، والمنتصرين لقضيتها وأن يثبتنا على البراءة ممن ظلمها وحاربها بالأيدي والألسن إنه سميع الدعاء.

من أقوال الإمام الباقر عليه السلام:

(إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى لَمْ يَدَعْ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْه الأُمَّةُ إِلَّا أَنْزَلَه فِي كِتَابِه، وبَيَّنَه لِرَسُولِه صلى الله عليه وآله وسلم وجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدّاً، وجَعَلَ عَلَيْه دَلِيلاً يَدُلُّ عَلَيْه، وجَعَلَ عَلَى مَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ الْحَدَّ حَدّاً)

(الكافي/ للكليني/ ج١ ص٥٩)

واحة الأدب

شاعر وقصيدة...

العلامة الشيخ عبد الحسين الأعسم

ومرثيته الرائية

إعداد: الحاج عبد الرزاق الأعسم

ينابيع

النجف الأشرف مدينة أمير المؤمنين عليه السلام، حاضنة باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، المدينة الولّادة، للعلم والعلماء، والفقه والفقهاء، والأدب والأدباء، أنجبت أفواجًا من رجال الفقه والعلم والأدب والعلوم كافة. وممن أنجبتهم هذه المدينة المعطاء من العلماء والأدباء المشهورين هو العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الأعسم (رحمه الله).

هو الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ محمد علي بن حسين بن محمد الزبيدي النجفي الشهير بالأعسم. عالم كبير وشاعر شهير... ولد في النجف سنة ١١٧٧هـ ونشأ بها على أبيه، وكان من أكبر أولاده، فدرس عليه المقدمات وحضر أخيرًا مع والده عند أساتذته كالسيد مهدي بحر العلوم، وبرع في كافة الميادين التي جرى فيها والده وشاركه في مختلف الجلسات الأدبية، واشتهر في وسطه كعلم يُشار إليه بالأكف[1].

كان عالمًا فقيهًا، محققًا مدققًا، مؤلفًا أديبًا شاعرًا. معاصرًا للشيخ محمد رضا وأبيه الشيخ أحمد النحويين وآل الفحام، وله مراث في سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام مشهورة متداولة،...ذكره صاحب الحصون المنيعة، وأطراه وجاء بنماذج من شعره في مختلف المقاصد، وذكره الشيخ عبد الحسين الحلي في مقدمته لشرح منظومة والده في الإرث، المطبوع بالنجف سنة ١٣٤٩هـ، وقال: رأيت له من الآثار العلمية الخالدة عند بعض آل الأعسم كتاب (ذرايع الافهام في شرح شرايع الإسلام) في ثلاثة أجزاء تدل على سعة إحاطته ودقة نظره، وهذا الشرح الوجيز لتلك الأراجيز شاهد صدق على ذلك لمن أعطاه حق النظر، وذكره صاحب

(الطليعة) فقال: كان فاضلاً كأبيه وأمتن شعرًا منه، له في الحسين عليه السلام (روضة) تشتمل على الحروف مشهورة وشرح أرجوزة لأبيه في المواريث ومدائح ومراث كثيرة. توفي سنة ١٢٤٧ هـ بالطاعون العام في النجف الأشرف عن عمر يناهز السبعين، ودفن مع أبيه في مقبرة آل الأعسم[٢].

كان بالإضافة لشاعريته الفذة عالمًا وفقيهًا شهيرًا، إلّا أن سمعته الأدبية حجبت سمعته العلمية، لأنه أصبح من الشعراء البارزين في رثاء سيد الشهداء عليه السلام، وقد قال في مدحه كبار العلماء والكتاب. وهذه بعض الأقوال بحقه:

قال عنه صاحب (ماضي النجف وحاضرها):

(...وكان أشهرهم في العلم والأدب فخلف أباه في كل مزاياه وشابهه في كل فضيلة، كان عالمًا، عاملاً، فقيهًا، أصوليًا، ثقة، وكان بليغًا، لبيبًا، وشاعرًا، مجيدًا، وهو أمتن شعرًا من أبيه وأغزر أدبًا، له ذكر يتجدد ببقاء المنابر الحسينية، وسُمعته باقية ببقاء الأدب، له روضة في الإمام الحسين عليه السلام تشتمل على الحروف مشهورة، وله مدائح للأئمة ومراث كثيرة في الإمام الحسين عليه السلام مطبوعة ...)[٣].

وقال عنه صاحب (معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء):

(...عالم محقق، فقيه، شاعر، أديب، وكامل أريب، سريع البديهة، عربي صميم، وربما قيل إنه أعلم من أبيه ... وأشعر، مدحه جُلّ المعاصرين بالعلم ودقة النظر ... واستحدث كثيرًا من كتابه الذرائع بعض عظمائنا ممّن تأخر عنها من مؤلفي الكتب المشهورة نقلاً وتفصيلاً)[٤].

وقال عنه السيد محسن الأمين في الحصون المنيعة:

(...كان عالمًا فاضلاً حاويًا لجملة من العلوم وأديبًا شاعرًا ... وله روضة كبيرة في مراثي آل البيت عليهم السلام عدا ما نظمه ... في قوافي مختلفة[٥] ... كان شاعرًا ماهرًا أديبًا لبيبًا من شعراء أوائل القرن الثالث عشر وكان في الطبقة التي هي حلف النحويين وآل الفحام، وله روضة كاملة في رثاء الحسين عليه السلام)[٦].

وقال صاحب (الطليعة من شعراء الشيعة):

(...كان فاضلاً مشاركًا في الفنون، وأديبًا ناظمًا للمحاسن والعيون، وشاعرًا نائحًا أهل البيت عليهم السلام، معروفًا بذلك معرفة الكميت،...وصنف في الفقه...ومحاسنه لا تنتهي)[٧].

وكذلك قال السيد الأمين في أعيان الشيعة:

(...كان عالمًا فقيهًا أصوليًا ثقة محققًا مدققًا مؤلفًا أديبًا شاعرًا مفلقًا مشهورًا يفضل على أبيه في الشعر وكان معاصرًا للشيخ محمد رضا وابنه الشيخ أحمد النحويين وآل الفحام. تخرج على أساتذة أبيه السيد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، وقرأ على المحقق السيد محسن الأعرجي الكاظمي صاحب المحصول، وشرح منظومات والده الثلاث في المواريث والرضاع والعدد بأمره، وطبعت مع الشرح، وخلفه في

كل مزية له فاضلة، ... وله مراث في سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام مشهورة متداولة، ومنها قصائده التي على ترتيب حروف المعجم، وشهرتها تغني عن الإطالة بنقلها، وأوردناها في كتابنا الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد)[٨].

وقال عنه صاحب الطبقات:

(...كان فقيهًا بارعًا وعالمًا جليلًا وتقيًا ورعًا ... من أعلام النجف الأفاضل آنذاك بلغ في الفقه والأصول مكانة سامية، وخلّف والده على فضله ومزاياه)[٩].

وغير ذلك مما ورد في ترجمته لدى كبار مترجمي أعلام الشيعة[١٠].

ومن قصائده التي رثا فيها سيد الشهداء عليه السلام في عام (١٢٢٩هـ) هذه القصيدة الرائية كما في ديوانه المخطوط[١١]، التي يقول فيها:

لو كانَ سلوانَ قلبي عنك مقدورا ... ما كنت فيه بشرع الحب معذورا
من أيّةِ الطرقِ يأتيني السرورُ ولا ... تراك عيني قرير العين مسرورا
هيهات تأميلُ قلبي للمرَّةِ أو ... ألقاك جالبها جرداً محاضيرا
تُشفي بها غُللا تغلي مسيّرةً ... إلى انتدابك منظوماً ومنثورا
لا تشتهي النفس مسموعاً سوى نبأ ... عنها ولا تستلذ العين منظورا
واحرّ قلباه من طول انتظارك لا ... قاسيت من بعدك ذاك الصبر تأخيرا
شاطرْت آباءك البلوى وزدت بأن ... طالت عليك بعيد الدار مستورا
فكم ترى فيئكم نهباً وشرعكم ... ممزقاً وكتاب الله مهجوراً
أفدي الأولى بذلوا للدين أنفسهم ... مُلغينَ في جانب الله المحاذيرا
لم أدر أي رزاياهم أعددها ... هيهات لم أستطع عنهن تعبيرا
لولا رضاهم بما الرحمن قدّرَه ... عليهم لم يروا تلك المقاديرا
لهفي لمن ودّهم أجرُ الرسالة لم ... يروا سوى علم الشحناء منشورا
من مبلغ المصطفى استعمال أمته ... من بعده نسخ وحي الله بالشورى
جاشت على آله ما ارتاح واحدهم ... من قهر أعداه حتى مات مقهورا
قضى أخوه خضيب الرأس وابنته ... غضبى وسبطاه مسموما ومنحورا
أفدي غريب رسول الله إذا شخصت ... به من البيت كتبٌ ضُمْنَتْ زورا
سيم الدنية فاختار المنية لم ... يخطر على باله المحذورُ محذورا
تبت يدا ابنِ زيادٍ كيف يطمعُ في ... إذلالِ من لم يزل بالعزّ مذكورا
هو الحسين الأبي الضيم من شرعت ... علاه نهجا لصوت العز مأثورا
فازت بنصرته لله أسد شرى ... كانت مخالبها البيض المباتيرا
ترتاح للحرب لا تدري بأنفسها ... تلقى عدىً أم تلاقي خرّدا حورا

للّه كم لهم من سطوة تركوا ... بها ظهيرة ذاك اليوم ديجورا
وقوة حتى أبيدوا فاعتدى غرضاً ... للنبل من بعد ما كانوا له سورا
هناك دمدم ثبتَ الجأش محتقراً ... بشدة البأس هاتيك الجماهيرا
واستعظموه متى يهمز مطهمه ... على كتائبهم فرت مذاعيرا
ينقض مختطفاً كبش الكتيبة من ... ظهر الجواد اختطاف الباز عصفورا
يغشاهم فيخالون السما انطبقت ... على الثرى إذ غشت أطوادها القورا
لولا القضا كاد لا يبقي لآل أبي ... سفيان في الأرض ديارا ولا دورا
واهاً لتلك الأسود الغلب تنشبها ... أيدي المقادير تضميخاً وتعفيرا
إن نهنهتها المنايا عن فرائسها ... فبعد ما خضبت منها الأظافيرا
يا وقعة الطف كم أوقدت في كبدي ... وطيس حزن ليوم الحشر مسجورا
كأن كل مكان كربلاء لدي ... عيني وكلّ زمانٍ يوم عاشورا
لهفي لضام على شاطي الفرات قضى ... ظمآن يرنو لعذب الماء مقرورا
لاغرو إن كُسِفَتْ شمس الضحى أسفا ... على من اقتبسَتْ من نوره النورا
وأعولت في السما الأملاك مزعجة ... ضوضاؤها العرش تهليلا وتكبيرا
يا ليتَ عينَ رسولِ اللّهِ ناظرة ... رأس الحسينِ على العسالِ مشهورا
وجسمه نسجت هوج الرياح له ... ثوباً بقاني دم الأوداج مزرورا
إن يبقَ ملقىً بلا دفنٍ فإنَّ له ... قبراً بأحشاء من والاه محفورا
لم يُشفِ أعداه منه القتلُ فابتدَرَتْ ... تجري على جسمه الجرد المحاضيرا
يا عقّرَ اللّه تلك الخيل إذ جعلت ... أعضاءها لعواديها مضاميرا
ويل ابن آكلةِ الأكباد كم جلبت ... يداه للدين كسراً ليس مجبورا
لم يكفه قتله أبناء فاطمة ... حتى سبى الفاطميات المقاصيرا
لهفي على خفرات المصطفى هتكت ... أستارها بعد ما عُوِّدْنَ تخديرا
ينظرن أرؤس قتلاهُنَّ سائرة ... أمامها بينها السجاد مأسورا
من مبلغ المرتضى أن العدى صرعت ... أهليه نصفين مقتولا ومقهورا
مصيبة أسعرت في القلب نار جوى ... يزيدها مستمر الذكر تسعيرا
يا آل أحمد كم حلت فجائعكم ... وكاء عيني بدمع ليس منزورا
إن لم أحم برثائي هو قدركم ... فلستُ أدركُ بالمعسور ميسورا
رجوت منكم وإن لم يرضكم عملي ... عفواً يصافح وجه الذنب مغفورا
بكم وثقت فلن أخشى الذنوب إذا ... غدت ولايتكم للذنب إكسيرا
عليكم صلوات اللّه دائمة ... ما دام مجدكم في اللوح مسطورا

١ـ شعراء الغري/علي الخاقاني/ج٥ص٤٢.
٢ـ أدبـاء الطـف أو شـعراء الحسين/السـيد جـواد شـبر/ج٦ص٢٨٩.
٣ـ ماضـي النجـف وحاضرهـا /جعفـر محبوبـة/ ج٢ ص٢٧ ـ ٢٨.
٤ـ معـارف الرجال/الشـيخ محمـد حـرز الديـن/٢ ص٢٤.
٥ـ الحصـون المنيعة/السـيد محسـن الأميـن/ ج ٩ص٣٢١.
٦ـ ن.م/ج٢ص٤٦٦.
٧ـ الطليعـة مـن شـعراء الشيعة/الشـيخ محمـد السـماوي/ج٢ص ٢٨.
٨ـ أعيـان الشيعة/السـيد محسـن الأميـن/ ج ٧ص ٤٥٢.
٩ـ طبقـات أعـلام الشـيعة/أغا بـزرك الطهرانـي/ ص٧١٧.
١٠ـ وردت ترجمتـه فـي: الحصـون المنيعـة:٤١٩/١، ٩/٢، ٣٢١/٤٦٦، ماضـي النجـف وحاضرهـا: ٢٧/٢، الـروض النضيـر:٦٠ـ ٦١، أعيـان الشـيعة:٤٥٢/٧، الذريعـة: ١٠/٩، ٨٢/٢٣ـ١٦٨، ٤٥٤/١، ريحانـة الأدب:١٥٢/١، شـعراء الغـري: ٤٢/٥ـ٨٢، أدب الطـف: ٢٨٧/٦ـ٢٩٤، كتابهـاي عربـي:٩٢٥، الكـرام البـررة: ٤١١/١، الكنـى والألقـاب: ٤٣/٢، معـارف الرجـال: ٢٤/٢، معجـم المؤلفيـن: ٢٥٧/٩، معجـم المؤلفيـن العراقييـن:٢٣٢/٢، مـكارم الآثـار:١٣١٣/٤، هديـة الأحبـاب:٩٩، الأعـلام ط ٢٧٨/٣/٤، معجـم رجـال الفكـر والأدب فـي النجـف: ١٦٥/١ـ١٦٦... نقـلاً عـن كتـاب: (الطليعـة مـن شـعراء الشـيعة/ الشـيخ محمـد السـماوي /ج١ص٤٩٩/تحقيـق: د. كامـل سـلمان الجبـوري).
١١ـ لـه ديـوان شـعر نسـخته بـدار المخطوطـات فـي بغـداد برقـم (٢٩٤٠)، والروضـة فـي الشـعر.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

(من كان ظاهره أرجح من باطنه، خف ميزانه)

(الأمالي/ الشيخ الصدوق/ ص٥٨٠)

يد من وراء الغيب

الأديب والروائي: كمال السيد

ينابيع

في هذا العالم الذي يضج بصخب الحوادث، من الطبيعي ألّا ينتبه الإنسان إلى وجود عالم آخر مجاور، فالدنيا كبحر متلاطم الأمواج ولكن ما إن يغوص المرء تحت السطح حتى يشعر بالسكينة والجلال، وهكذا تكون الأعماق، فالحقائق كما اللآلئ لا توجد في سطح البحر وإنما تستقر في الأعماق.

وقد تمر بالإنسان حوادث ينتبه من خلالها إلى وجود ذلك العالم القائم وراء ستار الغيب، خصوصًا إذا علمنا أن لا شيء في عالم الوجود يحدث صدفة، بل بقدر مقدر...

وفيما يلي حكايتين في هذا المضمار:

الحكاية الأولى:

في مطلع شبابه ولاستكمال دراسته الدينية، هاجر العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب جهد تفسيري للقرآن الكريم (الميزان) من مدينة تبريز مسقط رأسه إلى مدينة النجف الأشرف، وكان يعيش حياة صعبة معتمدًا على ما تصله من معونات مالية مع قافلة تبريز.

وذات مرة تأخرت القافلة كثيرًا، وفي ليلة شتائية قارصة البرد جلس السيد الطباطبائي مهمومًا حائرًا وقد طار النوم من عينيه بسبب ما تراكم عليه من الديون، وكانت زوجه ورفيقة دربه ساهرة هي الأخرى لسهره تشاركه أرقه وهمومه!

اجتازت الساعة منتصف الليل، وفي مثل هذا الوقت تبدو المدينة مقفرة مهجورة، ما خلا الرياح الباردة تجوس الأزقة الملتوية حيث تصطف بيوتها المتواضعة.

كان السيد يتحدث بلهجة فيها تساؤل ولوم! لهجة فيها ما يشبه العتاب لله تبارك وتعالى!

ـ ماذا أقول لصاحب الدار؟ وماذا

أقول للخباز؟ وماذا أقول للبقال؟

وفي الأثناء وكان منتصف الليل والصمت يهيمن ما خلا ولولة الرياح في تلك الساعة المتأخرة من ليل الشتاء الطويل، شق سكينة الليل البهيم صوت طرقات متتابعة على الباب!

لقد كان ذلك أمرًا مدهشًا ومفاجئًا!! ترى من يكون هذا الطارق في هذا الوقت المتأخر من الليل البهيم؟!!

نهض السيد محمد حسين ليرى من يكون هذا الطارق؟!

ما إن فتح الباب حتى ظهر له شخص غريب يحدثه باللغة التركية لغته الأم قائلًا له:

ـ أنا فلان بن فلان!

ثم أردف يقول له بلهجة فيها لوم:

ـ ما هذا يا سيد محمد حسين؟! تعاتب ربك؟!

أين إيمانك؟ أين توكلك؟ وما قيمة الدنيا حتى تعاتب ربك من أجلها؟!

وانصرف الرجل الغريب وغاب في حلكة الظلام، وبقي السيد محمد حسين مذهولًا! ترى من هذا الرجل الذي يضع على رأسه عمامة غريبة ويتحدث معه باللغة التركية وينادي باسمه؟! ومن يكون فلان بن فلان؟! إنه لا يعرف شخصًا بهذا الاسم.

حاول أن يعصر ذاكرته القوية .. ولكن دون جدوى إنه لم يره في تبريز، ولم يصادفه يومًا في النجف!!

نسي السيد الطباطبائي كل همومه واستغرق في التفكير حول هوية الرجل الغريب.

وبعد أيام وصلت القافلة وتسلّم معونته المالية التي حلّت مؤقتاً بعض مشكلاته.

إلّا أن قصة هذا الرجل الغريب لم تفارق ذهنه وذاكرته.

وبعد سنوات وتحديدًا عام ١٩٣٥م عاد السيد الطباطبائي إلى مسقط رأسه، إلى مدنية تبريز. وهناك توجه إلى المقبرة لزيارة والديه اللذين توفيا في صباه، لمح السيد قبرًا قديمًا وقد تراكم على رخامة القبر غبار كثيف، أزال الغبار عن الكلمات المحفورة فوق الرخامة، فإذا به يرى اسم ذلك الشخص الغريب الذي طرق باب الدار في منتصف الليل تلك الليلة الشتائية في مدينة النجف الأشرف !! وما أثار دهشته أن تاريخ الوفاة يعود إلى أكثر من مائة وخمسين سنة!!

قد يكون تشابه أسماء،...ربما، أو غير ذلك!!

ولكن يبدو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يذكر عبده، فلا يتمادى في غفلته ويعود إلى حالة التوكل عليه عز وجل، (**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**) (الروم: ٧).

الحكاية الثانية:

روى الخطيب الحسيني المعروف محمد حسين الرضوي، أنه كان في مدينة العمارة جنوب العراق، وكان يتعين عليه العودة إلى بغداد، وبعد أن أنهى مجالسه الرمضانية في يوم الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٩٦٧م.

ركب سيارة صغيرة وجلس في المقعد الأمامي إلى جانب السائق، وجاء شابان جلسا في المقعد الخلفي، وكان أحدهما يصرخ، فقد كان يعاني منذ عشرة أيام من ألم شديد في بطنه، وقد عجز الأطباء

في العمارة من تشخيص علته ونصحوه بالسفر إلى بغداد، تحركت السيارة بعد زوال الشمس من منتصف النهار لكي يبقى الخطيب على صيامه.

بالقرب من مدينة الكوت (محافظة واسط) توقف السائق لتناول الطعام من مطعم على الطريق. وبعد أن تناول السائق طعامه وعاد إلى السيارة، كان الشاب المريض لا يزال يصيح من شدة الألم: أدار السائق مفتاح السيارة لكنها بقيت في مكانها، فالمحرك لا يدور وكأنه كتلة من الحديد البارد، حاول السائق مرة أخرى وأخرى ولكن دون جدوى، استنجد بزملائه من سائقي المركبات، ولكن دون فائدة.

الشاب يصرخ من الألم، وفي الأثناء مرّت امرأة عجوز اقتربت من الشاب المريض وراحت تسأل عن علته وأخوه يجيب، اقترحت العجوز النزول من السيارة والاستراحة في حجرة طينية مبنية وسط الحقل، إلى أن يتم تصليح السيارة.

وفعلًا اتجه السيد ومعه الشابان إلى تلك الحجرة وجلسوا على حصير مفروش فيها. غابت المرأة العجوز دقائق لتعود وبيدها قدح فيه سائل أصفر اللون، وقالت للمريض بلهجتها الجنوبية: يمه اشرب هذا !

ولكن الشاب المريض كان يرفض ذلك، فألحت عليه حتى شرب .. كان السيد مستندًا إلى الحائط ويراقب السيارة، وهكذا كان يفعل أخو المريض.

مرت دقائق وإذا بالشاب المريض يطلب من شقيقه أن يأتيه بـ (الأكل) وكان الأخير يرفض، لسوء حالة أخيه الصحية، إذ كان يتقيأ كل شيء،.. ولكن الشاب كان يصر على مطلبه، ثم صاح به: إني شُفيت، وكان ذلك بلهجته الدارجة.

وذهب الأخ ليحضر له الطعام، فتناوله الشاب بهدوء، ثم نهض وراح يتمشى، وإذا به يطلب من أخيه العودة إلى العمارة وعدم الذهاب إلى بغداد! وفعلًا استقلا سيارة توصلهما إلى الديار .. أما السيارة فقد دارَ (اشتغل) محركها من دون مصلح!! بل بمجرد أن أدار السائق المفتاح من جديد وذلك بعد ذهاب الأخوين.

أما المرأة العجوز فقد غابت واختفت بعد أن سقت الشاب المريض، بحث السيد عنها لكنه لم يجد لها من أثر.

ترى ما هي اليد التي امتدت لتوقف عمل محرك السيارة إلى أن تمر تلك المرأة العجوز وتحضر له شرابًا أصفر اللون .. ويتعافى بعد دقائق معدودة!! ومن ثم اشتغل محرك السيارة من دون تدخل أحد في ذلك؟!

أجوبة مسابقة العدد (٧٣)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ- ١٨هـ/ دمشق.

السـؤال الثاني: ب- ثلاث علامات.

السـؤال الثالث: أ- ذعلب اليماني.

السـؤال الرابع: أ- ان يحفر المسلمون خندقًا حول ساحة الحرب .

السؤال الخامس: ج- العلاء بن زياد.

السؤال السادس: ج- ٥٦.

السـؤال السابع: ج- مسجده.

السـؤال الثامن: أ- دار ابن أخته جعدة بن هبيرة.

السـؤال التاسع: ب- سبع تكبيرات.

الفائز بالجائزة الأولى: قاسم محمد عباس / بغداد/ الكاظمية.

الفائزة بالجائزة الثانية: إيمان حسين جعاز/ بغداد/ مدينة الصدر.

الفائزة بالجائزة الثالثة: تهاني سالم كاظم/ الديوانية/ المهناوية.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٧٥)

١ لم تزل للأنام تحسن صنعا .....وتجير الذي أتاك وترعى
وإذا ضاقت بي الفضا ذرعا.... يا سمي الكليم جئتك أسعى
والهوى مركبي وحبك زادي
تخميس قيل في مدح الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، لمن أصل القصيدة؟
أ-كاظم الأزري ب- محمد جواد عواد البغدادي
ج- عبد الباقي أفندي العمري

٢ سأل يعقوب السراج الإمام جعفر الصادق عليه السلام، متى فرج شيعتكم؟ فقال عليه السلام إذا اختلف ولد العباس، ووهى سلطانهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم، وخلعت العرب أعنّتها، ورفع كل ذي صيصية صيصيته، ما معنى الصيصية؟
أ-الظلامة التي تصيب المظلوم ب- الشوكة التي تكون في رجل الطائر
ج- الرهبة التي تدخل النفوس

٣ من علمائنا الأعلام، نال مرتبة عالية في الاجتهاد وطارت شهرته في الآفاق، تتلمذ على يديه جملة من العلماء المعروفين، توفي في اليوم الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٣٧هـ، دفن بالصحن الحيدري الشريف في الإيوان الكبير من جهة باب الطوسي، فمن هو؟
أ-السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني
ب- السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي
ج- الشيخ مرتضى الانصاري

٤ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الأهوازي، من أجلاء أصحاب الإمام الرضا والجواد والهادي (عليهم السلام) قتله المتوكل العباسي في الخامس من رجب سنة ٢٤٤هـ لأنه قال للمتوكل (لشسع نعل قنبر أحب إلي منك ومن والديك)، فما هو لقبه؟
أ- ابن السكيت ب- ابن أبي الفرج ج- ابن الزيات

كوبون المسابقة

ينابيع ٧٥

الاسم الثلاثي :العنوان:

جواب السؤال الأول	أ	ب	ج

جواب السؤال الثاني	أ	ب	ج

جواب السؤال الثالث	أ	ب	ج

جواب السؤال الرابع	أ	ب	ج

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠,٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥,٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠,٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ شوال/١٤٣٨هـ

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ من أصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام، كان يزور الإمام عليه السلام في سجنه ببغداد وكان يوصل كتب الشيعة ومسائلهم إليه عليه السلام ، وهو الذي سأله عن موعد خروجه من السجن فقال له الإمام قريبا على الجسر ببغداد، فمن هو؟

أ-علي بن يقطين ب- علي بن سويد ج- محمد بن الفرج

٦ (اللهم صلّ على محمد وآل محمد، شجرة النبوة وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي،..) من أدعية شهر شعبان كان أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام يداوم على قراءته عند الزوال وليلة النصف من شعبان، فمن هو؟

أ-الإمام الحسن عليه السلام ب- الإمام الحسين عليه السلام

ج- الإمام علي بن الحسين عليه السلام

٧ (من أفتى بغير علم، لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض) حديث نقله حفيد من أحفاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام معنعناً عن أجداده الكرام، متصلاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمن يكون؟

أ-موسى بن إسماعيل بن الكاظم ب-إبراهيم بن محمد بن الكاظم

ج- القاسم بن العباس بن الكاظم

٨ صلاة سلمان، من صلوات شهر رجب المعروفة، علمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلمان المحمدي ومن فضلها (إن من صلاها محا الله عنه كل ذنب عمله في صغره وكبره)، ففي أي يوم علمه رسول الله سلماناً

أ-آخر شهر جمادى الآخرة ب- ليلة أول شهر رجب

ج- صبيحة اليوم الأول من شهر رجب

٩ لما أراد المتوكل العباسي جلب الإمام علي الهادي عليه السلام من المدينة إلى عاصمة ملكه سامراء، بعث إليه يحيى بن هرثمة، فلما وصل هرثمة إلى الإمام عليه السلام سلّمه كتاب المتوكل وأعلمه بضرورة الاستعداد للمسير إلى سامراء، فكم يومًا طلب الإمام من يحيى مهلة ليهيء لوازم السفر؟

أ-ثلاثة أيام ب- أربعة ايام ج- خمسة أيام

قناة المنهاج الفضائية
MINHAJ TV CHANNEL
11641 H | Freq: 27500

العراق - النجف الأشرف حي السعد - الفرع الأول من شارع الستين |

(+964) 0781 777 7065 / 0771 777 7065 |

www.minhaj-tv.com |

info@minhaj-tv.com |

/MinhajTVChannel /MinhajTVChannel @MinhajTVChannel /MinhajTV /MinhajTV

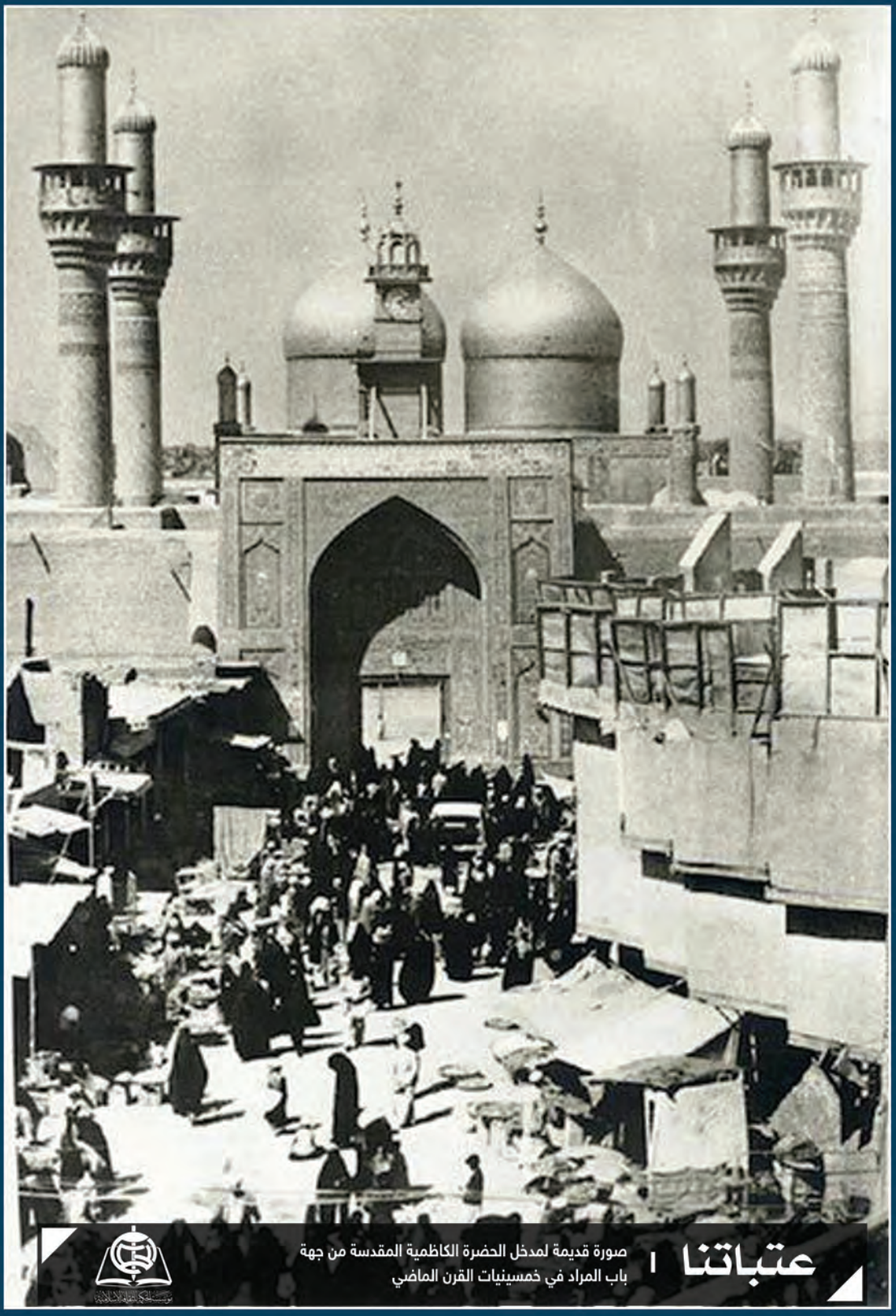

عتباتنا

صورة قديمة لمدخل الحضرة الكاظمية المقدسة من جهة
باب المراد في خمسينيات القرن الماضي